حُكمُ المُرتَدِّ عِندَ المُسلِمِينَ وَأَهلِ الكِتَابِ

تأليف الدكتور الشيخ
أحمد حجازي السقا

القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا . من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ، ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » . المائدة ٥٤

الحاج حسين محمد امبابى وولده عبد الله

شارع الصنادقية بالأزهر الشريف



طبعة مصر الأولى

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

مطبعة دار الاتحاد الاخوى بالقاهرة

ت : ٥١٢٠١٣٦

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم بخير واحسان الى يوم الدين .

أما بعد

ففي الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الأحبار ما نصه :

« وخرج ابن امرأة اسرائيلية ، وهو ابن رجل مصرى ، فى وسط بنى اسرائيل ، وتخاصم فى المحلة : ابن الاسرائيلية ، ورجل اسرائيلى . فجدف ابن الاسرائيليـة على الاسم[1] ، وسب . فأتوا به الى موسى . وكان اسم أمه شلومية بنت دبرى . من سبط دان ، فوضعوه فى المحرس ، ليعلن لهم عن فم الرب . فكلم الرب موسى قائلا : أخرج الذى سب ، الى خارج المحلة ، فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ، ويرجمـه كل الجماعة . وكلم بنى اسرائيل قائلا : كل من سب الهه يحمل خطيته . ومن جدف على اسم الرب ، فانه يقتل . يرجمه كل الجماعة رجما . الغريب كالوطنى عندما يجدف على الاسم ، يقتل » [لا ٢٤ : ١٠ ــ ١٢] .

هذا نص من نصوص التوراة يظهر منه : أن الدم اليهودى قد اختلط بدماء الأمم ، من عهد موسى صاحب الشريعة . فالمصرى ــ وهو ليس من اليهود ــ تزوج من يهودية . وقد جمعهما الدين ، فان دين موسى عليـه السلام عن أمر الله تعالى فى البدء ، كان لليهود وللأمم . وظل هكذا الى زمان سبى بابل ، سنة ٥٨٦ ق . م . والنص يؤكد على أن شريعة موسى للغريب عن جنس بنى اسرائيل ولبنى اسرائيل أيضا . وهذا ما أكده عيسى

---

(١) يهوه = الله .

عليه السلام وبولس والنصارى أجمعون ، فانهم يوبخون علماء اليهود على قصر رسالة موسى عليهم ، وترك الأمم فى طغيانهم يعمهون .

يقول بولس : « أم الله لليهود فقط ؟ أليس للأمم أيضا ؟ بلى . للأمم أيضا لأن الله واحد » [رو ٣ : ٢٩ — ٣٠] .

ولما قصروا التوراة عليهم من سبى بابل ، أباحوا لأنفسهم ظلم الأمم . وحكى الله عنهم ذلك فى القرآن الكريم ، وكذبهم فيه فقال : (ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) .

اذ ليس عليكم فى الأميين سبيل . فلماذا سار ابراهيم مع الله ؟ وانه سار أمام الله فى دعوة الأمم الى عبادته ، ونبذ عبادة الأصنام . وبنى « مذابح » لله فى كل مكان وطأته قدماه . فى العراق ، وفى فلسطين ، وفى بلاد الحجاز ، من قبل أن ينجب نسلا ، ومن بعد أن أنجب . ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير ، سر أمامى ، وكن كاملا » [تك ١٧ : ١] وسار ابراهيم مع الله . وقال الله له : « لا تخف يا أبرام . أنا ترس لك . أجرك كثير جدا[2] » [تك ١٥ : ١] .

ويظهر من النص : أن الذى سب الله تعالى من المسلمين على دين موسى . كان جزاؤه الرجم بالحجارة .

* * *

وفى الأصحاح العشرين من سفر الأحبار : « كل انسان من بنى اسرائيل ، ومن الغرباء النازلين فى اسرائيل أعطى من زرعه لمولك[3] ، فانه يقتل . يرجمه شعب الأرض بالحجارة » [لا ٢٠ : ٢] وفى الأصحاح التاسع عشر : « أنا الرب الهكم لا تلتفتوا الى الأوثان . وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم » [لا ١٩ : ٣ — ٤] .

---

(٢) أجرك كثير جدا . تدل على المجازاة فى الآخرة . لأن المجاهد قد يقتل من قبل أن يحصل على غنيمة . وحيث قد وعد بأجر وهو قد مات ، فانه سيأخذه فى الآخرة .

(٣) عبادة الصنم .

وفى الأصحاح السادس والعشرين : « لا تصنعوا لكم أوثانا ، ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا ، أو نصبا ، ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا ، لتسجدوا له ، لأنى أنا الرب الهكم » [لا ٢٦ : ١] .

وفى الأصحاح الخامس عشر من سفر العدد : أن الرافض الشريعة كلها أو بعضها ، يقتل . ذلك قوله : « وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين ، أو من الغرباء ، فهى تزدرى بالرب ، فتقطع تلك النفس من بين شعبها » [عد ١٥ : ٣٠] وقوله « بيد رفيعة » قد يدل على أن المرتد المسالم لا يقتل . والمرتد عن استكبار يقتل . فالنص محتمل . ولكنه توجد نصوص أخرى تدل على أنه اذا جاء وقت فريضة ، وامتنع انسان عن أدائها فانه يقتل . سواء كان مسالما لقومه أو غير مسالم . فقد جاء عن صوم يوم الكفارة : « أن كل نفس لا تتذلل فى هذا اليوم عينه ، تقطع من شعبها » [أحبار ٢٣ : ٢٩] أى لا تصوم . فقد جعل الامتناع عن الصوم . وليس فيه ضرر للغير ، سببا للقتل . سواء أكان ممتنعا عن استكبار ، أم كان ممتنعا عن تهاون ومسكنة وذلة .

* * *

وشريعة التوراة ظلت متداولة(*) بين اليهود والأمم ، فى فلسطين والاسكندرية واليمن وبلاد العرب وعراق العجم وعراق العرب وسائر الأمم ، الى أن جاء محمد صلى الله عليه وسلم فنسخها ، وبدل أحكامها .

والناظر فى التوراة يجد أنها شريعة ثقيلة وصعبة . ويجد القرآن اذا نظر فيه شريعة سهلة وخفيفة . ففى التوراة : « ومن سرق انسانا ، وباعه ، أو وجد فى يده ، يقتل قتلا » — « لا تدع ساحرة تعيش » — « كل من اضطجع مع بهيمة يقتل قتلا » — « من ذبح لآلهة غير الرب ، وحده يهلك » وقوله « وحده » يدل على أن كل امرىء بما كسب رهين . — « كل شحم ثور ، أو كبش أو ماعز لا تأكلوا » — « وهذا هو النجس

(*) تداولت وهى صحيحة من موسى الى سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م وحرفت فى بابل وتداولت . وظلت محرفة الى حين ظهور الاسلام . وما تزال على حالتها التى حرفت عليها فى بابل ، الى هذا اليوم .

لكم من الدبيب الذى يدب على الأرض : ابن عرس والفار . والضب على أجناسه ، والحردون والورل والوزغة والعظاية والحرباء . هذه هى النجسة لكم من كل الدبيب . كل من مسها بعد موتها يكون نجسا الى المساء ، وكل ما وقع عليه واحد منها بعد موتها يكون نجسا . من كل متاع خشب أو ثوب أو جلد أو بلاس . كل متاع يعمل به عمل يلقى فى الماء ، ويكون نجسا الى المساء ثم يطهر . وكل متاع خزف وقع فيه منها ، فكل ما فيه يتنجس . وأما هو فتكسرونه .. الخ » .

* * *

والانجيل ليس شريعة . فقد كان عيسى بن مريم — عليه السلام — على شريعة موسى — عليه السلام — ولذلك يكون حكم الارتداد عند النصارى هو حكمه عند اليهود . والانجيل: هو البشرى بخبر سار ، هو أن التوراة أخبرت عن مجىء نبى من بعد موسى مثله ، له يسمع بنو اسرائيل ويطيعون[٤] ، فجاء المسيح عيسى عليه السلام وبشر بأن النبى الآتى ، سيأتى من بعده . وعبر عن مملكته الالهية بملكوت السموات ، وسماه « بيراكليت » بكسر الباء الثقيلة . وهى كلمة عبرانية تساوى « أحمد » فى اللغة العربية ، وتنطق « بيراكليتوس » فى اللغة اليونانية .

* * *

وليس فى القرآن عقوبة للمرتد — المسالم — فى الدنيا ، وهو الذى كان مسلما على وفق شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وخرج منها . فقد قال تعالى : (لا اكراه فى الدين) والذى فيه عن المرتد — المسالم — هو : أنه تحبط أعماله ، ويستحق الخلود فى جهنم ، فى الدار الآخرة . فقد قال تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهو كافر ، فأولئك حبطت

---

(٤) النص على مجىء النبى المنتظر ، المماثل لموسى مذكور فى الاصحاح الثامن عشر من سفر تثنية الاشتراع . وفى أيام النبى يحيى عليه السلام سأله علماء بنى اسرائيل وقالوا له : هل أنت النبى المنتظر ؟ وأجاب بقوله : لست أنا اياه . يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا لأن انحنى وأحل سيور حذائه . وفى انجيل برنابا أن السؤال كان منهم لعيسى عليه السلام وأجاب بنفس اجابة يحيى عليه السلام . والنبى المنتظر هو محمد صلى الله عليه وسلم لأن لاسماعيل بركة ، كما لاسحق بركة .

أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

والمرتد الذى يطعن فى الاسلام ، يكون جزاؤه القتل، لأنه غير مسالم، لقوله : « وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم ، فقاتلوا أئمة الكفر » والمرتد المسالم لا يقتل ، لقوله تعالى : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » واذا جاء وقت فريضة وامتنع المسلم عن أدائها . وهو مسالم لقومه ، فانه لا يقتل .

اذ ليس فى القرآن من نص على قتل المفطر عمدا فى رمضان . والصوم فريضة . ومثله فرض الحج والصلاة . عكس الحال فى التوراة — كما بينا —

* * *

وقد انقسم اليهود من بعد سليمان النبى عليه السلام الى فريقين . ونظر كل فريق للآخر ، نظرة المسلم للكافر ، وعامل بعضهم بعضا معاملة المسلمين الكفار . فالعبرانى يزعم أن السامرى كافر ، ويعامله معاملة الأممى الخارج عن رعوية بنى اسرائيل . والسامرى يزعم أن العبرانى كافر ، ويعامله معاملة الأممى . والأمميون فى نظر الفريقين كالكلاب النجسة — فى شريعتهم — التى ينظر اليها بعين الاحتقار .

وهذا أوجب عليهم محاربة بعضهم بعضا . وكان المغلوب منهم يعامل من الغالب منهم معاملة الأجنبى عن اسرائيل فيفدى نفسه بمال اذا كان أسيرا . وكانت الحرب تؤدى الى أن يملك الغالب على بلاد المغلوبين ، ويطردونهم منها ، ويعزون الذليل ليسخرونه فى مآربهم ، ويذلون العزيز، نكاية فيهم ، وشفاء لغيظهم .

مع أن بنى اسرائيل والأمم التى تعبد الله على شريعة موسى عليه السلام كلهم أمام الله سواء . وبنو اسرائيل قد اصطفاهم الله من سائر ما خلق — فى أيامهم — ليسيروا أمام الله بدعوة الناس الى دينه . فهم كانوا الأئمة والقادة ، والأمم كانوا لهما تبعا . ولكنهم خانوا ميثاق الله . وهو أن يسيروا أمامه فى الأرض حتى يظهر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نبه موسى نفسه على مجيئه فى قوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من

وسطك من بين اخوتك مثلى ، له تسمعون » .

وهم لم يسيروا ، ولم ينظروا الى جنس بنى اسرائيل على أنهم دعاة وهداة ، ولم يعوا بان الاختلاف فى تفسير نصوص التوراة هو سنة الهية فى خلق الله ، لا يوجب كفـرا ، فان بنى آدم كلهم يتجـادلون ويختلفون وزعم كل فريق : أن النبى الآتى سيظهر فيهم .

ولم يهتمـوا بالميثـاق المأخـوذ عليهم وهـو أنهم لا يخرجون أنفسهم من ديارهم . ولم يهتموا أيضا بالميثاق المـأخوذ عليهم وهو أنهم يقولوا الحق ، ولا يخشوا فى الله لومة لائم .

ففى الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية :

١ ــ « ملعون الانسان الذى يصنع تمثـالا منحوتا أو مسـبوكا ، رجسا ، لدى الرب ، عمل يدى نحات ، ويضعه فى الخفاء » .

٢ ــ « ملعون من يستخف بأبيه وأمه » .

٣ ــ « ملعون من ينقل تخم صاحبه » .

٤ ــ « ملعون من يضل الأعمى عن الطريق » .

٥ ــ « ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة » .

٦ ــ « ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه » .

٧ ــ « ملعون من يضطجع مع بهيمة ما » .

٨ ــ « ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه » .

٩ ــ « ملعون من يضطجع مع حماته » .

١٠ ــ « ملعون من يقتل قريبه فى الخفاء » .

١١ ــ « ملعون من يأخذ رشوة ، لكى يقتل نفس دم برىء » .

١٢ ــ « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ، ليعمل بها » .

انظر فى نصوص اللعنة هذه . وتأمل فى لعنة من لا يعمل بالتوراة . وانظر فى أحوال اليهود والنصارى ، تجد أنهم لا يعملون بالتوراة . فبولس رفع العمل بالتوراة بقوله ان يسوع المسيح قد قتل من أجل الخطايا . مع أن يسوع المسيح صرح بأنه على دين موسى ، ولم يغيره ولم ينقضه ولم ينسخه . وصرح بأن العمل الصالح هو الذى سينجى الانسان فى الدار

الآخرة ، ويحفظه من خزى الوجوه . ذلك قوله : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء » وقوله : « وأما من عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » .

والنصارى يصنعون تماثيل منحوتة ، ويضعونها فى السر والعلانية أمام الناس .

وعن النصارى يقول الله فى القرآن عنهم أنهم « ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا » فهم ورثوا التوراة عن اليهود ، وصرحوا بصكوك الغفران واهتموا بالحياة الدنيا .

واللعنة الثالثة وهى « ملعون من ينقل تخم صاحبه » طوح بها اليهود من قبل النصارى فى الهواء ، والنصارى من بعدهم طوحوا بها . وذلك لأن موسى وفتاه يشوع بن نون قد قسما الأرض المقدسة على أسباط بنى اسرائيل . ورفعا سبط لاوى من أرض محددة بذاتها . فصار تخم كل سبط محدد ومعروف . وقد تعدى اليهود هذا الحكم ، وأخرج بعضهم بعضا من ديارهم . وسعى العبرانيــون الى ملوك الأرض الوثنيين وغير الوثنيين . لاخراج السامريين من ديارهم المقسومة لهم على يدى موسى ويشوع . وسعى السامريون أيضا الى الحكام للاستعانة بهم فى اخراج العبرانيين من ديارهم المقسومة لهم . وذلك كله تشهد به كتبهم . ففى سفر عزرا ونحميا : أن السامريين استعانوا بملوك بابل وفارس والعرب على منع العبرانيين من بناء هيكل سليمان من بعد رجوع اليهود من بابل . وأنهم كانوا يتآمرون فى الخفاء على قتل بعضهم بعضا . ضاربين باللعنة العاشرة عرض الحائط . ففى الأصحاح السادس من سفر نحميا : « ولما سمع سنبلط وطوبيا وجشم العربى وبقية أعدائنا انى قد بنيت السور ، ولم تبق فيــه ثغرة على أنى لم اكن الى ذلك الوقت قد أقمت مصاريع للأبواب ، ارسل سنبلط وجشم الى قائلين : هلم نجتمع معا فى القرى فى بقعة أونو . وكانا يفكران أن يعملا بى شرا ... » .

الى ان قال : « ونقفل أبواب الهيكل ، لأنهم يأتون ليقتلوك . فى الليل يأتون ليقتلونك . فقلت : أرجل مثلى يهرب ؟ ومن مثلى يدخل الهيكل ، فيحيــا ؟ » .

وقد جاء فى الانجيل توبيخات مثل هـذه من عيسى عليه السلام لعلماء بنى اسرائيل منها : « لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم .. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ، ويل لكم أيها القادة العميان ... الخ » . (متى ٢٣ : ١٣ —)

عداء العبرانيين والسامريين

وفى القرآن الكريم : أن بنى اسرائيل اقتتلوا بسبب وبلا سبب ، وأخرجوا أنفسهم من ديارهم . وأن بعضهم ليس بقبل قبلة بعض .

وفى التوراة وفى الانجيل شواهد على ذلك . ففى انجيل يوحنا فى الأصحاح الرابع أن عيسى عليه السلام لما ذهب الى قرى السامريين ليبشرهم باقتراب ملكوت الله ، جلس على حافة بئر فى مدينة «سوخار» فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء ، فقال لها يسوع : أعطينى لأشرب ... فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا سامرية ؟ «لأن اليهود لايعاملون السامريين» فالأكل والشرب ممنوعان، والمعاملة مقطوعة . وهذا يدل على أن كل فريق أجنبى عن الآخر . وفى الأصحاح الثامن من انجيل يوحنا : أن علماء اليهود العبرانيين وصفوا عيسى عليه السلام بأنه « سامرى » أى مضل . ذلك قوله : « فأجاب اليهود ، وقالوا له : ألسنا نقول حسنا : انك سامرى ، وبك شيطان ؟ أجاب يسوع : أنا ليس بى شيطان » .

وكان اليهود[٦] يطلقون لقب « سامرى » على المضل . لأن السامريين فى نظرهم كفار ولا يدلون على خير .

وقد حكى الله تعالى فى القرآن الكريم : أن بنى اسرائيل قد اتخذوا

---

(٦) اصطلاح اليهود فى الكتب هو للدلالة على العبرانيين .

عجلا جسدا[٧] له خوار ، وعبدوه فى أيام المناجاة • وأن موسى عليه السلام لما نزل بالألواح من على الجبل ، أخذ برأس أخيه هارون ، أى عنقه ولامه على تركه بنى اسرائيل بلا نصيحة • ثم وجه الكلام الى الذى

---

(٧) لما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، من اتخاذهم العجل « قال: فما خطبك يا سامرى ؟ » أى ما شأنك يا ايها الرجل الضال المضل ؟ لم فعلت هذا ؟ فأجاب بقوله : « بصرت بما لم يبصروا به » أى اهتديت الى فكرة لم يهتدوا اليها وهى : أننى « قبضت قبضة من أثر الرسول » اى أخذت شيئا مما علمه لنا موسى . وهو معرفة الله « فنبذتها » اى تركت العمل بها . والقبضة على الحقيقة : هى امساك الشىء فى اليد بقوة ، وعلى المجاز هى التمكن من الشىء . فمن قبض على زمام الأمور . والأمور ليس لها زمام ، فالزمام للحيوانات ــ يقال انه ملك وتمكن . والمعنى : أنه استيقن من وجود الله ، كما يستيقن المرء الذى يقبض على الشىء بيده . وقد حصل عنده اليقين بالذى رآه من فلق البحر وغرق فرعون وقلب العصا وغيره .

وعبر بأثر الرسول . لأنه فى غياب موسى عنهم . كان ما تركه لهم من التعاليم من آثاره . والرسول هو موسى نفسه عليه السلام فانه رسول الله الى بنى اسرائيل ، ليجاهدوا الأمم ويفتحوا البلاد ، ويعلموا الناس معرفة الله وشريعته فى كل مكان ، كما كان ابراهيم أبوهم يفعل .

وقد عاقب الله هذا المضل بالنبذ من قومه ، أى لا يزور ولا يزار وهذا هو معنى ان يقول : « لا مساس » أى لا يقرب ببتى أحد . فيكون كسقط المتاع . وهذه عقوبة قاسية ، فان الانسان يميل الى الاجتماع والاستئناس بغيره . وأقل منها قسوة أن يوضع مع قوم لا يعرفون قدره .

وهذا المضل كان قد أخذ ذهبا من نساء بنى اسرائيل ، واشترى ببعضه عجلا من سوق البقر ، وأوهمهم بأنه عجل ينفع ويضر . ولما رآه موسى عليه السلام أخذه وأحرقه بالنار ، وذراه فى الهواء ، ونسفه فى اليم نسفا . واليم كلمة عبرانية تدل على الماء المالح . فتكون هذه الأحداث قد وقعت قرب خليج السويس لأن ماء البحر الأحمر مالح . وجبل الطور واقع بين خليج العقبة وخليج السويس . وهو الى خليج السويس أقرب .

وقول هرون لموسى : « انى خشيت أن تقول : فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم ترقب قولى » معناه ، أن هرون كان يعلم أنه مشارك لموسى فى قيادة بنى اسرائيل . موسى بالتوراة . وهرون بالتفسير . وقد سكت عن عقاب عباد العجل ، لئلا تحدث فتنة . ويظن موسى أنه تسبب فيها لأخذ بنى اسرائيل كلهم ، وابعاده عن المشاركة . فقوله « ولم ترقب قولى » معناه : لم تنتظر حتى تتم الشريعة ، وتقوم بنصيبك فيها . ونصيب هرون عن أمر الله : هو انه هو ونسله يكونون الأئمة والمفسرين ونسل موسى تبع لهم كسائر اللاويين . وهذا موضح فى كتاب « البشارة » .

أحضر لهم العجل وفتنهم به ، قائلا : « ما خطبك يا سامرى » ؟ أى ما هذا الذى فعلته يا أيها الرجل المضل ؟ فقد أعطى الرجل الذى أضلهم ولم يذكر اسمه لقب « المضل » وهو يترجم فى حال نزول القرآن — حسب لغتهم — بالسامرى . والقرآن يحكى معنى ما قد قيل باللغة العربية . وهو فى البدء حال خروج الكلام من فم المتكلمين لم يكن باللغة العربية . فحكايته عن نوح عليه السلام أنه قال كذا وكذا . لم يحكه باللفظ الذى صدر عن نوح . وانما حكى ترجمة اللفظ باللغة العربية ، وحكايته عن ما قاله موسى وفرعون ، هو ترجمة بالعربية لما كان باللغة المصرية القديمة التى نجهلها الآن . وهذا أمر معروف ببداهة العقول . وبالقرآن نفسه . فانه يقول : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا . لقالوا : لولا فصلت آياته . أأعجمى وعربى مبين ؟ » وفرق بينه وبين الكتاب الأول . ببيانه أنه هو بلسان عربى مبين . فى قوله : « نزل به الروح الأمين على قلبك ، لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » .

وحكى لوقا فى انجيله : أن اليهود العبرانيين كانوا يعتبرون السامريين غرباء عن بنى اسرائيل . ففى الأصحاح السابع عشر يقول عن عيسى عليه السلام : « وفى ذهابه الى أورشليم ، اجتاز فى وسط السامرة والجليل . وفيما هو داخل الى قرية : استقبله عشرة رجال برص ، فوقفوا من بعيد . ورفعوا صوتا قائلين : يا يسوع يا معلم ارحمنا ، فنظر وقال لهم : اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة . وفيما هم منطلقون طهروا . فواحد منهم لما رأى أنه شفى ، رجع يمجد الله بصوت عظيم . وخر على وجهه عند رجليه شاكرا له . وكان سامريا ، فاجاب يسوع وقال : أليس العشرة قد طهروا ؟ فأين التسعة ؟ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله ، غير هذا الغريب الجنس ؟ » .

وقد عظم العبرانيون هيكل سليمان فى « أورشليم » واعتبروه قبلتهم فى الصلاة والحج ، وعظم السامريون هيكل سنبلط الحوروني فى « نابلس » واعتبروه قبلتهم فى الصلاة والحج . وقد حكى يوحنا فى انجيله أن المرأة السامرية قالت لعيسى عليه السلام : « يا سيدى أرى انك نبى ، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون : ان فى أورشليم

الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه • قال لها يسوع « يا امرأة صدقينى انه تأتى ساعة ، لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب •• ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب ، بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدون له » •

لقد صرحت بقولها : « يا سيد أرى أنك نبى » ثم سألته عن القبلة الصحيحة . هل هى ناحية أورشليم (القدس) أم ناحية نابلس (شكيم) وقد أجاب بأن القبلة لن تكون فى أورشليم ولا فى نابلس • وأن الشريعة لن تكون فى العبرانيين ولا فى السامريين لأن الله سيصطفى له أمة تسجد له بالحق وتدعو الناس الى السجود لله بالحق • وهو قد اختارها لتقيم ملكوته فى الأرض •

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض » •

والعبرانيون هم سبطى يهوذا وبنيامين وبعض اللاويين فقط • والسامريون هم الأسباط العشرة ، وبعض اللاويين • ويوسف عليه السلام محسوب بسبطين • فان أفرايم سبط — وهو ابنه — ومنسى سبط — وهو ابنه — والأسباط هم :

١ — رأوبين •
٢ — شمعون •
٣ — لاوى •
٤ — يهوذا •
٥ — زبولون •
٦ — يساكر •
٧ — دان •
٨ — جاد •
٩ — أشير •
١٠ — نفتالى •
١١ — افرايم •
١٢ — منسى •

وسبط لاوى لم يأخذ أرضا محددة ، وعاش بين الأسباط فى مدنهم وتفرغ لتعليم الشريعة •

القصة الشبيهة بقصة لوط عليه السلام

وسأذكر الآن قصة من سفر القضاة • تدل على معان كثيرة وهى تبدأ من الأصحاح التاسع عشر من سفر القضاة وتنتهى بانتهاء السفر •

والكاتب الذى كتبها وضع فيها كلاما من قصة لوط عليه السلام لم يذكر في قصة لوط المذكورة فى سفر التكوين ، وقد حكى الله فى القرآن في قصته كلاما لم يذكر فى سفر التكوين وخلاصتها :

أن رجلا من سبط لاوى تغرب فى جبل يسكنه سبط أفرايم ابن يوسف عليه السلام ــ وهو من أسباط السامريين ــ وهذا اللاوى كان قد أتخذ لنفسه جارية من « بيت لحم » ــ وهى من بلاد سبط يهوذا ــ وفى يوم من الأيام زنت الجارية فى جبل أفرايم وهربت من وجه الرجل الى « بيت لحم » وأقامت فى بيت أبيها وبعد أربعة أشهر ، سار وراءها رجلها ليطيب قلبها ويردها ومعه غلامه وحماران • وأخذها لينطلق بها الى جبل أفرايم وبينما هم فى الطريق غابت الشمس عند « جبعة » ــ وهى مدينة من مدن سبط بنيامين ــ فدخلوها وجلسوا فى ساحة المدينة ، ولم يضمهم أحد الى بيته للمبيت • ومر عليهم رجل شيخ غريب ، يسكن فى المدينة مع هذا السبط • فرفع عينيه ورأى الرجل المسافر فى ساحة المدينة، فقال له : الى أين تذهب ؟ ومن أين أتيت ؟ فأخبره عن حاله • فاستضافه فى بيته •

وبينما هم فى بيته ، فى ضيافته ، أحاط رجال السوء بالبيت ، وقرعوا الباب وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين : « أخرج الرجل الذى دخل بيتك ، فنعرفه » يريدون بقولهم « فنعرفه » اللواط به « فخرج اليهم الرجل صاحب البيت ، وقال لهم : لا • يا اخوتى لا تفعلوا شرا ، بعدما دخل هذا الرجل بيتى ، لا تفعلوا هذه القباحة ، هو ذا ابنتى العذراء وسريته • دعونى أخرجهما • فأذلوهما وافعلوا بهما ما يحسن فى أعينكم • وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح » •

يوضح هذا النص : أن رجال السوء طلبوا أن يلوطوا بالرجل نفسه، وأن الشيخ الذى استضافهم منعهم من اللواط به وقام الرجل اللاوى باخراج جاريته لهم « فعرفوها ، وتعللوا بها الليل كله الى الصباح ، وعند طلوع الفجر أطلقوها » •

وفى الصباح أستأذن اللاوى بالانصراف ، وهم ليخرج • فوجد جاريته ميتة فأخذها على الحمار وذهب بها الى جبل أفرايم حيث كان

يقيم « ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريته وقطعها مع عظامها الى اثنتى عشرة قطعة وأرسلها الى جميع تخوم اسرائيل • وكل من رأى قال : لم يكن ولم ير مثل هذا من يوم صعود بنى اسرائيل من أرض مصر الى هذا اليوم » •

فلما رأى ذلك جميع الأسباط ــ ولم يكن قد افترقوا بعد الى سامريين وعبرانيين ــ اجتمعوا لمحاربة سبط بنيامين ، جزاء على تعديهم • وأرسلوا رسلا الى سبط بنيامين ليقولوا لهم : « سلموا القوم بنى بليعال الذين فى جبعة لكى نقتلهم ، وننزع الشر من أسرائيل • فلم يرد بنو بنيامين أن يسمعوا اصوت اخوتهم بنى اسرائيل • وقامت الحرب ، وقتل سبط بنيامين من بنى اسرائيل فى اليوم الأول : اثنين وعشرين ألف رجل • وفى اليوم الثانى قتلوا ثمانية عشر ألف رجل • ثم انقلبت الموازين فقتل بنو اسرائيل من سبط بنيامين : خمسة وعشرين ألف رجل ومائة رجل ، ثم قتلوا بعد ذلك ثمانية عشر ألف رجل • ثم بعد ذلك التقطوا منهم فى السكك خمسة آلاف رجل ، ثم قتلوا ألفين • وبعد ما فرغوا من القتال فى السكك والطرقات والحرب المنظم ، وجدوا القتلى من بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل ثم يقول الكاتب : « ورجع رجال بنى اسرائيل الى بنى بنيامين وضربوهم بحد السيف ، من المدينة بأسرها ، حتى البهائم ، حتى كل ما وجد ، وأيضا جميع المدن التى وجدت أحرقوها بالنار » •

والى هنا تم الكلام عن مصيبة سبط بنيامين فى الرجال والنساء •

فتوى بنى اسرائيل بخطف نساء الأمم

وبدأ الكاتب يتحدث عن كيفية نمو سبط بنيامين بعد هذه المصيبة • فقال : « ورجال اسرائيل حلفوا فى المصفاة قائلين : لا يسلم أحد منا ابنته لبنيامين امرأة » فكيف ينمو السبط والحالة هذه ؟

١ ــ اتفق بنو اسرائيل على أن يرسلوا اثنى عشر ألف رجل من بنى الباس ، ليضربوا سكان « يابيش جلعاد » بحد السيف مع النساء والأطفال ولا يقتلوا البنات العذارى . وقد فعلوا وسبوا اربع مئة فتاة عذراء ، لم يعرفن رجلا بالاضطجاع مع ذكر • وسلموهن الى سبط بنيامين •

(٢ ــ حكم المرتد)

٢ ـ أوصوا بنى بنيامين بخطف بنات « شيلوه » اللائى يخرجن للرقص « ففعل هكذا بنو بنيامين ، واتخذوا نساء حسب عددهم من الراقصات اللواتى اختطفن وذهبوا ورجعوا الى ملكهم ، وبنوا المدن وسكنوا بها . فسار من هناك بنو اسرائيل فى ذلك الوقت كل واحد الى سبطه وعشيرته . وخرجوا من هناك كل واحد الى ملكه . فى تلك الأيام لمن يكن ملك فى اسرائيل » .

أى أن هذه الحادثة كانت من قبل طالوت وداود وسليمان ـ عليهم السلام .

عموم رسالة موسى

وقد كتب لوقا فى سفر أعمال الرسل : « وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة ، تحت السماء ساكنين فى أورشليم » ـ « والرومانيون ، المستوطنون . يهود ودخلاء » ـ « وفى تلك الأيام اذ تكاثر التلاميذ ، حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين » ـ « ثم ان ملاك الرب كلم فيلبس قائلا : قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم الى غزة التى هى برية . فقام وذهب . واذا رجل حبشى خصى وزير لكنداكة ملكة الحبشة كان على جميع خزائنها . فهذا كان قد جاء الى أورشليم ليسجد . وكان راجعا وجالسا على مركبته ، وهو يقرأ النبى أشعياء » .

انظر الى قول لوقا : « يهود ودخلاء » ، وانظر الى وزير ملكة الحبشة الذى جاء الى أورشليم ليحج الى هيكل سليمان وكان يطالع فى سفر من أسفار الأنبياء . تجد ان شريعة موسى لم تكن لليهود فقط ، ولا للسامريين فقط ، وانما كانت لجميع الناس الى أن يأتى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلماذا يقال فى الكتب : ان شريعة موسى كانت خاصة لبنى اسرائيل ؟ انظر الى القرآن وتأمل معانيه . ولا تلتفت الى غيره . وقارن بين نصين وردا فى أمر واحد . النص الأول ورد فى سورة المائدة والنص الثانى ورد فى سورة البقرة . ولا يمكن تفسير النصين الا بذكر الآخر معه . هكذا :

أولا : فى زمان موسى النبى صاحب التوراة ، وبعد خروجه من أرض مصر ، قال لبنى اسرائيل : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم » ولماذا كتبها الله لهم ؟ لأن الله كتب بركة لاسحق فى الأمم . وهى ملك ونبوة وكتب بركة لاسماعيل فى الأمم . وهى ملك ونبوة . والبركة تتحقق بسير بنى اسرائيل أمام الله ، للدعاء الى دينه ، وقتل عباد الأوثان اذا لم يسلموا وصدوا عن سبيل الله من آمن . وهو يأمرهم بدخـول الأرض مقاتلين بأسلحتهم . معرفا بأن من يقتـل فى سبيل الله تكون له الجنة جزاء فقد قال الله لابراهيم المجاهد : « أنا ترس لك . أجرك كثير جدا » (تك ١٥ : ١) وهم يفهمون هذا المعنى . بدليل : أنهم ردوا على موسى نفسه بقولهم : « اذهب أنت وربك فقاتلا » .

وامتنعوا عن القتال ، وتاهوا فى صحراء سيناء أربعين سنة . وفنى الجيل المشاغب كله . وجاء جيل جديد بعد ثلمائة وخمسين عـاما تقريبا من الجيل المشاغب . وقالوا لنبى لهم — هو صموئيل — : ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله وطلبهم منه مذكور فى الأصحاح الثامن من سـفر صموئيل الأول وهو : « فالآن اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب » وبعد ما كلمهم وامتنع عليهم وألحوا عليه « قالوا : لا . بل يكون علينا ملك ، فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ، ويقضى لنا ملكنا ، ويخرج أمامنا ، ويحارب حروبنا » .

وحروبهم كانت لنشر شريعة موسى . والدليل على ذلك : قول داود عليه السلام لجالوت رئيس جند فلسطين : « أنت تأتى الى بسيف وبرمح وبترس . وأنا آتى اليك باسم رب الجنود اله صفوف اسرائيل ، الذين عيرتهم . هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى فأقتلك ، وأقطع رأسك ، وأعطى جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء ، وحيوانات الأرض ، فتعلم كل الأرض أنه يوجد اله لاسرائيل ، وتعلم هذه الجماعة كلها : أنه ليس بسيف ولا برمح ، يخلص الرب ، لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٥ — ٤٧) .

ثانيا : فى زمان صموئيل . طلبوا منه تعيين ملك ليدخل بهم الأرض المقدسة ، التى امتنع أسلافهم عن دخولها فى زمان موسى نفسه ؛ ونطقوا

بلسانهم : « وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله » فعين لهم طالوت عليه السلام وسار بهم الى الأرض المقدسة ـ وهى أرض فلسطين ـ ولما اقتربوا منها ورأوا جنود « جالوت » رئيس جيش فلسطين « قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

وانتهت الحرب بقتل جالوت فى المبارزة . ودخول بنى اسرائيل أورشليم فاتحين ومالكين ومعلمين لشريعة موسى كما دخلها المسلمون فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتحين ومالكين ومعلمين لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأكد الله على هذا المعنى فى أكثر من موضع . ومن ذلك قوله : « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس » ؟ ولفظ « الناس » للعموم « وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس » وحكايته عن ملكة اليمن أنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، وسليمان كان على شريعة موسى وهى لم تكن من بنى اسرائيل ولا قومها . وحكايته عن ايمان سحرة فرعون ، وهم ليسوا من بنى اسرائيل . وحكايته عن أن الجن كانوا على شريعة موسى ، ثم تحولوا عنها الى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومع هذا يقال فى كتب ان دعوة موسى خاصة . فما هو الدليل على خصوصها[8]؟ ان الله يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم « وآنذر عشيرتك

---

(٨) أعلم : أن الناس من بعد الطوفان الى زمان موسى عليه السلام كانوا على شريعة نوح عليه السلام وهى تحريم سفك دم الانسان بغير حق ، واباحة كل الأطعمة . والتخلق بالخلق الحسن .

والله تعالى كان يرسل الأنبياء والرسل فى ذلك العهد ، لا لتحريم ولا لتحليل ، وانما للدعوة الى مكارم الأخلاق ، والبعد عن الظلم والعدوان . فاذا فشا فى أرض قوم تطفيف المكيال والميزان ، يرسل الله نبيا فيهم ، لينهاهم عن تطفيف المكيال والميزان . واذا ظهر اللواط فى ارض قوم ، يرسل الله نبيا لهم لينهاهم عن اللواط واذا بنى قوم فى كل ريع مكانا للعبث بالنساء ، واحتساء الخمور ، يرسل الله اليهم من ينهاهم ويحذرهم بعواقب العبث . وهكذا . مع علمهم كلهم بشريعة نوح ، التى يعرفها جميع سكان الأرض .

اما التشريع والتحليل والتحريم فانه بدا فى الناس من موسى بن عمران فالجمل — على سبيل المثال — كان حلا لبنى اسرائيل ولسائر الأمم من زمان نوح عليه السلام ، والأخت كانت مباحة والعمة والخالة . وابراهيم عليه السلام تزوج من سارة وهى أخته . وعمران أبو موسى تزوج من يوكابد وهى عمته

ولم ينزل الله التوراة لبنى اسرائيل فقط ، وانما أنزلها لهم وللامم . مثلما كانت شريعة نوح من قبل ، ومثل شريعة محمد من بعد . =

= فانه لما اغرق الله فرعون وجنوده ، أورث أرض مصر لبنى اسرائيل بلا قتال . فدخلوها كدخول الفاتحين ، فى زمان موسى نفسه . وبنوا فيها المساجد لعبادة الله تعالى . والأئمة كانوا من نسل هرون من سبط لاوى . وكانوا يعلمون شريعة التوراة ، ويلزمون المصريين بها . فقد قال تعالى : « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا . واجعلوا بيوتكم قبلة ، واقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين » يقصد بالبيوت : مساجد . وأن تكون قبلة لجميع الراغبين فى معرفة الله وعبادته . ويريد بأخيه : ان الأئمة الشارحين للدين يكونون من نسل هرون خاصة — والحال عند بنى اسرائيل كذلك — وارث بنى اسرائيل لمصر لم يكن ليكون المصريون عبيدا لهم ، وانما كان لحكمهم وتعليمهم الشريعة . كما حدث مع بنى اسماعيل عليه السلام لما فتحوا « مصر » فى زمان عمرو بن العاص رضى الله عنه . فان بنى اسماعيل ورثوا أرض مصر ، عوضا عن بنى اسرائيل ، وحكموا المصريين وعلموهم شريعة القرآن . وهم الى هذا اليوم وارثون . والى يوم الدين سيظل ارثهم فى مصر ، والعالم أجمع .

وحكى الله فى القرآن الكريم : أن ابراهيم أبو اليهود والمسلمين كان يجاهد بكلامه وبسيفه هو والمؤمنون معه . والجهاد يدل على أن الدعوة عامة . فقد قال تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج . ملة ابيكم ابراهيم » فملته : هى الجهاد فى سبيل الله . وقال تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه . اذ قالوا لقومهم : أنا براء منكم ، ومما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده . الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شىء ، ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » .

وحكى فى القرآن : أن الجهاد والقتال فى سبيل الله كان على بنى اسرائيل فريضة ، لنشر شريعة موسى فى جميع امم الأرض . ذلك قوله : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله . فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن »

الأقربين » ثم يقول : « وما أرسلناك الا رحمة للعاملين » وهذا معناه : أنه مكلف بتفهيم عشيرته أولا • ثم هم من بعده ، يتولون دعوة الأمم • كما حدث مع أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم من بعده عليه السلام

وقال للمسلمين : جاهدوا فى سبيل الله كما جاهد الحواريون أتباع عيسى من قبل : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى بن مريم للحواريين : من انصارى الى الله ؟ » .

والحواريون جاهدوا بالسيف . وكان جهادهم لنشر شريعة التوراة ، =
= وتعريف الأمم بقرب مجيء محمد صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا به اذا جاء ، ويتركوا شريعة موسى . وظلوا مجاهدين الى زمان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بعد الميلاد . وفريق منهم قتلهم اليهود فى نجران فى الأخدود لتصريحهم بذكر محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان الدين اليهودى سائدا فى أرض مصر ، وسائر البلاد وفيه ان النبى المنتظر سيأتى من نسل اسماعيل عليه السلام . ومن عد سبى بابل ، كان الدين اليهودى سائدا فى أرض مصر وسائر البلاد وفيه أن النبى المنتظر قد يأتى من اليهود. وكل الذين آمنوا بعيسى عليه السلام آمنوا به على أنه مصدق التوراة ، ومبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانفصلت مساجد المؤمنين به ، عن مساجد اليهود ، وظهر فى كل بلد طائفتان . طائفة اليهود ، وطائفة النصارى . كما يظهر فى البلد الواحد أهل سنة وشيعة .

وكان الفرق بين الطائفتين : هو ان اليهود لايصرحون بمحمد، والنصارى يصرحون به .

وبعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م اتفق الجميع على عدم التصريح بمحمد صلى الله عليه وسلم أما اليهود فانهم قالوا : أن النبى المنتظر ليس هو عيسى ابن مريم ، ولم يأت بعد . وأما النصارى فانهم قالوا : ان النبى المنتظر هو عيسى بن مريم ، ولا نبى من بعده الى يوم القيامة .

وكان الناس يتعبدون على التوراة . يهودا ونصارى . الى ان جاء الاسلام .

والاسلام هو الناسخ لشريعة موسى . لقول الله تعالى : « ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة . وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » والانجيل ليس شريعة . وانما هو بشرى باقتراب زمان النبى المنتظر الذى كتب عنه موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ » .

وعلى ما ذكرنا — وقد فصلنا القول فيه فى كتابنا نقد التوراة — يكون الحديث الذى فيه : « وكان كل نبى يبعث الى قومه خاصة » حديث موضوع ، لئلا يخزى المسلمون علماء اهل الكتاب فى تركهم دعوة الأمم الى الله تعالى .

ونفس الحال كان فى الشريعة المنسوخة . فان موسى عليه السلام قال لقومه أولا . وبعد ما فهموا دعوته ، ووعوا رسالته ، أمرهم بدعوة الأمم الى الله ، وأمرهم بأن يكفوا عن دعوة الأمم اذا ظهر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يتبعوه ويساعدوه . ذلك قوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون .. » .

وقد حكى الله تعالى فى القرآن الكريم أن بنى اسرائيل جاهدوا فى سبيله ، ونشروا شريعته فقال : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير . فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا » ثم بين أن داود وسليمان أعدا الخيل للجهاد فى سبيل الله « اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد » وأن سليمان كان له جنود للحرب فى سبيل الله . وبين الله فى القرآن أن التوراة كانت نورا وهدى للناس . فقد جاء فيه : « ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة » .

ولكن اليهود فى سبى بابل رأوا جعل التوراة شريعة لهم من دون الناس ، وامتنعوا عن الجهاد من وقتئذ فى سبيل الله .

وقد فضحهم الله على هذا فى القرآن ، وفضحهم المسيح عيسى عليه السلام فى الانجيل . وأمر الحواريين بالانطلاق الى مدن بنى اسرائيل أولا . وبعد ما يفهم بنو اسرائيل دعوته ، يتجهون الى بلاد الأمم . فهو لم يمتنع عن دعوة الأمم ، وانما قال لعشيرته الأقربين أولا : « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ١٠ : ٥ — ٧) أى مجىء محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

والسنة النبوية عند الراسخين فى العلم مصدر للتشريع ، اذا كانت مفسرة للقرآن ، أو موافقة له فى المعنى . وهى كلها بجميع أنواعها مروية عن طريق رواية الآحاد . عن فلان . عن فلان . وقد منع الله من شهادة الواحد فى شئون الدنيا ، والمنع منها فى شئون الدين أولى وأحرى . وقد

صرح راسخون فى العلم من علماء جامع الأزهر بالقاهرة بأن أحاديث الآحاد ليست حجة فى اثبات عقيدة أو نفى عقيدة . وتصريحهم هذا ، يظهر الشك فى الأحاديث كلها . اذ ليس المتروك منها فى نظرهم بأقل درجة من غير المتروك . اذ الكل برواية الواحد . ثم انهم قالوا للاميين : ان الشارع أجاز الظن فى الأمور الفقهية . ولهذه الاجازة . يصح الاستدلال بالأحاديث فى الفقه ، لا فى علم التوحيد . والناظر فى القرآن الكريم يجد الشارع لم يجز الظن فى أى أمر من الأمور فقد قال تعالى : « وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » والله تعالى أنزل الشريعة للحكم بها ولا يصح تنظيم حياة الناس بأخبار مشكوك فيها .

وكتابنا هذا رأينا حال تأليفه أن نسميه بافساد الأديان من أربابها . وعدلنا اسمه الى « حكم المرتد عند المسلمين وأهل الكتاب » وقد أكثرنا الكلام فى الأحاديث النبوية . فى القسم الثانى . من هذا الكتاب . وذلك ليعلم القارىء حقيقتها ، من قبل أن يستدل بها ، على أى أمر من الأمور . على أى أمر من الأمور .

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

د / أحمد حجازى أحمد السقا

القسم الأول

في

حكم المرتد في التوراة والانجيل
وبيان : أن اليهود والنصارى مرتدون
عن دينهم . وليسوا على شيء
ويجب على أهل العالم طلبهم للقتل ،
ـ حسب نصوص كتبهم المقدسة ـ
وبيان : ان علماء اليهود يصرحون بقتل
النصارى ، ويطلبونهم للقتل
لأنهم مرتدون عن التوراة ، ومفسدون في الأرض .

حكم المرتد في التوراة والإنجيل

أولا ــ التعريف بدين الاسلام :

اذا استسلم المرء لأحكام الله ، وألغى ارادته ، وعمل بارادة الله ، فانه يكون مسلما • أى مستسلما • كاستسلام الجندى فى ساحة القتال لارادة آسره وغالبه • واذا كانت أحكام الله قد تلقاها من موسى النبى عليه السلام فانه يكون مسلما على دين موسى عليه السلام • واذا كانت من محمد صلى الله عليه وسلم فانه يكون مسلما على دين محمد صلى الله عليه وسلم •

ثانيا ــ حكم المرتد عن دين الاسلام :

الاسلام وفقا لشريعة موسى عليه السلام ، حل محله الاسلام وفقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم • والعقائد فى الشريعتين هى هى لقوله تعالى : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » • والشرائع هى التى تفرق بين الشريعتين • فشريعة التوراة غير شريعة القرآن لقوله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » • وهى قد نسخت بالقرآن • وسنذكر حكم المرتد كمثال على التفرقة •

حكم المرتد فى التوراة :

١ ــ تبين التوراة : أن أى انسان يدخل فى الاسلام على شريعة موسى • ثم ينكر حكما واحدا من أحكامها الفقهية ، فانه يكون مستوجب القتل • ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التثنية : « اذا عسر عليك أمر فى القضاء بين دم ودم ، أو بين دعوى ودعوى ، أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات فى أبوابك ، فقم واصعد الى المكان الذى يختاره الرب الهك ، واذهب الى الكهنة اللاويين ، والى القاضى الذى يكون فى تلك الأيام ، واسأل فيخبروك بأمر القضاء • فتعمل حسب كل ما يعلمونك • حسب الشريعة التى يعلمونك ، والقضاء الذى يقولونه لك ، تعمل • لا تحد عن الأمر الذى يخبرونك به يمينا أو شمالا • والرجل الذى يعمل بطغيان ،

فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ، ليخدم الرب الهك ، أو للقاضى ، يقتل ذلك الرجل ، فتنزع الشر من اسرائيل ، فيسمع جميع الشعب ويخافون ، ولا يطغون بعد » [تث ١٧ : ٨ — ١٣] .

٢ — وتبين التوراة : أن أى انسان يصرح بارتداده عن الشريعة كلها ، فإنه يكون مستوجب القتل . ذلك قوله : « اذا وجد فى وسطك ، فى أحد أبوابك ، التى يعطيك الرب الهك رجل أو امرأة ، يفعل شرا فى عينى الرب الهك ، يتجاوز عهده ، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ، ويسجد لها أو للشمس أو للقمر ، أو لكل من جند السماء . الشىء الذى لم أوص بـه ، وأخبرت وسمعت وفحصت جيدا ، واذا الأمر صحيح أكيد ، قد عمل ذلك الرجس فى اسرائيل ، فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير الى أبوابك . الرجل أو المرأة ، وارجمه بالحجارة حتى يموت ، على فم شاهدين أو ثلاثة شهود ، يقتل الذى يقتل ، لا يقتل على فم شاهد واحد ، أيدى الشهود تكون عليه أولا لقتله ، ثم أيدى جميع الشعب أخيرا ، فتنزع النر من وسطك » [تث ١٧ : ٢ — ٧] .

٣ — وتبين التوراة : أن من يضل عن سبيل الله ، يقتل . ففى الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية : « اذا قام فى وسطك نبى ، أو حالم حلما ، وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها ، قائلا : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ، ونعبدها ، فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب الهكم يمتحنكم ، لكى يعلم هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ، ومن كل أنفسكم ؟ وراء الرب الهكم تسيرون ، واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، واياه تعبدون ، وبه تلتصقون . وذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، يقتل .. الخ » [تث ١٣ : ١ —] .

حكم المرتد فى الانجيل :

اذا ظهر أى حكم فقهى فى التوراة ، فانه لا يصح البحث عنـه فى الانجيل . وعلى ذلك . فحكم المرتد عند النصارى هو نفسه حكم المرتد عند

اليهود • وذلك لأن عيسى عليه السلام لم ينسخ التوراة ، فانه قد قال : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس » [مت ٥ : ١٧] وقال : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه ، وافعلوه » [متى ٢٣ : ٢ — ٣] •

وجاء فى روايات الأناجيل : أن علماء بنى اسرائيل اتهموا عيسى عليه السلام بأنه خالف التوراة فى حكم تشريعى • وزعموا : أنه مستوجب القتل للمخالفة ، وائتمروا عليه لقتله • مع أنه قد بين لهم : أنه على شريعة موسى ، وأن المخالفة ، لضرورة هى تشبه الضرورة التى ألجأت داود عليه السلام الى مخالفتها فى يوم من الأيام •

ففى انجيل مارقوس : « فأتى اليه أبرص ، يطلب اليه ، جاثيا ، وقائلا له : ان أردت تقدر أن تطهرنى • فتحنن يسوع ، ومد يده ولمسه ، وقال له : أريد ، فاطهر • فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر • فانتهره ، وأرسله للوقت • وقال له : انظر لا تقل لأحد شيئا ، بل اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى ، شهادة لهم » [مر ١ : ٤٠ — ٤٤] •

وفى نفس الانجيل : أن يوم السبت يوم مقدس لا يعمل فيه اليهودى عملا من الأعمال اليومية المعتادة • كما تنص التوراة على ذلك فى الوصايا العشر وأن عيسى عليه السلام وتلاميذه قطفوا سنابل فى يوم السبت — والقطف عمل — فقال له العلماء : ان تلاميذك قد كسروا شريعة السبت ، وفعلوا ما لا يحل فعله • فدافع عنهم بقوله : انهم فعلوا ما فعلوه ، لضرورة الجوع • كما فعل داود حين احتاج وجاع هو والذين معه •

وفى نفس الانجيل : أن عيسى عليه السلام وجد رجلا يده يابسة فى يوم سبت ، فقال له : « مد يدك • فمدها ، فعادت يده صحيحة ، كالأخرى » فلما شفاه باذن الله ، اجتمع السفهاء من علماء بنى اسرائيل وتشاوروا عليه ، لكى يقتلوه • وهذا يدل على أن مخالفة شريعة موسى ،

من المستسلم لها ، والسائر على نهجها ، يكون مستوجب القتل ، حتى ولو كان مؤمنا بالله واليوم الآخر .

ففي الأصحاح الثاني من انجيل مرقس : « واجتاز في السبت بين الزروع . فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل ، وهم سائرون . فقال له الفريسيون . انظر لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل ؟ فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داوود حين احتاج وجاع ، هو والذين معه . كيف دخل بيت الله في أيام أبياثار ، رئيس الكهنة ، وأكل خبز التقدمة ، الذي لا يحل أكله الا للكهنة ، وأعطى الذين كانوا معه أيضا ؟ ... » [مر ٢ : ٢٣ —] .

وفي الأصحاح الثالث : « ثم دخل أيضا الى المجمع . وكان هناك رجل يده يابسة . فصاروا يراقبونه ، هل يشفيه في السبت ؟ لكي يشتكوا عليه ، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة : قم في الوسط ، ثم قال لهم : هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر ؟ تخليص نفس أو قتل ؟ فسكتوا . فنظر حوله اليهم بغضب ، حزينا على غلاظة قلوبهم . وقال للرجل : مد يدك . فمدها . فعادت يده صحيحة : كالاخرى . فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين ، وتشاوروا عليه ، لكي يهلكوه » [مر ٣ : ١ — ٦] .

فتاوى عيسى عليه السلام في الدين :

وكان عيسى عليه السلام يفتي الناس في الدين على شريعة موسى ، ويستدل بنصوصها . واذا وجد مسألة خلافية ، حسم النزاع فيها بالترجيح ، واذا وجد نصا قد لغا العلماء في معناه ، كان يرد اللغو ، بدليل من التوراة ذاتها ، واذا حرم علماء بني اسرائيل على الناس أشياء من تلقاء أنفسهم ، أفتى بالحل . مثله — مع الفارق — مثل علماء المسلمين . فانهم مفسرون وشارحون لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وليس لهم حق التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم .

وعن هذا نذكر ما يلي :

المثال الأول :

فى الأصحاح السابع من انجيل مرقس : « واجتمع اليه الفريسيون وقوم من الكتبة ، قادمين من أورشليم . ولما رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون خبزا بأيد دنسة ، غير مغسولة ، لاموا . لأن الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا أيديهم باعتناء ، لا يأكلون . متمسكين بتقليد الشيوخ ، ومن السوق ان لم يغتسلوا ، لا يأكلون . وأشياء أخرى كثيرة ، تسلموها للتمسك بها ، من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة .

ثم سأله الفريسيون والكتبة : لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ ، بل يأكلون خبزا بأيد غير مغسولة ؟

فأجاب وقال لهم : حسنا تنبأ عنكم أنتم المرائين . كما هو مكتوب : « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا ، وباطلا يعبدوننى . وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » لأنكم تركتم وصية الله ، وتتمسكون بتقاليد الناس .. الخ » [مر ٧ : ١ —] .

يريد — عليه السلام — أن يقول : ان اشعياء قد تنبأ عن علماء بنى اسرائيل بأنهم مراءون ومنافقون وكذابون ، وأنهم قد شددوا على الناس فى تناول الطعام من تلقاء أنفسهم ، ويريد أن يقول لهم : ارجعوا الى نصوص التوراة نفسها لتتعلموا دينكم ، ولا ترجعوا الى كلام العلماء . فانهم قد أبطلوا كلام الله بتقاليدهم . ثم أباح — عليه السلام — الأكل بأيد غير مغسولة . وذلك لأن التوراة لا تنص على تحريم الأكل والأيادى غير مغسولة .

المثال الثانى :

قال موسى عليه السلام : « أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أبا أو أما ، فليمت موتا » وعلماء بنى اسرائيل أشاعوا فى الناس : بأن من يقدم القرابين لله ، فان الله يرضى عنه ولو لم يكرمهما ، فكان الأبناء يقدمون القرابين ، ويمتنعون عن اكرام الوالدين ، فارجع عيسى عليه السلام الناس الى الأصل ، ومنع من لغو العلماء فى النصوص . وقد بين هذا مرقس فى

قوله : « ثم قال لهم : حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم .. الخ » [مر ٧ : ٩ —] وغرض العلماء من هذا هو أن من يجب عليه اكرام أمه أو أبيه — مثلا — بألف شاقل . فانه لو قدم لله نذورا بشاقل ، فالشاقل يكفى . لأن العلماء سينتفعون بالشاقل وهم لن يحصل لهم نفع ، اذا أكرم أبويه . فهم منعوا الرحمة بالقريب ، بحيلة النذور للمشايخ واضرحة الموتى ، وتقديم القرابين للهيكل .

المثال الثالث :

وضح موسى عليه السلام فى التوراة صفات النبى الآتى على مثاله فى قوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ » [تث ١٨ : ١٥ —] فأطلق اليهود على هذا النبى لقب « المسيح » وهو فى بعض اللغات « المسيا »[1] وأشاعوا من بعد سبى بابل كذبا وزورا : أن هذا النبى سيظهر فى بنى اسرائيل .

وقال العبرانيون : انه سيظهر من نسل داود عليه السلام . وقال السامريون : انه سيظهر من نسل يوسف عليه السلام فبين لهم عيسى عليه السلام أن اختلافهم هو بلا دليل ، لأن النبى الآتى سيكون من نسل اسماعيل عليه السلام وقد حاجه العبرانيون — الذين هو منهم — فاحتج عليهم بكلام داود عن النبى الآتى ، وهو أنه قال عنه : انه سيده . ومعنى قوله انه سيده : هو أنه اذا ظهر ، فانه سيتسلم الملك والنبوة من اليهود ، وسيخضع اليهود كلهم لملكه وشريعته . وهو يشير بسيادته الى أنه يجب على اليهود أن يخضعوا له اذا جاء ، ويدخلوا فى دينه . ويظلوا على الولاء له أبد الدهر .

ففى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى : « وفيما كان الفريسيون مجتمعين،سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له : ابن داود ، قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » فان

(١) المسيا — بفتح الميم وكسر السين المهملة ، وتشديد الياء مفتوحة . وهى كلمة حسنة تطلق على ١ — النبى ٢ — والملك ٣ — والعالم .

كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » [متى ٢٢ : ٤١ — ٤٦] .

وقول داود عليه السلام مذكور فى المزمور المائة والعاشر . وبدؤه : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك ... الخ » وهو فى النص العبرانى : « قال يهوه لأدوناى » أى قال الله لسيد داود . وفى ترجمة اليسوعيين : « قال الرب لسيدى » ولا يمكن أن يكون عيسى سيد داود كما يدعى النصارى . وذلك لأنه من اليهود ، من سبط لاوى ، من نسل هرون عليه السلام من جهة أمه رضى الله عنها .

وقد وضحنا هذا فى غير هذا الموضع . والغرض من ذكره ههنا : هو بيان أن عيسى عليه السلام كان يبين لهم ما كانوا فيه يختلفون ، ويستدل بالتوراة على قوله . لا أنه أنشأ ديانة ، أو نسخ ديانة .

تفسير المسيح عيسى للتوراة :

وكان عيسى عليه السلام — وهو من أولى العزم من الرسل — يدخل مجامع بنى اسرائيل للوعظ والدرس والافتاء على وفق كتاب موسى . مثله مثل العالم من علماء المسلمين على القرآن ، وكان من حقه امامة المسلمين من اليهود والدخلاء فى الصلاة ، واجراء المراسيم الدينية ؛ لأنه من الهارونيين — وهم الأئمة العظام — وكان يطلب من الكتبة — اللاويين — قراءة نص من النصوص ، ثم يشرع هو فى تفسيره ليس كتفسير المرائين ، وانما كتفسير المخلصين لدينهم ، ولذلك كانت كلماته مؤثرة ، ونافذة فى القلوب .

وكان فى أثناء الكلام يذكر عبارات من التوراة تدل على صحة قوله ، وتقنع السامعين بمراده .

وكان اذا سئل عن حكم فقهى أو عقائدى أو خلقى ، يجيب السائل ، ويذكر له النص الذى استدل به من التوراة .

ومثال ذلك :

أنه فى يوم من الأيام قرأ الكتبـة فى مجمع من المجـامع المزمور الخامس والسبعين ، من مزامير داود عليه السلام ــ والمزامير كتاب من كتب الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى عليه السلام ــ ثم انتصب لتفسيره كما فى هذا النص الذى ننقله من انجيل برنابا :

النص :

« قرأ الكتبـة فى ذلك اليوم مزمور داود ، حيث يقول : « متى وجدت وقتا أقضى بالعدل وبعد قراءة الأنبياء ، انتصب يسوع ، وأومأ ايماء السكوت بيديه ، وفتح فاه وتكلم هكذا[٢] :

أيها الاخوة لقد سمعتم الكلام الذى تكلم به النبى داود أبونا : أنه متى وجد وقتا قضى بالعدل ، انى اقول لكم حقـا ان كثيرين يقضـون فيخطئون ، وانما يخطئون فيمـا لا يوافق أهواءهم ، وأما ما يوافقهـا ،

---

(٢) نص المزمور من ترجمة البروتستانت : « نحمدك يا الله ، نحمدك واسمك قريب ، يحدثون بعجائبك ، لأنى أعين ميعادا . أنا بالمستقيمات أقضى ، ذابت الأرض وكل سكانها، أنا وزنت أعمدتها، سلاه ، قلت للمفتخرين: لا تفتخروا . وللأشرار لا ترفعوا قرنا . لا ترفعوا الى العلى قرنكم . لا تكلموا بعنق متصلب . لأنه لا من المشرق ولا من المغرب ولا من برية الجبال . ولكن الله هو القاضى . هذا يضعه وهذا يرفعه . لأن فى يد الرب كأسا وخمرها مختمرة ، ملآنة شرابا ممزوجا . وهو يسكب منها ، لكن عكرها عيصـة ، يشربه كل أشرار الأرض . أما أنا فأخبر الى الدهر . أرنم لاله يعقوب وكل قرون الأشرار أعضب . قرون الصديق تنتصب » [مز ٧٥ : ١ ــ ١٠] وهو مزمور يبين أن الأمة اليهودية سينتهى ملكها ، وستنسخ شريعتها . وسيعز الله أمة النبى الآتى ويعطيها ملكا ونبوة . ذلك قوله : « هذا يضعه ، وهذا يرفعه » ثم يبين أن الأشرار وهم اليهود سيتآمرون على النبى المنتظر ، وانه سينتصر عليهم بقوة الله . فالمزمور من مزامير المسيا الآتى .

فيقضون به قبل وقته ، كذلك ينادينا الله آباءنا على لسان نبيه داود قائلا : « اقضوا بالعدل يا أبناء الناس » فما أشقى أولئك الذين يجلسون على منعطفات الشوارع ولا عمل لهم الا الحكم على المارة قائلين : ذلك جميل وهذا قبيح ، ذلك حسن وهذا ردى ويل لهم ، لأنهم يرفعون قضيب الدينونة من يد الله ، الذى يقول : « انى شاهد وقاض ، ولا أعطى مجدى لأحد » الحق أقول لكم : ان هؤلاء يشهدون بما لم يروا ولم يسمعوا قط او يقضون دون أن ينصبوا قضاة وأنهم لذلك مكروهون على الأرض أمام عينى الله الذى سيدينهم دينونة رهيبة فى اليوم الآخر ويل لكم ويل لكم أنتم الذين تمدحون الشر وتدعون الشر خيرا ، لأنكم تحكمون على الله بأنه أثيم ، وهو منشىء الصلاح ، وتبررون الشيطان كأنه صالح ، وهو منشأ كل شر . فتأملوا أى قصاص يحل بكم . وأن الوقوع فى دينونة الله مخوف ، وستحل حينئذ على أولئك الذين يبررون الأثيم لأجل النقود ، ولا يقضون فى دعوى اليتامى والأرامل الحق أقول لكم : ان الشياطين سيقشعرون من دينونة هؤلاء ، لأنها ستكون رهيبة جدا .

أيها الانسان المنصوب قاضيا لا تنظر الى شىء آخر لا الى الأقرباء ولا الى الأصدقاء ولا الى الشرف ولا الى الربح بل انظر فقط بخوف الله الى الحق الذى يجب عليك أن تطلبه باجتهاد أعظم ، لأنه يقيك دينونة الله . ولكنى أنذرك : أن من يدين بدون رحمة يدان بدون رحمة .

قل لى أيها الانسان الذى تدين غيرك : ألا تعلم : أن منشأ كل البشر من طينة واحدة ؟ ألا تعلم أنه لا يوجد أحد صالح الا الله وحده ؟ لذلك كان كل انسان كاذبا وخاطئا . صدقنى أيها الانسان اذا كنت تدين غيرك على ذنب ، فان فى قلبك منه ما تدان عليه . ما أشد القضاء خطرا . ما أكثر الذين هلكوا بقضائهم الجائر . فالشيطان حكم على الانسان بأنه أنجس منه . لذلك عصى الله خالقه تلك المعصية التى لم يتب عنها ، فان لى علما بذلك من محادثتى اياه .

وقد حكم أبوانا الأولان بحسن حديث الشيطان ، فطردا لذلك من

الجنة وقضيا على كل نسلهما . الحق أقول لكم : لعمر الله الذى أقف فى حضرته أن الحكم الباطل هو أبو كل الخطايا ، لأنه لا أحد يخطىء بدون ارادة ، ولا أحد يريد ما لا يعرف ، ويل اذا للخاطىء الذى يحكم فى نفسه بأن الخطيئة صالحة ، والصلاح فساد . الذى يرفض لذلك السبب الصلاح ، ويختار الخطيئة . انه سيحل به قصاص لا يطاق متى جاء الله ليدين العالم .

ما أكثر الذين هلكوا بسبب القضاء الجائر . وما أكثر الذين أوشكوا أن يهلكوا .

قضى فرعون على موسى وشعب اسرائيل بالكفر وقضى شاول على داود بأنه مستحق الموت . وقضى آخاب على ايلياء ، ونبوخذ نصر على الثلاثة الغلمان الذين لعنوا آلهتهم الكاذبة وقضى الشيخان على سوسنة ، وقضى كل الرؤساء عبدة الأصنام على الأنبياء .

ما أرهب قضاء الله . يهلك القاضى وينجو المقضى عليه . ولماذا هذا أيها الانسان ؟ لأنهم يحكمون على البرىء ظلما بالطيش . ما كان أشد قرب الصالحين من الهلاك ، لأنهم حكموا باطلا . يتبين ذلك : من قصة أخوة يوسف الذين باعوه من المصريين . ومن هارون ومريم أخت موسى اللذين حكما على أخيهما . وثلاثة من أصدقاء أيوب حكموا على خليل الله البرىء أيوب وداود قضى على مغيوبشت ، وأوريا وقضى كورش بأن يكون دانيال طعاما للأسود وكثيرون آخرون أشرفوا على الهلاك بسبب هذا لذلك أقول لكم لا تدينوا فلا تدانوا .

فلما أنجز يسوع كلامه ، تاب كثيرون ، نائحين على خطاياهم ، ودوا لو يتركون كل شىء ويتبعونه ولكن يسوع قال : أبقوا فى بيوتكم ، واتركوا الخطيئة ، واعبدوا الله بخوف فبهذا تخلصون ، لأنى لم أت لأخدم بل لأخدم .

ولما قال هذا ، خرج من المجمع والمدينة ، وانفرد فى الصحراء ليصلى ، لأنه كان يحب العزلة كثيرا » .

التعليق :

ان الكتبة قرأوا المزمور الخامس والسبعين ، وهو من مزامير « المسيا » أى النبى الأمى الآتى الى العالم ، الذى يبشر يسوع المسيح بمقدمه من بعده ، وفى التوراة : أن ابراهيم عليه السلام لما سار أمام الله ، ودعا الى عبادته ، ونبذ عبادة الأوثان ، كافأه الله تعالى بأن يجعل فى ذريته النبوة والكتاب • وقسمهما بالتساوى على نسل اسماعيل ونسل اسحق ــ عليهما السلام ــ وجعل نسل اسحق أولا ، فاختار منهم بنو اسرائيل • وأنزل الشريعة فيهم على موسى عبده ونبيه • ومنه ابتدأ لبنى اسرائيل ملك فى العالم على الأمم ، وعلى كل نسل ابراهيم • ليمكنوا للشريعة ، اذ الشريعة يلزمها الملك • وفى سبى بابل سنة ٥٨٦ ق • م رأى بنو اسرائيل أن يحرفوا التوراة ، لئلا يخضعوا لملك بنى اسماعيل عليه السلام وحرفوها ووضعوا فيها النصوص عن محمد صلى الله عليه وسلم محتملة له ، ومحتملة لنبى قد يظهر فيهم • وفى المزمور هذا ، يتحدث داود عن أن الله يعز من يشاء ، ويذل من يشاء • وأن الله سينصر النبى الآتى ، وسيهلك أعداءه • وعيسى عليه السلام يوبخ به اليهود • فيقول : لقد فرحتم بنعم الله عليكم • فلماذا تحزنون من فضله على غيركم ؟ اقضوا بالعدل ، فانه كان لابراهيم ولدان ، شاء الله أن يسر بهما ابراهيم الذى جاهد معه ، ولو أن البركة بدأت فى اسماعيل أولا ، ألستم كنتم تحزنون اذا لم يمكن الله لكم ؟

تميز عيسى ابن مريم عن علماء بنى اسرائيل :

وعلماء بنى اسرائيل من قبل سبى بابل كانوا يصرحون بظهور ١ ــ ملك • ٢ ــ ونبوة فى بنى اسماعيل عليه السلام ، ويصرحون باسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ومن بعد سبى بابل رفعوا اسم « محمد » ووضعوا عوضه ما يدل عليه بحساب الجمل ، ووضعوا النصوص عنه بصيغة ، محتملة له أو لغيره ، منهم ، وأوصوا العلماء بأن يشيعوا فى الناس بأن النبى الآتى سيأتى منهم أنفسهم •• والمسيح عيسى عليه السلام تميز

عن العلماء بجهره بالحق ، واظهاره الدليل عليه من التوراة نفسها ، وقد صرح بأن النبى الآتى هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج هكـذا :

١ ـ « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير ، سر أمامي ، وكن كاملا ، فاجعل عهدى بيني وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا ..

وأثمرك كثيرا جدا ، واجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون » [تك ١٧ : ١ ـ] .

لاحظ : « واجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون » لماذا ؟ للسير أمام الله لدعوة الناس الى عبادته .

٢ ـ وقد قسم الله الملك والشريعة على ولدين اثنين فقط هما : اسحق ابن سارة ، واسماعيل بن هاجر ، على أن يبدأ الملك في نسل اسحق أولا من موسى صاحب الشريعة ، ويكون كل نسل ابراهيم تحت رئاستهم ، وأيضا : كل الأمم التى سيفتحون بلادها ، ويدعون فيها ، ثم بعد مدة من الزمان يبدأ ملك بني اسماعيل ، من محمد صاحب الشريعة ، ويكون كل نسل ابراهيم تحت رئاستهم ، وأيضا : كل الأمم التى سيفتحون بلادها ، ويدعون فيها ، والتقسيم حسب نصوص التوراة هكذا :

(أ) « وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة ، وأباركها ، وأعطيك أيضا منها ابنا . اباركها فتكون أمما ، وملوك شعوب منها يكونون » .

لاحظ : أن ابنها اسحق سيكون أمما . وسيكون من نسله ملوك على الشعوب ، ولاحظ : أن كلمة « اباركها » معناها : أن يكون من النسل : (أ) أمم (ب) وملوك يتعبدون لله تعالى حسب شريعته .

(ب) « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك » أي يسير أمامك في البلاد ، لدعوة الناس الي عبادتك . فرد الله تعالى عليه بقوله :

« وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد ، واجعله أمة كبيرة » .

لاحظ : أن ابراهيم طلب من الله أن يسير نسل اسماعيل أمامه ، وقبل الله طلبه . ولاحظ : أن الله باركه كما بارك اسحق . أى سيكون له فى المستقبل ملك على الأمم والشعوب وسيتعبدون لله تعالى حسب شريعته .

فاذا ادعى اليهود أن النبى الآتى سيكون من اليهود . فمتى يكون للاسماعيليين ملك ؟ وليس الملك لاستعباد الناس واذلالهم ، وانما الملك لهدايتهم الى الله ، والزامهم بالشريعة التى سينزلها على نبى من اسحق ، ثم نبى من اسماعيل .

ولما أعاد اليهود صياغة نصوص التوراة عن النبى الآتى . كتبوا أنه سيكون « من اخوتهم » .

وقد فسر المسيح من اخوتهم على بنى اسماعيل . لأن لاسماعيل بركة ، ولأن داود عبر عن النبى الآتى بأنه سيده . والابن لا يكون سيدا لأبيه ، ولأن موسى قال ان الآتى سيكون « مثلى » وفسر المثلية بالحروب والمعجزات والملك والانتصار على الأعداء . وقال : ولن يقوم مثلى من بنى اسرائيل . ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » وفى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى .. » .

ارتداد النصارى عن دين اليهود :

وهذه النصوص التى ذكرناها من التوراة والانجيل . تبين : أن النصارى مرتدون عن دين الاسلام الذى جاء به موسى عليه السلام . واذ المرتد عن الدين علنا، مستوجب القتل من علماء بنى اسرائيل ومن قضاتهم ومن

الأميين منهم ، والدخلاء ، فان علماء اليهود تتبعوا النصارى فى كل مكان ، وطلبوهم للقتل ، لأنهم مرتدون عن شريعة موسى الى دين أهل الروم •

بيان ارتداد النصارى عن التوراة :

والحق يقال : ان النصارى مرتدون علنا ، عن التوراة ، فى العقيدة ، وفى الشريعة وبيان ذلك :

(أ) أما فى العقيدة :

ففى التوراة : أن خالق العالم هو الله وحده ، وفيها : أن الله تعالى لا مثل له ، ولا كفء ، وأنه لا يرى ، ولا يقدر أحد أن يراه ، وأنه محتجب عن الحواس البشرية • وهذه نصوص منها : « اسمع يا اسرائيل • الرب الهنا رب واحد » (تث ٦ : ٤) « ليس مثل الله » (تث ٢٦:٣٣) : « أن الرب الهك هو الله ، الاله الأمين الحافظ العهد والاحسان للذين يحبونه ، ويحفظون وصاياه الى ألف جيل ، والمجازى الذين يبغضونه بوجوههم ، ليهلكهم ، لا يمهل من يبغضه • بوجهه يجازيه • فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعملها » • (تث ٧:٩–١١) •

« حقا ، أنت اله محتجب يا اله اسرائيل المخلص » (اش ٤٥) وقال موسى لله تعالى : « أرنى مجدك فقال : أجيز كل جودى قدامك ، وأنادى باسم الرب قدامك ، وأتراءف على من أتراءف ، وأرحم من أرحم • وقال: لا تقدر أن ترى وجهى • لأن الانسان لا يرانى ويعيش •• وأما وجهى فلا يرى » (خر ٣٣ :– ١٨) •

وشدد الله فى التوراة ، على نفى رؤيته فى الدنيا ، وشدد على نفى عمل تماثيل لآلهة ، سواء أكانت على هيئة بشرية ، أم كانت على هيئة حيوانية ، أم على أى هيئة من الهيئات • ففى الأصحاح الرابع من سفر التثنية : « فاحتفظوا جدا لأنفسكم • فانكم لم تروا صورة ما ، يوم كلمكم الرب فى حوريب ، من وسط النار ، لئلا تفسدوا ، وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا ، صورة مثال ما • شبه ذكر أو أنثى • شبه بهيمة ما ، مما على الأرض ، شبه طير ما ، ذى جناح مما يطير فى السماء ، شبه دبيب ما ،

على الأرض ، شبه سمك ما ، مما فى الماء ، من تحت الأرض وئلا ترفع عينيك الى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم ، كل جند السماء التى قسمها الرب الهك لجميع الشعوب التى تحت كل السماء ، فتغتر ، وتسجد لها ، وتعبدها .. » (تث ٤ : ١٥ —) .

فاقرأ هذا ، وانظر فى ما يفعله النصارى — وهم شيعة من شيع اليهود، — تجد أنهم طائفتين :

الطائفة الأولى — وهى طائفة الأرثوذكس — تعتقد : أن الله تعالى ، نزل من السماء ، واتخذ جسدا انسانيا بشريا — هو جسد يسوع المسيح — فالمسيح هو الله متجسدا . والله هو المسيح متجسدا . ويلزم على اعتقادهم هذا : أن الناس قد رأوا الله وأكلوا معه وشربوا . وأن اليهود — بزعمهم — لما قتلوا المسيح ، قتلوا الله نفسه . وهـــذا هو ارتداد عن الدين ، يستوجب القتل ، لأن الله لا يرى ولا يقدر أحد على رؤيته ، ولأن الله حى لا يموت ، لقول دانيال : « وحلف بالحى الى الأبد » (دا ١٢ : ٧) وفى انجيل يوحنا : « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨) فلماذا يخالفون التوراة والانجيل فى نفى الرؤية ؟ أليس هذا كفر بآيات الله تعالى ؟

وتجد النصارى يصنعون تماثيل لمريم العذراء وللمسيح ، فلماذا يصنعون وهم منهيون عن صنع تماثيل منحوتة « صورة مثال ما » ؟

والطائفة الثانية — وهى طائفة الكاثوليك والبروتستانت — تعتقد : أن الله اله . والمسيح اله . والروح القدس اله . وأن المسيح ابن الله بالطبيعة . وأن كل اله منفصل عن غيره ، ومستقل فى عمله عن غيره . وهذا مع تصريح التوراة بأن خالق العالم هو الله وحده . فأى ارتداد أعظم من هذا ؟ وأى كفر أشد من هذا ؟ بل ان الانجيل يصرح بأن عيسى بن مريم رسول الله . ففى انجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام : « أنا هو الشاهد لنفسى ، ويشهد لى الآب ، الذى أرسلنى » (يو ٨ : ١٨) ولما أحيا المسيح الميت . يقول يوحنا : « ورفع يسوع عينيه الى فوق ، وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن

لأجل هذا الجمع الواقف ، قلت ، ليؤمنوا أنك آنت أرسلتنى » (يوم ١١ : ٤٤) « الحق الحق أقول لكم : الذى يقبـل من أرسله ، يقبلنى ، والذى يقبلنى ، يقبل الذى أرسلنى » (يو ٢٠:٣) « أيها الآب البار . ان العالم لم يعرفك ، أما أنا فعرفتك ، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى » (يو١٧:٢٥).

هذا عن ارتداد النصارى عن دين اليهود فى العقيدة .

(ب) وأمـا فى الشريعـة :

فأعد قراءة نص التوراة . وهو : « فاعلم : أن الرب الهك هو الله . الاله الأمين الحافظ العهد والاحسان للذين يحبونه ، ويحفظون وصاياه ، الى ألف جيل ، والمجازى الذين يبغضونه بوجوههم ، ليهلكهم . لا يمهل من يبغضه . بوجهه يجازيه . فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام ، التى أنا أوصيك اليوم ، لتعملها » (تث ٧ : ٩ — ١١) .

لاحظ فى هـذا النص :

١ — « أن الرب الهك هو الله » .

٢ — « التى أنا أوصيك اليوم ، لتعملها » .

وأكد داود عليه السلام على أن العمـل بشريعة موسى حق لا ريب فيه ، وعلى أن الله سيجازى الانسان بحسب أعماله . ففى المزمور الثانى والستين : « مرة واحدة تكلم الرب . وهاتين الاثنتين . سمعت : أن العزة لله . ولك يا رب الرحمـة ، لأنك أنت تجـازى الانسـان كعمله » (مز ٦٢:١١—١٢) .

وقد ارتد النصارى عن الشريعة ، كما ارتدوا عن العقيـدة . ذلك لأنهم قالوا :

١ — ان العمل على وفق شريعة موسى قد بطـل بموت المسيح على الصليب .

٢ — وأن المسيح قد رفع خطايا من يؤمن به ، بإيمانه ، لا بأعماله . فهم لا يعملون بالتوراة . وهم لا يقرون بالمجازاة في الدار الآخرة بحسب أعمال المرء ، بل بحسب ايمانه بأن الله هو المسيح ، أو أن المسيح ابن طبيعي لله . فأي ارتداد أعظم من هذا ؟ وأي كفر أشد من هذا ؟

وهم بما قالوا لم يخالفوا التوراة فحسب ، بل خالفوا الانجيل أيضا . ففي انجيل متى يقول المسيح عيسى عليه السلام : « فكل من يسمع أقوالي هذه ، ويعمل بها : أشبهه برجـــل عاقل بنى بيته على الصخر ... الخ » (متى ٧ : ٢٤ —) .

وقال بقول المسيح يوحنا المعمـــدان . فانه قال لليهود : « يا أولاد الأفاعي . من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ؟ فاصـــنعوا أثمارا تليق بالتوبة » (لو ٣ : ٧ — ٨) وحكى لوقا حكاية عن المسيح عيسى عليـــه السلام ومما قال فيها : « وفيما هو يتكلم بهذا ، رفعت امرأة صوتها من الجمع . وقالت له : طوبى للبطن الذي حملك ، والثديين اللذين رضعتهما . أما هو فقال : بل طـــوبى للذين يســـمعون كلام الله ، ويحفظونه » (لو ١١ : ٢٧ — ٢٨) .

قصـــة الغني و « لعازر » :

وفي انجيل لوقا قصة رجل مسكين اسمه « لعازر » وهي تدل على أن العمل بأحكام التوراة عليه مدار النجاة في الدنيا والآخرة . وهي بذلك تخزي النصارى في قولهم : ان موت المسيح على الصليب قد غفر الخطايا . ولو كان قولهم صحيحا ، لما كان المسيح نفسه يصرح لهم بأن السماع من موسى — أي من شريعته — واجب .

يقـــول المسيح ما نصه :

« كان انسان غني . وكان يلبس الأرجوان والبز . وهو يتنعم كـــل يوم مترفها . وكان مسكين اسمه لعازر ، الذي طرح عند بابه ، مضروبا

بالقروح ، ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى ، بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه •

فمات المسكين ، وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم • ومات الغنى أيضا ، ودفن • فرفع عينيه فى الجحيم • وهو فى العذاب ، ورأى ابراهيم من بعيد ، ولعازر فى حضنه • فنادى يا أبى ابراهيم ، ارحمنى ، وأرسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ، ويبرد لسانى ، لأنى معذب فى هذا اللهيب• فقال ابراهيم : يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك ، وكذلك لعازر البلايا ، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب•وفوق هذا كله ، بيننا وبينكم هوة ، عظيمة ، قد أثبتت ، حتى ان الذين يريدون العبور من ههنا اليكم ، لا يقدرون ، ولا الذين من هناك يجتازون الينا •

فقال : أسألك اذا يا أبت أن ترسله الى بيت أبى ، لأن لى خمسة اخوة ، حتى يشهد لهم ، لكيلا يأتواهم أيضا الى موضع العذاب هذا • قال ابراهيم : عندهم موسى ، والأنبياء • ليسمعوا منهم • فقال : لا يا أبى ابراهيم • بل اذا مضى اليهم واحد من الأموات ، يتوبون •

فقال له : ان كانوا لا يسمعون من موسى ، والأنبياء • ولا ان قام واحد من الأموات ، يصدقون » (لو ١٦ : ١٩ —) •

فى هذا المثل نرى :

(أ) أن الغنى لم يعطف على الفقير • وعدم عطفه هو تعدى على الشريعة ، التى تنص على العطف على الفقير ، سواء كان يهوديا ، أو أمميا• ففى سفر الأحبار : « واذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه ، كالوطنى منكم ، يكون لكم الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك » (لا ١٩ : ٣٣) وفى سفر تثنية الاشتراع : « ان كان فيك فقير أحد من اخوتك ، فى أحد أبوابك ، فى أرضك ، التى يعطيك الرب الهك : فلا تقس قلبك ، ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له ••• » (تث ١٥ : ٧ —) •

والتعدي على الشريعة في ذنب واحد ـ كما ترى ـ يستوجب الخلود في جهنم • فما بال النصارى يعتدون على الشريعة كلها ولا يخافون من الله ؟

(ب) أن ابراهيم عليه السلام لم يشفع للغنى عند الله ، مع أنه من أبنائه • لعلمه بأنه ليس عند الله محاباة •

(جـ) أن ابراهيم عليه السلام لم يطلب من لعازر أن يسامح الغنى ، ليعفو الله عنه •

(د) أن ابراهيم عليه السلام اعتبر وجود الشريعة ، كوجود صاحبها • فموسى الذى مات قبل عيسى بآلاف السنين • يعتبر حيا فى أيام عيسى عليه السلام يدل تداول توراته بأيدى الناس على أنه حى معهم بكتابه ، لا بجسده • وهذا هو معنى قوله : « عندهم موسى ، والأنبياء » أى عندهم كتاب موسى ، وعندهم كتب الأنبياء • ككتاب داود واشعياء وارمياء • وهو لا يقصد بالعندية تملك الكتب ورؤيتها ، وانما هو يقصد علمهم بما فيها • والا لا يكون من فرق بين الغنى وبين لعازر • لأنهما معا يملكان الكتب ويرونها ويسمعون ما فيها من أفواه العلماء •

(هـ) أن المسيح عيسى عليه السلام ذكر هذا المثل ليعملوا بالشريعة•

بولس ألغى التوراة من على النصارى :

وكان النصارى الأولون ، يعملون بالتوراة ويدعون الناس الى العمل بها ، والى تركها اذا ظهر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى سفر أعمال الرسل : أن الأمم الذين تنصروا كانوا يدعون الى الختان • ذلك قوله : « وانحدر قوم من اليهودية ، وجعلوا يعلمون الاخوة أنه ان لم تختتنوا حسب عادة موسى ، لا يمكنكم أن تخلصوا » ـ « ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين ، وقالوا : انه ينبغى أن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى » (أع ١٥ : ١ ـ) وهم قد قالوا بأن يحفظوا ناموس موسى • من قول المسيح عيسى لهم : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه ، وافعلوه » (متى ٢٣ : ٢ ـ ٣) •

فقد أمر المسيح أتباعه بحفظ كتاب موسى ، والعمل به ، والسماع من كلام علماء بني اسرائيل . فكيف تسنى للنصارى أن يسمعوا لكلام بولس وشيعته بنبذ أحكام التـوراة وتركها ؟ ان هـذا ارتداد عن الدين ، يبيح لليهود بأن يطلبوهم للقتل . واذا لم يقتلوهم — لأنهم مرتدون — يكون اليهود متهاونين في شريعة موسى ، ومستهترين بها ، ورادين لها .

والنصارى لم يسمعوا لكل كلام « بولس » فانهم تركوا تصريحه لهم بأن الله حي لا يموت . وقالوا : ان الله هو المسيح ، وانه قد مات . يقول بولس : « أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم . نبشركم بأن ترجعوا من هذه الأباطيل ، الى الاله الحي ، الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » (أع ١٤ : ١٥) .

وصرح بولس بأن الله يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، ولا يحابي أحدا . وقد ترك النصارى تصريحه هذا ، واعتقدوا بغير دليل أن المسـيح شفع لهم عند الله . يقول بولس : « ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح . اليهودي أولا ، ثم اليوناني ، لأن ليس عنـــد الله محاباة » (كرو ٢ : ١٠ — ١١) .

انظر . الى التناقض في الكلام المأثور عن « بولس » مرة يصرح بأن المسيح يشفع لمن يؤمن به ، ولو لم يعمل . ومرة يصرح بأنه ليس عند الله محاباة . وهذا يدل على أن بولس صرح في البدء بعدم المحاباة . وبعـد موته بمئات من السـنين ، تكونت النصرانية الحالية . ونسب اليه ما لم يقله .

علماء اليهود يقولون ما لا يفعلون :

وقد فرق المسيح عيسى عليه السلام وتبعـه في التفريق بولس بين معرفة الشريعة وبين العمـل بالشريعـة ، فقال : ان علماء بني اسرائيـل يعرفون الشريعة ، ولكن لا يعملون بها . ونصح أتباعه بأن يعرفوا الشريعة من التلقي من أفواه العلماء ، وبين لهم أن عدم عملهم بها ، لا يكون باعثا لهم على عدم معرفتها . فكل انسان بخطيئته يؤخذ — كما صرح موسى في سفر التثنية — .

ففى انجيل متى : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ١ — ٣) وقال بولس : « هو ذا أنت تسمى يهوديا، وتتكل على الناموس ، وتفتخر بالله ، وتعرف مشيئته ، وتميز الأمور المتخالفة ، متعلما من الناموس ، وتثق أنك قائد للعميان ، ونور للذين فى الظلمة ، ومهذب للاغبياء ، ومعلم للاطفال ، ولك صورة العلم والحق فى الناموس . فأنت اذا الذى تعلم غيرك ، ألست تعلم نفسك ؟ الذى تكرز : أن لا يسرق، أتسرق؟ الذى تقول: أن لا يزنى، أتزنى؟ الذى تستكره الأوثان، أتسرق الهياكل ؟ الذى تفتخر بالناموس . أبتعدى الناموس تهين الله ؟ لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم » (أع ٢ : ١٧ — ٢٤) .

* * *

والأبرص اذا صح جسمه وبرىء ، يذهب الى الكاهن ، ومعه عصفوران حيان طاهران ، وخشب أرز وقرمز وزوفا ، ثم يغسل ثيابه ويحلق كل شعره ويستحم بماء ، فيطهر ، ويقيم خارج محلته سبعة أيام ، وفى اليوم السابع يحلق كل شعره ، رأسه ولحيته وحواجب عينيه كما هو مبين فى الأصحاح الثالث عشر وما بعده فى سفر اللاويين ، الذى هو سفر الأحبار . وفى الأناجيل : أن المسيح عيسى عليه السلام شفى برصا باذن الله . وأمرهم بالتوجه الى علماء بنى اسرائيل الكهنة ، ليعطوهم العصافير وخشب الأرز والقرمز ، ويتمموا مراسم الشريعة ، وهذه المعجزة لها حكمة بالغة . وهى أن الأبرص الذى شفاه الله على يده . لابد من أن يتوجه بعد الشفاء الى الكاهن . ولسوف يسأله عن مرضه ، وعن سبب شفائه . وعندئذ يذاع أمر المسيح ودعوته وهى أنه يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فيعلم الكاهن أن هذه الدعوة حق ، لأنها مؤيدة بقوة الله القاهرة . فيساعده فى تبليغها ، والا يحمل اثمه ووزره .

وقد فرق المسيح عيسى عليه السلام بين معرفة العلماء للشريعة ، وبين عملهم بها . وأقر المعرفة ، ووبخ على السلوك وأرسل الأبرص اليهم كما

نص الشريعة . وهذا يدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا خفاء على أنه كان متبعا للتوراة . ولم ينشىء ديانة مستقلة عن ديانة اليهود . وأنه اذا أراد النصارى أن يحكموا بالأنجيل ، فانهم اذا ارادوا الحكم به حقيقة ، فانه يحيلهم الى التوراة . لأن فيه قوله هو ذاته : « ما جئت لانقض الناموس » فانحكم بالأنجيل هو نفسه الحكم بالتوراة ، لأنه أوجب العمل بها على أتباعه .

وقد حكى برنابا ولوقا شفاء لعشرة برص ، وأمره لهم بالتوجه الى الكهنة ، واختلفا فى سرد القصة . على هذا النحو :

رواية برنابا :

« ولما انتهى يسوع من العبادة ، نزل من الجبل ، مع تلاميذه . والتقى عشرة برص ، صرخوا من بعيد : يا يسوع ابن داود ، ارحمنا . فدعاهم يسوع الى قربه ، وقال لهم : ماذا تريدون منى أيها الأخوة ؟ فصرخوا جميعهم : أعطنا صحة ، أجاب يسوع : أيها الأغبياء . أفقدتم عقلكم حتى تقولوا : أعطنا صحة ؟ ألا ترون أنى انسان نظيركم ؟ أدعوا الهنا ، الذى خلقكم — وهو القدير الرحيم — يشفكم . فأجاب البرص بدموع : اننا نعلم أنك انسان نظيرنا ، ولكنك قدوس الله ، ونبى الله ، فصل لله ، ليشفينا فتضرع الرسل الى يسوع قائلين : يا معلم ارحمهم . حينئذ أن يسوع ، وصلى قائلا : أيها الرب الاله القدير الرحيم ، ارحم وأصغ السمع الى كلمات عبدك . ارحم هؤلاء الرجال . وامنحهم صحة ، لأجل محبة ابراهيم أبينا ، وعهدك المقدس .

واذ قال يسوع هذا ، تحول الى البرص ، وقال : اذهبوا ، وأروا أنفسكم للكهنة ، بحسب شريعة الله .

فانصرف البرص وبرئوا على الطريق . فلما رأى أحدهم أنه برى ، عاد ينشد يسوع . وكان اسماعيليا . واذ وجد يسوع ، انحنى احتراما له قائلا : انك حقا قدوس الله . وتضرع اليه بشكر ، لكى يقبله خادما ،

أجاب يسوع : قد برىء عشرة ، فأين التسعة ؟ وقال للذى برىء : انى ما أتيت لأخدم ، بل لأخدم • فاذهب اذا الى بيتك ، واذكر ما أعظم ما فعل الله بك ، لكى يعلموا : أن الوعود الموعود بها ابراهيم وابنه ، مع ملكوت الله ، آخذه فى الاقتراب •

فانصرف الأبرص المبرأ • ولما بلغ جيرة حيه ، قص ما صنع الله به ، بواسطة يسوع ، (بر ١٩ : ١١ ــ ٢٤) •

رواية لوقا :

« وفى ذهابه الى أورشليم ، اجتاز فى وسط السامرة والجليل • وفيما هو داخل الى قرية ، استقبله عشرة رجال برص ، فوقفوا من بعيد • ورفعوا صوتا قائلين : يا يسوع • يا معلم ، ارحمنا فنظر ، وقال لهم : اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة • وفيما هم منطلقون ، طهروا • فواحد منهم لما رأى أنه شفى ، رجع يمجد الله بصوت عظيم ، وخر على وجهه عند رجليه ، شاكرا له • وكان سامريا • وأجاب يسوع وقال : أليس العشرة قد طهروا ؟ فأين التسعة ؟ ألم يوجد من يرجع ، ليعطى مجدا لله ، غير هذا الغريب الجنس ؟ ثم قال له : قم ، وامض • ايمانك خلصك » (لو ١٧:١١ــ١٩) •

الاتفاق بين الروايتين :

اتفق برنابا ولوقا على أن المسيح لما شفى العشرة باذن الله ، قال لهم: « اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة » وهذا هو ما يعنينا ابرازه ، لاثبات أن المسيح كان على شريعة موسى ، ولم ينسخها •

وقد أكد متى ومرقس ولوقا هذا المعنى فى ما حكوه عن الأبرص الواحد • ففى الأصحاح الأول من مرقس : « فأتى اليه أبرص ، يطلب جاثيا ، وقائلا له : ان أردت ، تقدر أن تطهرنى ، فتحنن يسوع ومد يده ، ولمسه ، وقال له : أريد ، فاطهر • فللوقت وهو يتكلم ، ذهب عنه البرص وطهر • فانتهره وأرسله للوقت ، وقال له : انظر لا تقل لأحد شيئا ، بل

اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى ، شهادة لهم » (مر ١ : ٤٠ـ٤٤) وفى الأصحاح الثامن من متى : « ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة ، واذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا : يا سيد ان أردت تقدر أن تطهرنى ، فمد يسوع يده ، ولمسه قائلا : أريد ، فاطهر . وللوقت طهر برصه ، فقال له يسوع : انظر أن لا تقول لأحد . بل اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذى أمر به موسى ، شهادة لهم » (متى ٨ : ١ـ٥) .

وفى الأصحاح الخامس من لوقا : « وكان فى احدى المدن ، فاذا رجل مملوء برصا . فلما رأى يسوع خر على وجهه ، وطلب اليه قائلا : يا سيد ان أردت ، تقدر أن تطهرنى . فمد يده ، ولمسه قائلا : أريد ، فاطهر . وللوقت ذهب عنه البرص . فأوصاه أن لا يقول لأحد ، بل امض ، وأر نفسك للكاهن ، وقدم عن تطهيرك ، كما أمر موسى ، شهادة لهم . فذاع الخبر عنه أكثر . فاجتمع جموع كثيرة ، لكى يسمعوا ، ويشفوا به من أمراضهم . وأما هو فكان يعتزل فى البرارى ، ويصلى » (لو ٥ : ١٢ـ١٦) .

ففى رواية العشرة التى لم يذكرها الا لوقا وبرنابا . وفى رواية الواحد التى ذكرها ثلاثة . يتبين : أن المسيح عيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى ، ولم ينقضها . فمن هو ناسخها من بعده وناقضها ؟ ليسأل النصارى هذا السؤال . واذا أجابوا بأن الناسخ والناقض هو بونس وشيعته . فان اجابتهم تدل على أنهم مرتدون عن اليهودية ، علنا . والمرتد علنا ، مستحق للقتل من اليهود ، بحكم التوراة .

الاختلاف بين الروايتين :

١ ـ قال برنابا : ان شفاء العشرة كان بعد نزوله من على جبل الزيتون . وقد أيده متى فى ذلك فى بدء الأصحاح الخامس .

٢ ـ قال برنابا : ان الذى رد الجميل ، كان من العرب ، بنى اسماعيل عليه السلام . وقد أيده لوقا من حيث لا يشعر . اذ وصفه بالغريب الجنس . وهو وصف لا ينطبق على السامريين . فانهم عشرة أسباط من مجموع بنى

اسرائيل البالغ عـددهم اثنى عشر سـبطا • والواقع يؤيده • فان اليهود يكفرون بالنعمة ، ولا يردون الجميل •

٣ ــ « لكى يعلموا : أن الوعود الموعـود بها ابراهيم وابنـه ، مع ملكوت الله ، آخـذة فى الاقتراب.» نسى أن يذكرهـا لوقا ، فى هـذا الموضع • وقد ذكر هو وغيره : أن المسيح عيسى عليه السلام كان يدعو الى اقتراب ملكوت الله • وهو ملك محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته • ففى مرقس : « جاء يسوع الى الجليل ، يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا ، وآمنوا بالانجيـل » [مر ١ : ١٤ ــ ١٥] •

وأصل ملكوت الله ، ويسمى أيضا بملكوت السموات : من الأصحاح السابع من سفر دانيآل ، فانه ذكر عن قيام أربعة ممالك على الأرض • هى ١ ــ بابل ٢ ــ وفارس ٣ ــ واليـونان ٤ ــ والرومان • وقال : انـه فى نهاية أيام الرومان فى « فلسطين » سيؤسس الله ملكا يدوم الى الأبد • وقد بينا هذا الأمر فى غير هذا الكتاب •

٤ ــ وقوله « وكان اسماعيليا » يدل على أن العرب كانوا مكلفين بشريعة موسى • وأنها كانت شريعة عامة لليهود وللأمم • وهذا القول يدل على أن كاتب انجيل برنابا من المعاصرين لعيسى عليه السلام • وذلك لأن اليهود يدعون زورا : أن التوراة لهم من دون الناس • والمسلمون قـد صدقوا حديثا موضوعا يبين أن دعوة موسى كانت خاصة ، وهم الى هذا اليوم لم يدققوا النظر فى خصوص دعوة موسى أو عالميتها[٣] •

التصريح المنسوب الى بولس بنسخ شريعة موسى :

يقول بولس فى الأصحاح السابع من الرسالة الى العبرانيين : « فانه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها ، وعدم نفعها اذ الناموس لم

---

(٣) راجع كتاب نقد التوراة ــ نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة ــ فصل الدعوات العالمية السماوية .

يكمل شيئا » [عب ٧ : ١٨ ــ ١٩] وفى الأصحاح الثامن « فانه لو كان الأول بلا عيب ، لما طلب موضع لثان » [عب ٨ : ٧] « فاذ قال جديدا ، عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ ، فهو قريب من الاضمحلال » [عب ٨ : ١٣] ويقول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : « دعى أحد وهو مختون ، فلا يصر أغلف . دعى أحد فى الغرلة ، فلا يختتن ، ليس الختان شيئا ، وليست الغرلة شيئا ، بل حفظ وصايا الله ، الدعوة التى دعى فيها كل واحد ، فليلبث فيها » [١ كو ٧ : ١٨ ــ ٢٠] .

ومن فرائض التوراة : ختان الذكور فى اليوم الثامن ، وأن لا يأكلوا أطعمة منها : الجمل والأرنب . وقد رأى بولس وشيعته تحريم أربعة أشياء فقط ، من جميع محرمات التوراة . ثم تدرجوا وخففوا من الأربعة . فأصبحت شريعة موسى فى أيديهم كحبر على ورق . ذلك قولهم فى الأصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال : « بل يرسل اليهم : أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنا ، والمخنوق ، والدم » [أ ع ١٥ : ٢٠] ونجاسات الأصنام . وهى ما ذبح على النصب باسم الأصنام والمخنوق والدم . قد أباحه بولس فيما بعد ، فى قوله لأهل كولوسى : « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ، التى هى ظل الأمور العتيدة ، وأما الجسد فللمسيح » [كو ٢ : ١٦ ــ ١٧] .

ما هو السبب فى عدم قتل اليهود للنصارى ؟

فما هو السبب فى عدم قتل اليهود للنصارى . والنصارى مرتدون عن دين موسى فى العقيدة والشريعة ؟ ان توراة موسى تحتم على اليهود قتل المتهاون فى ترك حكم واحد من أحكام التوراة . فلماذا لا يقتلون النصارى وهم قد تركوا أحكام التوراة كلها ؟ انه يجب على اليهود ــ ان كانوا مؤمنين بالتوراة ــ طلب النصارى للقتل فى كل زمان ومكان ، لأنهم مرتدون عن التوراة .

انظر الى تحريم العمل المعتاد فى يوم السبت ، وانظر الى الرجل الذى

احتطب حطبا فى يوم السبت . وتأمل فى عقوبته . ترى أنهـا الرجم . بسبب التعدى على حكم واحد ، فما بال التعدى على أحكام كثيرة ؟ ففى الأصحاح الخامس عشر من سفر العدد : « ولمـا كان بنو اسرائيل فى البرية ، وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا الى موسى وهرون وكل الجماعة . فوضعوه فى المحرس ، لأنه لم يعلن ماذا يفعل به ؟ فقال الرب لموسى : قتلا يقتل الرجل . يرجمه بحجارة كل الجمـاعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجمـاعة الى خارج المحلة ، ورجموه بحجـارة فمـات ، كمـا أمر الرب موسى » [عد ١٥ : ٣٢ — ٣٦] .

وانظر الى شريعة الفصح — وهو تذكار لخروج اليهود من أرض مصر — نجد أن المقيم الطاهر اذا لم يفعل الفصح ، يقتل . ذلك قوله فى الأصحاح التاسع من سفر العدد : « لكن من كان طاهرا وليس فى سفر ، وترك عمل الفصح ، تقطع تلك النفس من شـعبها ، لأنها لم تقرب قربان الرب فى وقته . ذلك الانسان يحمل خطيته » [عد ٩ : ١٣] .

كلام النصارى فى انهم ليسوا مرتدين عن دين اليهود :

ويحتج النصارى بأنهم غير مرتدين عن دين اليهود : بأن التوراة بينت أن نبيا واحدا سيظهر من بعد موسى بزمان طويل ، لينسخ شريعته . وهذا النبى قد جاء ونسخ الشريعة وهو المسيح عيسى بن مريم . فنحن لسنا مرتدين عن دين اليهود . وذلك لأن التوراة أمرتنا بالايمان به اذا جاء ، ونحن نمتثل أمر التوراة . واليهود لا يمتثلون ، فهم الكفـار بالتوراة ، ونحن المؤمنين بها ، لا المرتدين عنهـا . تلك هى حجتهم على اليهـود . واليهود يردونها عليهم : بأن النبى المنتظر لم يأت بعد ، وأوصافه فى التوراة لا تنطبق على يسـوع المسـيح ، فلا يكون هـو المبشر به . وقد أكثر « ابن كمونة » فى هـذا الموضوع وأفحم النصارى وأخزاهم وأدانهم فى كتابه تنقيح الأبحاث ، فليرجع اليه — وهو من منشورات دار الأنصار بمصر — .

* * *

ويتهم المسلمون اليهود والنصارى بأنهم كفار بالتوراة . ويقولون

أنهم أيضا : وأنتم كافرون بالقرآن . والكافر به يستحق القتل ، اذا لم يسالم[4] المسلمين . واذا سالم المسلمين ، فدليل مسالمته : دفع الجزية للمسلم . هـذا هو اتهامهم ، وقولهم . وهـذا هو حكمه . فان الله فى القرآن يقول : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق . من الذين أوتوا الكتاب ، حتي يعطوا الجزية عن يد ، وهم صاغرون »[5] .

والكافر الذي ليس يهوديا ولا نصرانيا . اذا بقى علي كفره ، وسالم المسلمين ، فانه لا يدفع جزية ، ولا يقتل . وشبهه : المسلم الذى ارتد عن الاسلام ، ولم يعلن عن ارتداده بفعل يشين الدين .

ارتداد اليهود عن الدين

واذ قد بينا : ارتداد النصارى عن التوراة . نبين : أن اليهود هـم الذين علموا النصاري كيفية الارتداد عن التوراة . ونمثل بما يلي :

المثال الأول ـ تحريم السحر :

فى الأصحاح الثامن عشر ، من سفر تثنية الاشتراع : « متي دخلت

(٤) فى كتاب مصر العثمانية لجورجى زيدان ص ١٦٨ طبعة الهلال بمصر :

« أن نحوا من ستمائة من المسيحيين كانوا تحت طائلة القصاص مغلولين فى سجون الاسكندرية ، ففى اليوم المذكور فتحوا السجون . والمسلمون فى الجوامع يصلون ، وطفقوا ينهبون الحوانيت والمخازن والبيوت ، ولم يقووا ولم يفروا ، ولما ملأوا جعبة مطامعهم ، نزلوا الى مركب كان بانتظارهم فى البحر ، فأقلعوا يطلبون الفرار » أ هـ .

وجاء فى كتاب مصر العثمانية لـ جورجى زيدان .

« ولم يكن « قره خليل » هذا أول من فكر فى تجنيد غلمان النصارى ـ كما يظن أكثر مؤرخى الأتراك .. فان الملك الظاهر بيبرس ـ صاحب مصر ، الذى تقدم ذكره ـ فعل ذلك قبل تأسيس الدولة العثمانية ، وهو متوجه الى دمشق سنة ٦٦٥ لملاقاة عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس ، فنزل بلدا اسمه قارا بين دمشق وحمص . فأمر بنهب أهلها النصارى وقتل كبارهم ـ لأنهم كانوا يسرقون المسلمين ، ويبيعونهم سرا للصليبيين ـ واخذ صبيانهم مماليك ، رباهم بين الأتراك فى الديار المصرية ، فنشأوا على الاسلام ، وتجندوا فى الجيش التركى » [ص ٦٦ طبعة دار الهلال بمصر] .

(٥) التوبة : ٢٩ .

الأرض التى يعطيك الرب الهك • لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم • لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ، ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا ، أو تابعة • ولا من يستشير الموتى ، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب • وبسبب هذه الأرجاس الرب الهك طاردهم من أمامك • تكون كاملا لدى الرب الهك • ان هؤلاء الأمم[٦] الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين ، وأما أنت فلم يسمح لك الرب الهك هكذا » (تث ١٨ : ٩ — ١٤) •

هذا النص يحرم السحر تحريما قاطعا • ويبين : أن سبب تمكين الله بنى اسرائيل فى أرض فلسطين وأراضى الأمم الأخرى أنهم أمم وثنية تعتقد فى السحر والتنجيم • فلنفرض الآن : أن أمة بنى اسرائيل تعتقد فى السحر ، وتشتريه ، وتعمل به • فما هو الفرق بينهم وبين الأمم الأخرى ؟ انه لا فرق اذا عاموا السحر وعملوا به • وكما أرسل الله على الأمم بنى اسرائيل ، يرسل الله على بنى اسرائيل أمة تغيظهم وتخرجهم عن أن يكونوا من شعب الله • ولهذا نص فى التوراة على نبى يخلف موسى عليه السلام بعد النص على تحريم السحر مباشرة • وما هذا ، الا لعلمه بأن أمة أخرى ستخلف أمة بنى اسرائيل فى قيادة الأمم الى الله • وما جرى على الأمم على يد بنى اسرائيل ، سيجرى على بنى اسرائيل والأمم على يد الأمة الآتية • ذلك قوله بعد النص على تحريم السحر :

« يقيم لك الرب الهك نبيا ، من وسطك من اخوتك مثلى • له تسمعون ••• الخ » وهذا النبى هو محمد صلى الله عليه وسلم • لأن لاسماعيل بركة ، كما لاسحق بركة •

وقد ارتد اليهود عن حكم السحر هذا ، فلماذا ارتدوا ؟

والنصارى كذبوا كما كذب اليهود فى شأن السحر • فقد أرادوا

---

(٦) قوله « الأمم » يدل على أن دعوة موسى عليه السلام كانت فى الأصل عالمية لجميع الأمم .

اقناع الناس بما هو مألوف عندهم فى أمر عيسى عليه السلام • وذلك لأن الناس من كثرة كذب علماء اليهود فى شأن السحر • اعتقدوا بأن اسم « شمهورش »[٧] يشفى من الأمراض اذا عزم الساحر وبخر المكان ، وكتب على كاغد وجلد غزال ، طلاسم ونقوش • ولما رأى النصارى جعل عيسى هو الله نفسه • أوهموا الناس بأن اسم « يسوع » — وهو فى الأصل : « يهوشوع » — يشفى من الأمراض ، كما يشفى اسم الله الأعظم ، وينطقونه « شم همفوروش » فالله هو يسوع ، ويسوع هو الله • هذا زعمهم • وزعموا أيضا : أن الناطق باسم يسوع وهو نصرانى يستجاب له ، لأنه صار نصرانيا • والناطق باسم يسوع وهو غير نصرانى ، لا يستجاب له • وفضلا عن عدم الاستجابة ، يخرج الشيطان من جسد المريض ، ويؤذى المعزم باسم يسوع • فمن الذى علم النصارى طريقة التحريف والارتداد عن الدين ؟ انهم هم علماء اليهود • فلماذا يتعقب اليهود النصارى ، ويطلبون قتلهم وهم الذين أضلوهم وخدعوهم ؟ ومن يقتل اليهود الذين أضلوا وخدعوا ؟ انه كان يتوجب على اليهود قتل النصارى فى حالة ما اذا كان اليهود مستقيمين على الطريقة ، وخاشعين لله ، ومن قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الذى نصت التوراة على اطاعته والسماع منه • أما وقد زاغوا وفسدوا • فليس لليهود الحق فى عقاب النصارى للقتل من بعد محمد ، لأن اليهود والنصارى من بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم مستوجبين للقتل من اتباع محمد ، ومن الأمم : شأنهم شأن الأمم التى سمعت للعائقين والعرافين والسحرة • وهذا الحكم هو حكم التوراة ذاتها . أما حكم القرآن فانه يصرح بقتل أهل الكتاب اذا لم يسالموا المسلمين بدفع الجزية لهم .

جاء فى الأصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل : أن « بولس » دخل مجمعا — أى مسجدا — من مجامع اليهود ، وكان يجاهر فى ما يختص بملكوت الله مدة ثلاثة أشهر ؛ وأقام تلاميذ « حتى سمع كلمة الرب يسوع

---

(٧) شمهورش محرف عن شم همفوروش . ومعناها : الاسم الأعظم لله تعالى .

جميع الساكنين فى أسيا من يهود ويونانيين . وكان الله يصنع على يدى بولس قوات[٨] غير المعتادة ، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر ، الى المرضى ، فتزول عنه الأمراض ، وتخرج الأرواح الشريرة منهم » أى تخرج الشياطين من أجساد الناس .

النص :

« فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع ، قائلين : نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس . وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودى رئيس كهنة ، الذين فعلوا هذا . فأجاب الروح الشرير ، وقال : أما يسوع فأنا أعرفه ، وبولس أنا أعلمه ، وأما أنتم فمن أنتم ؟ فوثب عليهم الانسان الذى كان فيه الروح الشرير ، وغلبهم وقوى عليهم ، حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين . وصار هذا معلوما عند جميع اليهود واليونانيين الساكنين فى أفسس . فوقع خوف على جميعهم . وكان اسم الرب يسوع يتعظم . وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم . وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ، وحسبوا أثمانها ، فوجدوها خمسين ألفا من الفضة » (أعمال ١٩ : ١٣ — ١٩) .

انظر الى نهى التوراة عن السحر ، وانظر الى نبذ اليهود لحكم التوراة ، وانظر الى النصارى ماذا فعلوا ؟ انهم أيضا فعلوا السحر . وهذا هو الارتداد عن الدين . وهذا يعطى الحق للمسلمين وللأمم ، فى طلبهم القتل .

حكم الساحر فى التوراة :

والتوراة تنص على قتل الساحر والساحرة . ففى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر الخروج : « لا تدع ساحرة تعيش » (خر ٢٢ : ١٨)

---

(٨) يعنى بالقوات : معجزات الشفاء على يد بولس .

وهم قد حرفوا النص الى المرأة لا الى الرجل ، ليأكل الرجال أموال الناس بالباطل • ويكشف التحريف قوله : « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ، ولا متفائل ولا ساحر ، ولا من يرقي رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى » وهو واضح في عدم التفريق بين الرجال والنساء في الحكم • واذ اليهود رجالا ونساءا ، واذ النصارى أيضا رجالا ونساءا ، فيهم من يجيز ابنه أو ابنته في النار ، وفيهم العراف والعائف والمتفائل والساحر ، من قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعد ظهوره ، فانهم كلهم مستوجبون القتل • من جميع أمم الأرض • فمن ينفذ عليهم حكم التوراة ؟ انه بحسب كتابهم يجب على جميع أمم الأرض قتلهم • ففي كتابهم : « لا تدع ساحرة تعيش » ولكن من يعلم أن الله يسلط رسله على من يشاء ؟

السحر عند المسلمين :

وقد دخل السّحر في دنيانا نحن المسلمين • فان اليهود والنصارى بثوه وأذاعوه ، وحرفوا كلمات في القرآن عن مواضعها ، لتثبت للسحر تأثيرا ، وألفوا أحاديث نبوية في أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم قد سحره اليهود • وألفوا كتبا ذاع صيتها • وقد بينت هذا في كتابنا علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب • ولا أستحي الآن أن أذكر ما يلي :
ــ كنموذج لتأثير أهل الكتاب في المسلمين ــ

جاء في كتاب « فتح الملك المجيد ، المؤلف لنفع العبيد » للشيخ أحمد الديربي الكبير :

١ ــ انه من خواص سورة يس : « أن من كان له عدو ، أو ظالم ظلمه ، وأراد اهلاكه وتدميره ، فليأخذ لبنا ، ويضعه بين يديه ، على حافة نهر ، أو حوض ، ويكون مستقبلا ، ويقرأها لاحدى وأربعين مرة ، وكل مرة يخط خطا على ذلك اللبن • فاذا فرغ من قراءته ، يصلى على اللبن ، صلاة الجنازة ، ويصور اللبن عدوه ، ثم يلقيه في النهر ، أو في الحوض ، فانه يهلك سريعا »[٩] ا • هـ •

---

(٩) ص ١٩ فتح الملك المجيد ــ طبعة القاهرة .

هذا هو نص ذلك الكتاب . فهل هو على حق فيما قال ؟

٢ ــ انه من خواص سورة العصر : « اذا أردت أن تعرف حال الانسان المصاب ، هل به عين انس ، أو جن ، أو غير ذلك . فتأخذ أثره وتقيسه قياسا جيدا ، وتقرأها عليه مرة واحدة ، أو ثلاث مرات . ثم بعد الفراغ من قراءتها تقول ثلاث مرات : أقسمت عليك يا ميمون يا أبا نوح أن تنزل على هذا الأثر ، وتبين ما بصاحبه من المرض . ان كان من الجن ، أو من الانس ، أو من غيرهم . فان كان من الجن ، فطوله . وان كان من الانس ، فقصره . وان كان من الله تعالى ، فأبقه على حاله . بحق هذه السورة الشريفة . الوحا . الوحا . العجل . العجل . الساعة ، الساعة . ثم تقيس ذلك الأثر ثانيا . فان قصر ، تكتب له : قوله تعالى : « واذا قرأت القرآن » الى « نفورا » وقوله تعالى : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا » الى آخر السورة . وقوله تعالى : « يا معشر الجن والانس » الى قوله : « فلا تنتصران » وتكتب له مع ذلك المعوذتين والفاتحة ، ويحمله صاحب الأثر ، يبرأ باذن الله تعالى . وان طال عن قياسه ، تكتب له : « اذا الشمس كورت » بتمامها ، أو غيرها مما يكتب للعين والنظرة .. وان بقي على حاله ، فاكتب له آيات الشفاء ... مع قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » الآية . فانه يشفى » [١٠] اهـ .

هذا هو نص ذلك الكتاب . فهل هو على حق فيما قال ؟

انه ليس على حق فيما قال . وانه متأثر باليهود والنصارى فيما قال . فلماذا لا تحرق هذه الكتب ؟ وهل الفائدة من تداولها الا الاضرار بالمسلمين ؟

وجاء في كتاب التذكرة للانطاكي الضرير .

« يكتب هذا العهد ، الذى تكلم به سليمان بن داود ــ عليهما الصلاة والسلام ــ وذكر « آصف بن برخيا » أن هذا العهد كان منقوشا على

---

(١٠) ص ٢٧ الديربي الكبير .

الخاتم الذى ختم به على الجن والانس . وهو هذا : بيرهنيه ٢ كرير ٢ تتليه ٢ طوران ٢ مزجل ٢ بزحل ٢ ترقب ٢ برهش ٢ غلمش ٢ خوطير ٢ قلنهود ٢ برشان ٢ كظهير ٢ نموشلخ ٢ برهيولا ٢ بشكيلخ ٢ قز ٢ مز ٢ انغلليط ٢ قبرات ٢ غياها ٢ كيدهولا ٢ شمخهر ٢ شمخاهير ٢ اللهم بكهطهونية بشاريش طوش طوياش بلطشغويل ابويل شمخاهر باروخ بشيم اللهم بحق كهكهيج بغطيشى جلد مهجماهم هلمخ هيلخ وردويه مفياج بعزتك الا ما أخذت سمعهم وأبصارهم »[(١)] اهـ .

المثال الثانى ـ النبى المنتظر :

فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، نص على مجىء نبى من بعد موسى صاحب التوراة ، له يسمع بنو اسرائيل فى كل ما يكلمهم به ويعترف اليهود الى يومنا هذا بأن هـذا النبى لم يأت . ومن يتأمل فى أوصاف هذا النبى الآتى ، يجدها تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم . فلماذا لا يؤمن اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ أليس هذا ارتداد عن الدين ، وكفر به ، وادعاء النصارى بأن هذا النبى المنتظر هو عيسى بن مريم عليه السلام قد تعلموه من اليهود ؟ فهم فى الخزى سواء .

وهذا هو النص على النبى المنتظر :

« يقيم لك الرب الهك نبيا ، من وسطك ، من اخوتك ، مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب الهك ، فى حوريب ، يوم الاجتماع ، قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ، لئلا أموت . قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا .

أقيم لهم : نبيا ، من وسط اخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الانسان الذى لا يسمع

---

(١) ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ج ٢ تذكرة أولى الألباب ـ الجامع العجب العجاب . تأليف داود بن عمر الانطاكى المتوفى ١٠٠٨ هـ طبعة القاهرة ١٩٥٢ م .

لكلامي الذى يتكلم به باسمى ، أنا أطالبه . وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى .

وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟

فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ، ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ، فلا تخف منه » (تث ١٨ : ١٥ — ٢٢) .

وأوصاف هذا النبى :

١ — نبى . وفى القرآن الكريم : « يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ... » .

٢ — من وسطك . وفى القرآن الكريم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ومحمد صلى الله عليه وسلم من نسل ابراهيم من فرع ولده اسماعيل . واليهود والنصارى من نسل ابراهيم من فرع ولده اسحق .

٣ — من بنى اسماعيل . وذلك لأن من اخوتك . تدل على أنه من بنى اسماعيل — عليه السلام — والا كان يقول منكم . وفى التوراة : أن بنى اسماعيل اخوة لبنى اسحق (تك ١٦ : ١٢) .

٤ — وقوله مثل موسى . يدل على أنه مثله فى أشياء ، لا فى كل الأشياء ، والا فان الناس كلهم متشابهون فى هيئة الجسم وفى أكثر الصفات . وفى التوراة أن المثلية هى فى الملك والحروب والمعجزات والانتصار على الأعداء (تث ٣٤ : ١٠ — ١٢) ومنعت التوراة مجىء النبى المنتظر المماثل لموسى — عليه السلام — من بنى اسرائيل . فلماذا يزعم اليهود أنه سيأتى من بنى اسرائيل ؟ ذلك قوله : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى » ولماذا يزعم النصارى أنه هو المسيح عيسى بن مريم . وانه لهو من بنى اسرائيل ؟ .

٥ — ومن أوصافه أن يكون ملكا[١٢] ورئيسا مطاعا ، وأن يكون ناسخا لشريعة التوراة . لقوله : « له تسمعون » .

٦ — ومن أوصافه أن يكون أميا لا يقرأ ولا يكتب ، لقوله : « واجعل كلامى فى فمه » .

٧ — ومن أوصافه أن لا يقتل بيد أعدائه .

٨ — وأن يكون أمينا على الوحى الالهى .

٩ — وأن يتحدث عن غيوب تقع فى مستقبل الأيام ، وتقع كما يقول .

---

(١٢) جاء فى القرآن الكريم : ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان ملكا ورئيسا مطاعا على قومه . فقد قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فى ما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » وقال تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ، أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

وفى زبور داود عليه السلام نبوءة عن محمد صلى الله عليه وسلم بأوصاف الملك ، ليحكم الشعوب بالعدل . ووصف الملك للحاكمين من بعده على الناس ، لأنهم نواب عنه فى الحكم .

وقد وضع اليهود حديثا للغو فى هذا المعنى وهو أنه عليه السلام قال : « لست ملكا . انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

وفى نبوءة داود بوصف الملك عنه : أن الله تعالى يصلى عليه دائما وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « ان الله وملائكته يصلون على النبى » .

يقول داود عليه السلام :

« اللهم أعط أحكامك للملك . وبرك لابن الملك » يقصد بالملك : النبى الآتى على مثال موسى . الذى يسمع له بنو اسرائيل ويطيعون فى كل ما يكلمهم به . ويقصد بابن الملك : كل ملك على جماعة من المسلمين ، على سنة النبى الآتى . « يدين شعبك بالعدل ، ومساكينك بالحق ، تحمل الجبال سلاما للشعب ، والآكام بالبر ، يقضى لمساكين الشعب ، يخلص بنى البائسين ، ويسحق الظالم ، يخشونك ما دامت الشمس ، وقدام القمر ، الى دور فدور . ينزل مثل المطر على الجزاز ، ومثل الغيوث الذارفة على الأرض ،

والأوصاف كلها منطبقة على محمد صلى الله عليه وسلم :

وسبب ظهوره من بنى اسماعيل عليه السلام : هو أن الله تعالى طلب من ابراهيم عليه السلام أن يسير فى الناس لدعوتهم الى الله . ونبذ الأصنام ، ووعده بجزاء عظيم على جهاده . فوفى ابراهيم ودعا وجاهد فى سبيل الله . ولذلك كافأه بأن يسير نسله من بعده أمامه . نسل اسحق المولود من سارة ، ونسل اسماعيل المولود من هاجر . ويكون لهذا مدة من الزمان ، ولهذا مدة من الزمان . ويبدأ نسل اسحق أولا . فتكون الشريعة فيهم والملك على الأمم للتمكين للشريعة . ويكون كل نسل ابراهيم تحت رئاستهم . ثم يأتى دور بنى اسماعيل . فتكون الشريعة فيهم والملك على الأمم للتمكين للشريعة ، ويكون كل نسل ابراهيم تحت رئاستهم . ومدة نسل اسحق تسمى « بركة اسحق » ومدة نسل اسماعيل تسمى « بركة اسماعيل » وقد بدأت بركة اسحق من موسى عليه السلام . وهى تنتهى بظهور محمد صلى الله عليه وسلم .

يشرق فى أيامه الصديق ، وكثرة السلام ، الى أن يضمحل القمر . ويملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى أقاصى الأرض .

أمامه تجثو أهل البرية . واعداؤه يلحسون التراب . ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمه . ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية . ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له ، لأنه ينجي الفقير ، المستغيث ، والمسكين . اذ لا معين له . يشفق على المسكين والبائس ، ويخلص أنفس الفقراء . من الظلم والخطف يفدى أنفسهم ، ويكرم دمهم فى عينيه ، ويعيش ويعطه من ذهب شبا . ويصلى لأجله دائما . اليوم كله يباركه .

تكون حفنة بر فى الأرض ، فى رءوس الجبال ، تتمايل مثل لبنان ثمرتها ، ويزهرون من المدينة ، مثل عشب الأرض يكون اسمه الى الدهر . قدام الشمس يمتد اسمه ، ويتباركون به ، كل أمم الأرض يطوبونه . مبارك الرب الله اله اسرائيل الصانع العجائب وحده ، ومبارك اسم مجده الى الدهر ، ولتمتلىء الأرض كلها من مجده . آمين ثم آمين » [مزمور ٧٢] .

وكلمة « يصلى » هى بضم الياء المثناة التحتية ، وفتح الصاد المهملة ، وتشديد اللام مكسورة .

ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » .

وظل اليهود ينتظرون هذا النبى الى زمان عيسى ويحيى — عليهما السلام — ففى إنجيل يوحنا : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر : أنى لست أنا المسيح . فسألوه : اذن ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنبى أنت ؟ فأجاب : لا » (يو ١ : ١٩ — ٢١) .

يريد أن يقول : ان يوحنا المعمدان — الذى هو النبى يحيى — أنكر أنه هو النبى المنتظر . وسؤالهم عنه يدل على أنه لم يكن قد ظهر . وفى انجيل برنابا : أن الشهادة لعيسى عليه السلام وأنكر أنه هو النبى المنتظر . وكيف يكون أى واحد منهما هو النبى المنتظر ، والنبى المنتظر لن يقوم فى بنى اسرائيل ؟

سبب تحريف النصرانية :

والنصرانية فى البدء كانت هى دعوة الناس الى انتظار محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به اذا جاء . وهذا يغيظ اليهود وأهل الروم — الذين كانوا يملكون على العالم أجمع وقتئذ — وغيظهما نابع من زوال ملكهما فى حال ظهوره . أما اليهود فان زوال ملكهم مؤكد بنسخ الشريعة . وأما أهل الروم فان ملكهم حسب كلام دانيال سيزول على يديه . فانهم هم المشار اليهم فى سفره بالمملكة الرابعة . ومن أجل ذلك اتفق اليهود والروم على أن يجبروا النصارى على القول : بان النبى المنتظر هو يسوع ولا نبى من بعده . والشهداء الذين قتلوا من النصارى على يد أهل الروم . هم الذين كانوا يجهرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وسمى عصرهم بعصر الشهداء . وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية تم تحريف الأناجيل لانكار محمد صلى الله عليه وسلم من قبل مجيئه ، وما تزال نصوص التوراة ونصوص الأناجيل رغم أنف المحرفين تشير الى محمد وتدل عليه . وهذا مبين فى كتاب « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » .

اليهود المارانِ

ويعترف اليهـود بأنهم يتحولون عن دينهم الى دين الاسـلام وغيره تحولا ظاهريا لا حقيقيا . وذلك للتقية . كما قال الله تعالى عنهم فى القرآن الكريم : « واذا جاءوكم قالوا : آمنا . وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به » وحكى الله تعالى عنهم فى القرآن الكريم أنهم قالوا : « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » .

وأنقل هنا عن جريدة الشمس ــ العـدد ٦٧٤ فى ١٩٤٨/٢/٢٧ م ما نصه : « كان اليهود يعيشون فى « أسبانيا » و « البرتغال » فى العصور الوسطى ، فى حالة حسنة . وقامت فيها حركة عنصرية . اتخذت الاضطهاد الدينى شعارا لها ، والمسيحية براء منها . ثم تكونت محاكم التحقيق . وكانت هذه المحاكم تحرق اليهودى بتهمة السحر ، والاتصـال بالجان . وتحرق المسيحى الذى يشك فى مسيحيته . وكانت محنة قاسـية مرت بالشعب الاسرائيلى ، فى « أسبانيا » و « البرتغال » وفى غيرها بعد ذلك . واضطر كثيرين الى تغيير دينهم . وعرف هؤلاء باسم اليهود « المـاران » أى الذين تركوا دينهم ، واحتفظوا به سرا » أ . هـ .

وقال « ايزاك دى بتشوتو » رئيس طائفة اليهود بالاسكندرية ، فى يونيو سنة ١٩٨٩ م ما نصه : « ان يهوديا تحول الى المسيحية ، وفى أحـد المناسبات التى يسمح فيها بأكل الأسماك ، ولا يسمح فيها بأكل الطيور ، حنس اليهودى الذى تنصر ، يأكل وعلى مائدته « بطة » معـدة للطعام . فدخل عليه أحد القساوسة ، فشاهد البطة ضمن طعامه . فقال له : ألا تعرف أن البط محرم أكله فى هذا الصيام ؟ فرد عليـه قائلا ــ وكأن اجابتـه جاهزة ــ : اننى مكثت ساعة ، وما زلت ألوح على البطة بتلك المروحة يمينا ويسارا ، وأنا أقول للبطة : كونى سمكة ، حتى تحولت البطة الى سمكة . وما تراه أنت الآن سمكة ، وليست بطة » أ . هـ .

والمعنى الضمنى المستفاد من هذه الرواية : هو أن تحول اليهود الى

النصرانية أو الى الاسلام هو تحول ظاهرى ـ عند السفهاء منهم ـ واليهود يعلمون أنه تحول ظاهرى ، ولذلك لا يؤذون سفاءهم اذا تركوا اليهودية ظاهرا الى ملة أخرى . بدليل : أن رئاسة الطائفة اليهودية تقدم العون والمساعدة لمن يطلب من هؤلاء الذين تحولوا الى ديانات أخرى ، وأن صلتهم بالطائفة مستمرة ، ولم تنقطع . وأن بعض الذين اعلنوا اسلامهم مارسوا أعمالهم المعتادة فى سكرتارية الطائفة بالعباسية بمصر . وذهبوا الى المعبد اليهودى للصلاة . ومنهم شقيق للفنانة اليهودية « نجوى سالم »[1] .

* * *

والسمك مباح أكله عند النصارى فى الأصوام التى هى فى المرتبة الثانية ، وليس مباحا أكله فى أصوام المرتبة الأولى . مباح أكله فى صوم ميلاد عيسى عليه السلام ، وصوم الحواريين ، وصوم مريم رضى الله عنها . وليس مباحا فى صوم الاربعاء والجمعة من كل اسبوع ، وفى الصوم الكبير ، وفى صوم اسبوع الآلام ، وفى صوم البرامون ، وفى صوم يونان ـ الذى هو يونس عليه السلام ـ .

* * *

واذ ليس فى كتبنا الأسلامية التفسيرية . كلام واضح عن فريضة الصوم عند أهل الكتاب ـ وأنا الآن بصدد ذكر أمثلة تدل على ارتداد أهل الكتاب ـ ، فانى أذكر الآن نبذة عن هذه الفريضة من كتبهم ، ليعلم غيرى من المسلمين مثل ما أعلم ، وليعرف العالم كله : أن النصارى مرتدون عن التوراة ، فى فريضة الصوم . ارتدادا علنيا . لا يحتاج الى دليل . وليعرفوا أيضا : أن النبى محمد صادق فى دعوى النبوة . اذ أنه بين أن الصيام مكتوب على من قبل أمته . وما كان يدرى ما الكتاب ولا الايمان .

---

(١) ص ١٨٤ الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود فى مصر ـ دكتور نبيل عبد الحميد ـ مكتبة مدبولى سنة ١٩٩١ م .

فريضة الصوم عند أهل الكتاب

أ
الصوم عند النصارى

(أ) أن الأصوام العامة عند النصارى سبعة وهى :

١ ــ الصوم الكبير . ومدته : ثمانية أسابيع ، أو خمسة وخمسين يوما . تنتهى بعيد قيامة يسوع المسيح من الأموات ــ حسب اعتقادهم ــ ويسمى أيضا بصوم الأربعين يوما المقدسة . وقبله يصومون اسبوعا يسمى بـ « مقدمة الصوم الكبير »[1] ويلحق بصوم الأربعين اسبوع الآلام بعد جمعة ختام الصوم . وهو صوم مستقل .

٢ ــ صوم الميلاد . ومدته ثلاثة وأربعون يوما ، تنتهى بعيد ميلاد يسوع ــ الذى هو عيسى عليه السلام ــ ومن الأقباط من يضيف عليه أسبوعا سابقا أو أسبوعا لاحقا ومنهم من يستمر الى عيد رأس السنة . أول توت .

٣ ــ صوم الحواريين . ويسمى بصوم الرسل ، أو صوم التلاميذ . أو صوم العنصرة[2] أو انبندكوستى ويبدأ بعد عيد القيامة ــ حسب اعتقادهم ــ بخمسين يوما . وينتهى فى الخامس من شهر أبيب .

٤ ــ صوم العذراء مريم . ويسمى بصوم عيد السيدة أو صوم

---

(١) ينفى « جرجس بن العميد » الملقب بـ «ابن المكين» نفيا باتا ما ذهب اليه بعض النصارى من تعليل صوم « مقدمة الصوم الكبير » بأنه اسبوع « هرقل » ويذهب الى أنه قد أضيف الى الأربعين المقدسة فى أيام البابا ديمتربوس الكرام فى القرن الثانى للميلاد ، وأن البابا ديمتربوس الكرام هو الذى أضافه باجماع آباء الكنيسة فى الشرق والغرب ، وأن مجمع « نيقية » المنعقد سنة ٣٢٥ م قد أيد صحة هذه الاضافة . هذا هو قول ابن المكين . وقد رأيت فى بعض كتبنا نحن المسلمين : أن النصارى ابتدعوا صوما لهرقل فى القرن السادس الميلادى . وما فى كتبنا هو الصحيح . وذلك لأن النصرانية لم يكن لها نظام قبل مجمع نيقية ، ولأن صوم الميلاد أضيفت عليه ثلاثة أيام فى القرن العاشر الميلادى ، على يد البابا أبرآم بن زرعة أيام الخليفة العظم الامام العادل المعز لدين الله الفاطمى .

(٢) العنصرة : هو حلول الروح القدس على التلاميذ بعد خمسين يوما من رفع عيسى الى السماء ــ كما يزعمون ــ .

شهر أغسطس • ومدته خمسة عشر يوما ، ويبدأ بالسابع من أول شهر مسرى الى السادس عشر منه •

٥ ـ صوم يونان • ومدته ثلاثة أيام ، ويسبق الصوم الكبير بخمسة عشر يوما •

٦ ـ صوم البرامون • ويسبق عيد الميلاد ، وعيد الغطاس • وهو صوم نسكى ، مدته بين يوم واحد وثلاثة أيام ، لأنه اذا وقع عيد الميلاد أو الغطاس يوم السبت كان البرامون يوما واحدا هو الجمعة واذا وقع يو الأحد كان البرامون يومين هما الجمعة والسبت واذا وقع يوم الاثنين كان البرامون ثلاثة أيام هى الجمعة والسبت والأحد • والبرامون كلمة يونانية معناها : « الالتزام باستمرار فى الخدمة » أو « المثابرة » أو « الثبات » أو « المداومة » •

٧ ـ صوم يومى الاربعاء والجمعة ، من كل اسبوع ، على مدار السنة ، ويستثنى منها أيام الخمسين التالية لعيد القيامة •

وفى الصوم الكبير ينقطع الصائم عن الطعام من الساعة الثانية عشرة مساء الى الغروب فى اليوم التالى ، وفى اسبوع الآلام ينقطع الى المساء • وفى الأصوام الأخرى الى الساعة الثالثة ـ على الأقل ـ من بعد ظهر اليوم التالى •

ويفطر الصائم بعد فترة الانقطاع على الأطعمة النباتية ، ويمتنع عن أكل اللحوم بأنواعها وعن البيض ، واللبن ، ومستخرجات الألبان ، كالجبن والزبد • ومن أحكام الصوم ـ عندهم ـ : أنه لا يعقد فيه زواج ، وتمنع فيه المعاشرات اجنسية بين المتزوجين •

(ب) وأما الأصوام الصغرى :

فمنها صوم الأعياد السيدية ـ أى الخاصة بالسيد المسيح ـ ومن ذلك :

١ ـ عيد الختان • فى السادس من شهر طوبة •

٢ ـ عيد دخول المسيح الهيكل • فى الثامن من أمشير •

٣ ـ عيد دخول المسيح أرض مصر • فى الرابع والعشرين من بشنس •

٤ ـ عيد عرس قرية قانا ، فى الجليل • فى الثالث عشر من طوبة •

٥ ـ عيد خميس العهد . ويقع فى أسبوع الآلام .

(ج) ومنها الأصوام الخاصة بمريم العذراء • ومن ذلك :

١ ـ عيد البشارة بميلاد العذراء مريم من أبويها يهوياقيم[٣] وحنة • ويقع فى السابع من مسرى •

٢ ـ عيد ميلاد العذراء • فى أول بشنس •

٣ ـ عيد دخولها طفلة نذيرة الى الهيكل فى أورشليم (القدس) في الثالث من كيهك •

٤ ـ عيد دخولها أرض مصر • فى الرابع والعشرين من بشنس •

٥ ـ عيد موتها • فى الحادى والعشرين من طوبة •

٦ ـ عيد صعود جسدها الى السماء • فى السادس عشر من مسرى •

٧ ـ عيد العذراء حالة الحديد • ويقع عادة في الحادي والعشرين من بؤنة •

(د) وأما أصوام أعياد الشهداء والقديسين :

فهى كثيرة . جاء فى القانون الثلاثين من قوانين القديس باسيليوس الكبير : « واذا اتفق فى صوم عيد من أعياد شهداء ، أن أسقف أو قسيس ، بحجة موت الشهيد ، فليقطع ، لأنه صار سببا لشر نفوس كثيرة ، فاذا فطروا هم من تلقاء أنفسهم ، فليفرزهم الأسقف أو القسيس ، لأنه

---

(٣) يهوياقيم : هو الأب المباشر لمريم . وهى فى القرآن تنسب الى عمران رئيس العائلة التى جاء منها يهوياقيم . فعمران اب غير مباشر .

لا يجب أن يفطروا فى أعياد الشهداء ، اذا كانت ايام صوم ، لأن الشهداء ماتوا جياعا عطاشا ، وحرقوا بالنار »[٤] .

ومن مخالفات النصارى لليهود فى الصوم — مع أنه يجب على النصارى أن يصوموا صوم اليهود ، اذا لم يدخلوا فى الاسلام ، وذلك لأن عيسى عليه السلام لم ينسخ التوراة ، ولم يغير عوائد موسى عليه السلام . هذه المخالفة : جاء فى تعليم الاثنى عشر رسولا . المسمى بالديداكى : « لا يكن صيامكم موافقا صيام المنافقين — وهم اليهود — لأنهم يصومون الاثنين والخميس وأما أنتم فصوموا يومى الاربعاء والجمعة »[٥] .

الصوم عند اليهود

وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . لعلكم تتقون » وقوله « كما كتب على الذين من قبلكم » يقصد به شريعة موسى بن عمران عليه السلام صاحب التوراة ، ولا يقصد به ما عند النصارى . وذلك لأن عيسى عليه السلام مصدق لما بين يديه من التوراة ، ولأن صوم النصارى من تشريع الرهبان والقساوسة . وقد لغا النصارى فى حقيقة الصيام عند اليهود ، وشوشوا على نصوص أحكامه ، واضطربوا فى تفسير نصوص عندهم تدل على أن صيام اليهود غير صيامهم .

وأنا أذكر نصوصا من :

(أ) توراة موسى .

(ب) وأسفار الأنبياء .

(ج) وشواهد من كلام علماء بنى اسرائيل .

---

(٤) كتاب القوانين للصفى بن العسال — الباب الخامس عشر — طبعة الأنبا ايسيذوروس — ص ١٤٠ — ١٤١ .

(٥) الفصل الثامن من الديداكى — ترجمة القس الدكتور موريس تسيل — بيروت ١٩٦٨ ص ٤٠ .

تدل على فريضة الصوم عند اليهود • مع ما سبق أن ذكرنا عن النصارى من أن اليهود الى هذا اليوم يصومون يومى الاثنين والخميس • كالسنة عندنا نحن المسلمين • واذكر اضطراب النصارى فى تفسير ما جاء فى سفر أعمال الرسل • وهو « فلما مضى زمن طويل ، وصار السفر فى البحر خطرا • اذ كان زمن الصوم قد انقضى » (أ ع ٢٧ : ٩) وهو نص يشير الى صوم ثابت عند اليهود ، له زمن مرسوم معين . ويذهب ويجىء • لاحظ قوله :

« اذ كان زمن الصوم قد انقضى » •

واذكر أيضا نصوصا من الأناجيل تدل على أن اتباع عيسى عليه السلام صاموا بصوم اليهود ، من قبل أن تنفصل النصرانية عن اليهودية فى القرن الرابع الميلادى •

* * *

اولا : اعتراف علماء بنى اسرائيل بفرض الصوم على اليهود والأمم الساكنين مع اليهود فى ديارهم :

يقول الحبر ابن كمونة فى كتابه تنقيح الأبحاث حكاية عن موسى النبى عليه السلام :

« وجميع ما وصاهم الله به على لسان رسوله الأمين موسى ـ صلوات الله عليه ـ هو اعتقاد التوحيد ، وترك عبادة الأصنام ، وأن لا يشركوا بالله شيئا ، وأن ينزهوه عن الشبيه والنظير والمعين والمشير ، وأن يعبدوه وحده ، ويحبوه بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ، ويخافوه ، ويستعينوا به ، ويتوكلوا عليه • وأن يعتقدوا أنه العالم الذى لا يعزب عن علمه شىء ، والقادر على كل شىء ، والخالق لكل شىء ، وأنه هو الذى يميت ويحيى ، ويمرض ، ويشفى ، ولا منجى من قدرته • وأنه الأول والآخر • لا اله آخر سواه • وأمرهم بمكارم الأخلاق ، وبالصلاة والصوم » أ هـ •

أعد قراءة هذا النص مرة أخرى • وتأمل : (أ) تعظيمه لله تعالى • (ب) واعترافه بفرض الصلاة والصوم • انه يقول : « وأمرهم بمكارم الأخلاق ، وبالصلاة والصوم » •

لغو النصارى فى دين اليهود :

وما ذكره الحبر ابن كمونة ، عليه نصوص من التوراة والانجيل . وقد لغا النصارى فى النصوص بقول الأرثوذكس منهم : ان الله هو المسيح ، وبقول الكاثوليك والبروتستانت منهم : ان المسيح اله مع الله ، وهما والروح ثلاثة . ولغا النصارى فى فريضة الصوم فقد قال ابن المحرومة : ان التوراة خلت من ذكر الصوم بالكلية . يقول فى حواشيه ردا على هذا النص : « وأما الصلاة والصوم ، فان التوراة خالية عن ذكرهما بالكلية . يعلم ذلك كل من تصفحها »[٦] ا . هـ . وهو قد أكد لغوه وتشويشه بقوله « بالكلية » وهو كاذب فى قوله وذلك لأن من يتصفح التوراة يجد فيها ذكر للصوم[٧] وللصلاة .

---

(٦) ص ٩٦ حواشى ابن المحرومة — طبعة لبنان .

(٧) جاء فى تفسير المنار للشيخ رشيد رضا — رحمة الله عليه — : « وثبت : أن موسى صام اربعين يوما . وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ومعدودا من العبادات .. واليهود فى هذه الأيام يصومون أسبوعا تذكارا لخراب اورشليم واخذها . وقد جاء فى الفقرة الأولى من الأصحاح التاسع بسفر نحميا — وهو أحد أسفار العهد القديم التاريخية — ما يدل على أن اليهود قد صاموا اليوم الرابع والعشرين ، من الشهر السابع العبرى . فالنص فى الفقرة الأولى من الأصحاح التاسع من سفر نحميا : « فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع ، تجتمع بنو اسرائيل مرتدين المسوح ومعفرين جسومهم بالرماد ، للاحتفال بالصوم » وقد ورد فى سفر زكريا — ما يفهم منه — أن اليهود بعد الجلاء الى « بابل » كانوا يصومون أياما كثيرة على فترات دورية تخليداً لذكرى حوادث وقعت لهم ، أو فى تاريخهم . وكانوا يسمون كل صيام من أنواع هذا الصوم برقم الشهر العبرى ، الذى وقعت فيه الحادثة . وكانت لهم أيضا أنواع أخرى من الصيام ، المستحب عندهم يبلغ عددها خمسا وعشرين نوعا . وكانوا يصومون هذه الايام أو الأنواع . اما تخليدا لذكرى وفاة أنبيائهم وعلمائهم كموسى وهرون — على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام — أو لذكرى حوادث أخرى ، وقعت لهم فى تاريخ حياتهم .

وأما صوم النصارى . فلم يرد فى أناجيلهم المتداولة بأيديهم نص على فرضيته . وأغلب ما ورد فى أناجيلهم المعروفة لا يعدو ذكر الصوم أو مدحه ، كعبادة فعلها ممدوح عندهم كما يمتدحون النهى عن الرياء ، واظهار الكآبة » (مجلة الازهر عدد رمضان ١٤١٤ هـ) .

وقول رشيد رضا : انه لم يرد فى الأناجيل نص على فرضية الصوم ، هو قول باطل . وذلك لأنه مكتوب فى الأناجيل الاربعة أن عيسى لما جاء

* * *

ثانيا ـ نصوص من التوراة وأسفار الأنبياء تدل على الصوم والصلاة :

(أ) في التــوراة :

١ ــ «و كان (موسى) هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة ، لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين ، كلمات العهد ، الكلمات العشر » (سفر الخروج ٣٤ : ٢٨) • انظر (الخروج ٢٤ : ١٨) •

٢ ــ « ويكون لكم فريضة دهرية : أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم[٨] ، وكل عمــل لا تعملون ، الوطنى والغريب النازل فى وسطكم » (سفر اللاويين ١٦ : ٢٩) • « لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم ، من جميع خطاياكم أمام الرب تطهرون • سبت عطلة هو لكم ، وتذللون أنفسكم • فريضة دهرية • ويكفر الكاهن الذى يمسحه والذى يملأ يده للكهانة عوضا عن أبيه • يلبس ثياب الكتــان الثياب المقدسة ويكفر عن مقدس القدس ، وعن خيمة الاجتماع والمذبح ، يكفر • وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر •

وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بنى اسرائيل من جميع خطاياهم : مرة فى السنة ، ففعل كما أمر الرب موسى » (سفر اللاويين ١٦ : ٢٩ ــ ٣٤) •

(ب) فى اسفار الأنبياء :

٣ ــ « فصعد جميع بنى اسرائيل وكل الشعب ، وجاءوا الى بيت ايل ، وبكوا ، وجلسوا هناك أمام الرب ، وصاموا ذلك اليوم الى المساء ، وأصعدوا محرقات وذبائح سلامة أمام الرب » (سفر القضاة ٢٠ : ٢٦) •

٤ ــ « فقال صموئيل اجمعوا كل اسرائيــل الى المصفاة ، فأصلى

لنقض الناموس . وهو بذلك يحيل أتباعه الى التوراة . واذ فى التوراة نص على فريضة الصيام فانه يكون فرضا على النصارى ، فى الانجيل ، من قول عيسى نفسه : ما جئت لأنقض الناموس (متى ٥:١٧) .

(٨) المقصود التذلل : الصيام . لقول داود عليه السلام : « اذللت بالصوم نفسى » ولاحظ قوله : « فى عاشر الشهر » وقد انتقل عند المسلمين فى صيام عاشوراء وهو ليس يوما نجى الله فيــه موسى من الغرق ، كما قيل . بل هو يوم مفروض صومه عندهم .

لأجلكم الى الرب • فاجتمعوا الى المصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب ، وصاموا في ذلك اليوم • وقالوا هناك : قد أخطأنا الى الرب » (١ صموئيل ٧ : ٥ ، ٦) •

٥ — « وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان ، وجاءوا بها الى يابيش وأحرقوها هناك • وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة في يابيش ، وصاموا سبعة أيام » (١ صموئيل ٣١ : ١٣) ؛ (١ الأيام ١٠ : ١٢) •

٦ — « فأمسك داود ثيابه ومزقها • وكذا جميع الرجال الذين معه • وندبوا وبكوا وصاموا الى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت اسرائيل لأنهم سقطوا بالسيف » (٢ صموئيل ١ : ١١ ، ١٢) •

٧ — « فقال داود ليوآب ولجميع الشعب الذي معه مزقوا ثيابكم وتنطقوا بالمسوح •• وكان داود الملك يمشي وراء النعش • ودفنوا ابنير في حبرون • ورفع الملك صوته وبكى على قبر ابنير ، وبكى جميع الشعب •• وجاء جميع الشعب ليطعموا داود خبزا ، وكان بعد نهار ، فحلف داود قائلا : هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد ، ان كنت أذوق خبزا أو شيئا آخر قبل غروب الشمس » (٢ صموئيل ٣ : ٣١ — ٣٥) •

٨ — « فسأل داود الله من أجل الصبي ، وصام داود صوما ودخل وبات مضطجعا على الأرض • فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ، ولم يأكل معهم خبزا » (٢ صموئيل ١٢ : ١٦ ، ١٧) •

٩ — « فقال داود لعبيده : هل مات الولد؟ فقالوا : مات . فقام داود عن الأرض ، واغتسل ، وأدهن ، وبدل ثيابه ودخل بيت الرب ، وسجد ، ثم جاء الى بيته وطلب ، فوضعوا له خبزا فأكل . فقال له عبيده : ما هذا الأمر الذي فعلت ؟ لما كان الولد حيا صمت وبكيت • ولما مات الولد قمت وأكلت خبزا • فقال : لما كان الولد حيا صمت وبكيت لأني قلت

من يعلم ؟ ربما يرحمنى الرب ويحيا الولد . والآن قد مات ، فلماذا أصوم ؟ هل أقدر أن لرده بعد ؟ أنا ذاهب اليه . وأما هو فلا يرجع الى » (٢ صموئيل ١٢ : ١٩ — ٢٣) .

١٠ — « فنهض كل ذى بأس ورفعوا جثة شاول وجثث بنيه وأتوا بها الى يابيش ودفنوا عظامهم تحت البطمة فى يابيش وصاموا سبعة أيام » (١ اخبار الأيام ١٠ : ١٢) .

١١ — « ثم بعد ذلك أتى بنو موآب وبنو عمون ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة .. فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ، ونادى بصوم فى كل يهوذا » (٢ أخبار الأيام ٢٠ : ١ — ٣) .

١٢ — « وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى تتذلل أمام الهنا لنطلب منه طريقا مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا .. فصمنا وطلبنا ذلك من الهنا فاستجاب لنا » (عزرا ٨ : ٢١ — ٢٣) .

١٣ — « حدث فى شهر كسلو فى السنة العشرين بينما كنت فى شوشن القصر ، أنه جاء حنانى واحد من اخوتى هو ورجال من يهوذا ، فسألتهم عن اليهود الذين نجوا ، الذين بقوا من السبى وعن أورشليم . فقالوا لى : ان الباقين الذين بقوا من السبى هناك فى البلاد هم شر عظيم وعار ، وسور أورشليم منهدم ، وأبوابها محروقة بالنار .

فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياما وصمت وصليت أمام اله السماء . وقلت أيها الرب اله السماء الاله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه . لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك ، الذى يصلى اليك لآن نهارا وليلا ، لأجل بنى اسرائيل عبيدك ، ويعترف بخطايا بنى أسرائيل التى اخطأنا بها اليك . فانى أنا وبيت أبى قد أخطأنا .. » (سفر نحميا ١ : ١ — ٦) .

١٥ — « وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو اسرائيل بالصوم ، وعليهم مسوح وتراب .. ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم » (سفر نحميا ٩ : ١ ، ٢) .

١٦ — فلما سمعت (سـارة ابنة رعوئيل) هذا الكلام (الذي عيرتها به جارتها) صعدت الى علية بيتها ، فأقامت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تأكل ولا تشرب ، بل استمرت تصـلى ، وتتضرع الى الله بدموع ان يكشف عنها هذا العار » (طوبيا ٣ : ١٠ ، ١١) .

١٧ — « صالحة الصلاة مع الصوم والصدقة خير من ادخار كنوز الذهب » (طوبيا ١٢ : ٨) .

١٨ — « وسمع بنو اسرائيل المقيمون بأرض يهوذا فخافوا جدا من وجهة (أليفانا) .. وصرخ كل الشعب الى الرب بابتهال عظيم ، وذللوا الأطفال أمام هيكل الـرب ، وغطوا مذبح الـرب بمسـح ، وصـرخوا نفوسهم بالصوم والصلاة هم ونساؤهم . ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال ، أيام هيكل الرب ، وغطـوا مذبح الرب ، بمسـح ، وصرخوا جملة الى الرب اله اسرائيل أن لا يجعل أطفالهم غنيمة .. وجال ألياقيم كاهن الرب العظيم فى جميع اسرائيل وكلمهم قائلا : « اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم ان واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب . وكان الذين يقدمون المحرقات الى الرب لابسين المسـوح يقربون ذبائح الرب والرماد على رؤوسهم . وكانوا بجملتهم يصلون الى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه اسرائيل » (يهوديت ٤ : ١ — ١٧) .

١٩ — « ودعا (عزيا) الشيوخ كلهم ، فأكلوا معه بعد انقضـاء الصوم » (يهوديت ٦ : ٢٠) .

٢٠ — « وكانت يهوديت قد بقيت أرملة منذ ثلاث سنين وستة أشهر .. وكان على حقويها مسح ، وكانت تصوم جميع أيام حياتها ، ما خـلا السبوت ورؤوس الشهور وأعياد آل اسرائيل » (يهوديت ٨:٤ـ٦) .

٢١ — « وبينما هم ذاهبـون دخلت يهوديت معبـدها ، ولبست مسحا ، وألقت رمادا على رأسها ، وخرت أمام الرب وصرخت الى الرب قائلة .. اتوسـل اليك أيهـا الرب الهى أن تعيننى أنا الأرمـلة .. » (يهوديت ٩ : ١ — ٣) .

« فكانت (يهوديت) تخرج ليـلا الى وادى بيت فلوى وتغتسـل

فى عين الماء • وبعد صعودها كانت تتضرع الى اله اسرائيل أن يرشد طريقها لتخلص شعبها • ثم تدخل وتقيم فى خيمتها طاهرة الى أن تأخذ طعامها فى المساء » (يهوديت ١٢ : ٧ — ٩) •

٢٣ — « ولما علم مردخاى بكل ما حدث مزق مردخاى ثيابه ولبس مسحا برماد وخرج الى وسط المدينة وصرخ صرخة عظيمة مرة •• وكان فى كل اقليم حيث ورد أمر الملك (احشويرش) وسنته حزن عظيم عند اليهود وصوم وبكاء وعويل ، وجعل الرماد والمسح على كثيرين فجاءت جوارى أستير وخصيانها وأخبروها ، فاغتمت الملكة جدا •

فقالت أستير أن يجاوب مردخاى : اذهب اجمع جميع اليهود الموجودين فى شوشن ، وصوموا لأجلى ، ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة ايام ليلا ونهارا ، وأنا وجوارى نصوم كذلك ثم أدخل على الملك على خلاف السنة • فان هلكت فقد هلكت • فمضى مردخاى وفعل كل ما أمرته به أستير » (استير ٤ : ١ — ١٧) •

٢٤ — « وكتبت أستير الملكة بنت أبيجائل ومردخاى اليهودى بكل سلطان لاثبات رسالة الفوريم هذه ثانية ، وبعث بالرسائل الى جميع اليهود فى المئة والسبعة والعشرين اقليما من مملكة أحشويرش بكلام سلام وحق ، لاثبات يومى فوريم هذين فى أوقاتهما كما سنها مردخاى اليهودى وأستير الملكة ، وكما أوجبوا على أنفسهم وعلى نسلهم أمور الأصوام وصراخهم » (أستير ٩ : ٢٩ — ٣١) •

٢٥ — « وان أستير الملكة ايضا التجأت الى الرب خوفا من الخطر المشرف • فخلعت ثياب الملك ، ولبست ثيابا للحزن والبكاء ، وعوض الأطياب المختلفة ألقت على رأسها رمادا وزبلا وذللت جسدها بالصوم وجميع المواضع التى كانت تفرح فيها من قبل ملأتها من نتاف شعر رأسها ، وكانت تتضرع الى الرب اله اسرائيل قائلة أيها الرب الذى هو وحده ملكنا ، اعنى أنا المنقطعة التى ليس لها معين سواك •• »
(أستير ١٤ : ١ — ٣) •

٢٦ — « أما أنا ففى مرضهم كان لباسى مسحا ، أذللت بالصوم نفسى . وكانت صلاتى ترجع الى حضنى » (مزمور ٣٤ : ١٣) .

٢٧ — « وأبكيت بالصوم نفسى ، فصار ذلك عارا على » (مزمور ٦٨ : ١٠) .

٢٨ — « ركبتاى ارتعشتا من الصوم ، ولحمى هزل عن السمن » مزمور ١٠٨ : ٢٤) .

٢٩ — « كذلك الانسان الذى يصوم عن خطاياه ثم يعود يفعلها من ستجيب لصلاته ؟ وماذا نفعه اتضاعه ؟ » (يشوع بن سيراخ ٣٤ : ٣١) .

٣٠ — « يقولون : لماذا صمنا ولم تنظر ؟ ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ . ها انكم فى يوم صومكم توجدون مسرة ، وتسخرون جميع عملتكم . ها انكم للخصومة والنزاع تصومون ، ولتضربوا بلكمة الشر . لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء . أمثل هذا يكون صوم أختاره . يوما يذلل الانسان فيه نفسه ، يحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا . هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب . أليس هذا صوما اختاره . حل قيود الشر ، وفك عقد النير واطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير . أليس أن تكسر للجائع خبزك ، وان تدخل المساكين التائهين الى بيتك .

اذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك ، حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك ، وتنبت صحتك سريعا ، ويسير برك أمامك ، ومجد الرب يجمع شملك . حينئذ تدعو فيستجيب الرب ، وتستغيث فيقول : هاأنذا . ان أزلت من بيتك النير ، والاشارة بالاصبع والنطق بالباطل ، وأنفقت نفسك للجائع ، وأشبعت النفس الذليلة ، يشرق فى الظلمة نورك ، ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر ، ويهديك الرب فى كل حين ، ويشبع نفسك فى الأرض القاحلة ، ويقوى عظامك ، فتكون كجنة ريا ، وكنبع مياه لا تنقطع مياهه ، ومنك تبنى الخرب القديمة . وأنت تقيم أساسات جيل فجيل ، فيسمونك مرمم الثغرة ، مرجع المسالك للسكنى .

ان كففت عن السبت رجلك ، عن عمل مسرتك يوم قدسى ، ودعوت السبت نعيما ، ومقدس الرب مكرما ، وكرمته غير مباشر فيه مذاهبك ، وعن ايجاد مسرتك ، والتكلم بكلامك ، فحينئذ تتنعم بالرب ، وأركبك على مشارف الأرض ، وأطعمك ميراث يعقوب أبيك ، لأن فم الرب قد تكلم » (أشعياء ٥٨ : ٣ — ١٤) •

٢١ — « وقال لى الرب: لا تصل من أجل هذا الشعب للخير . حين يصومون لا أسمع صراخهم ، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم ، بل بالسيف والجوع والوبأ أنا أفنيهم » (أرميا ١٤ : ١١ ، ١٢) .

٣١ — « فادخل أنت ، واقرأ فى الدرج الذى كتبت عن فمى ، كل كلام الرب على مسامع الشعب ، فى بيت الرب ، فى يوم الصوم ، واقرأه أيضا على مسامع كل يهوذا القادمين من مدنهم » (أرميا ٣٦:٦) •

٣٢ — « وكان فى السنة الخامسة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا ، فى الشهر التاسع ، أنهم نادوا لصوم أمام الرب كل الشعب فى أورشليم وكل الشعب القادمين من مدن يهوذا الى أورشليم » (أرميا ٣٦:٩) •

٣٣ — « فبكوا وصاموا وصلوا أمام الرب » (نبوءة باروخ ١:٥) .

٣٣ — « حينئذ مضى الملك الى قصره ، وبات صائما ولم يؤت قدامه بسراريه » (دانيال ٦ : ١٨) •

٣٤ — « أنا دانيال •• فوجهت وجهى الى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد ، وصليت الى الرب الهى ، واعترفت وقلت : أيها الرب الاله العظيم المهوب ، حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه • أخطأنا وأثمنا وعملنا الشرب ، وتمردنا وحدنا عن وصاياك » (دانيال ٩ : ١ ، ٣ — ٥) •

٣٥ — « فى تلك الأيام أنا دانيال كنت نائما ثلاثة أسابيع أيام • لم آكل طعاما شهيا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » (دانيال ١٠ : ٢ ، ٣) •

٣٦ — « قدسوا صوما ، نادوا باعتكاف ، اجمعوا الشيوخ ، جميع سكان الأرض ، الى بيت الـرب الهكـم ، واصرخوا الى الـرب » (يوئيل ١ : ١٤) .

٣٧ — « ولكن الآن يقول الرب : ارجعوا الى بكل قلوبكم ، وبالصوم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم ، لا ثيابكم ، وارجعوا الى الرب الهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر ، لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمة وسكيبا للرب الهكم ...

اضربوا بالبوق فى صهيون ، قدسوا صـوما نادوا باعتكاف اجمعوا الشعب ، قدسوا الجماعة ، احشـدوا الشيوخ ، اجمعوا الأطفال وراضعى الثدى . ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من حجلتها . ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ، ويقولوا : اشـفق يارب على شـعبك ، ولا تسلم ميراثك للعار ، حتى تجعلهم الأمم مثلا . لماذا يقولون بين الشعوب: اين الههم ؟ » (يوئيل ٢:١٢—١٧) .

٣٨ — « فآمن أهل نينوى بالله ، ونادوا بصوم ، ولبسوا مسوحا من كبيرهم الى صغيرهم . وبلغ الأمر ملك نينوى ، فقام عن عرشه ، وخلع رداءه عنه ، وتغطى بمسح ، وجلس على الرماد . ونودي وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا : لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا . لا ترع ولا تشرب ماء . وليتغط بمسوح الناس والبهائم ويصرخوا الى الله بشدة ، ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم . لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه ، فلا نهلك . فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣:٥—١٠) .

٣٩ — « قل لجميع شعب الأرض وللكهنة قائلا ، لما صمتم ونحتم فى الشهر الخامس والشهر السابع وذلك فى تلك السبعين سنة ، فهل صمتم صوما لى أنا ؟ . ولمـا أكلتم ولما شربتم أفمـا كنتـم أنتم الآكلين وأنتم الشاربين ؟ .

وكان كلام الرب الى زكريا قائلا : هكذا قال رب الجنود قائلا : اقضوا قضاء الحق واعملوا احسانا ورحمة كل انسان مع أخيه • ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير ولا يفكر أحد منكم شرا على أخيه فى قلبكم » (زكريا ٧ : ٥ — ١٠) •

٤١ — « هكذا قال رب الجنود : ان صوم الشهر الرابع ، وصوم الخامس ، وصوم السابع ، وصوم العاشر ، يكون لبيت يهوذا ابتهاجا وفرحا وأعيادا طيبة • فأحبوا الحق والسلام » (زكريا ٨ : ١٩) •

٤٢ — « فلما رأوا الجيش مقبلا الى لقائهم ، قالوا كيف نطيق قتال مثل هذا الجمع القوى ، ونحن نفر يسير وقد استرخينا اليوم من الصوم » (١ المكابيين ٣ : ١٧) •

٤٣ — « وصاموا فى ذلك اليوم وتحزموا بالمسوح ، وحثوا الرماد على رءوسهم ومزقوا ثيابهم » (١ المكابيين ٣ : ٤٧)

٤٤ — « ففعلوا كلهم وتضرعوا الى الرب الرحيم بالبكاء والصوم والسجود مدة ثلاثة أيام بلا انقطاع • ثم حرضهم يهوذا وأمرهم بالاجتماع » (٢ المكابيين ١٣ : ١٢) •

ثالثا : نصوص من الاناجيل الأربعة وسفر الأعمال والرسائل تدل على الصوم والصلاة

١ — « كذلك متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فانهم يقطبون أساريرهم لكى يبدوا للناس صائمين • الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم • أما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك ، لا لكى تبدو صائما للناس ، بل لأبيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفية يكافئك علانية » (متى ٦ : ١٦ — ١٨) •

٢ — « ثم جاء اليه تلاميذ يوحنا قائلين : «لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيرا[٢] ، أما تلاميذك فلا يصومون ؟ » • فقال لهم يسوع : « هل يمكن

---

(١) قوله متى صمتم : يدل على انهم يصومون صيام اليهود .
(٢) يقصدون الصوم الاختيارى مثل الاثنين والخميس

لبني العرس أن يحزنوا ما دام العريس معهم ؟ لكن ستأتى الأيام حين يؤخذ العريس منهم ، فعندئذ سيصومون » (متى ٩:١٤ ، ١٥) •

٣ — « هذا الجنس لا يخرج الا بالصلاة والصوم » (متى ١٧:٢١)•

٤ — « وقال : انني أشفق على هــذا الجمع لأن لهم الآن معى ثلاثة أيام وليس لديهم ما يأكلون ، ولا أريد أن أصرفهم صائمين لئلا تخور قواهم فى الطريق » (متى ١٥:٣٢) ؛ (مرقس ٨:١—٣) •

٥ — « وكان تلاميذ يوحنــا والفريسيون يصــومون ، فجاءوا اليه وقالوا له : لمــاذا يصــوم تلاميذ يوحنــا والفريســيون ، واما تلاميذك فلا يصومون ؟ . فأجــاب يسوع وقال لهم : هــل يمكن لبنى العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ ما دام العريس معهم لا يمكنهم أن يصوموا• ولكن ستأتى الأيام ، حين يرفع العريس من بينهم ، فعندئذ سيصومون فى تلك الأيام » (مرقس ٢:١٨—٢٠) •

٦ — « ان هــذا الجنس لا يمكن اخراجه الا بالصــلاة والصوم » (مرقس ٩:٢٩) •

٧ — « ثم ظلت (حنة بنت فنوئيل) أرملة مدة أربع وثمانين سنة ، لا تبرح الهيكل ، متعبدة بالصوم والصلاة ، ليلا ونهارا » (لوقا ٢:٣٧) •

٨ — « وقالوا له : لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيرا ويصلون . وكذلك تلاميذ الفريسيين ، وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون ؟ » فقال لهم يسوع : « أيمكنكم أن تجعلوا بنى العرس يصومون ما دام العريس معهم ؟ لكن ستأتى الأيام حين يرفع العريس من بينهم، فعندئذ يصومون فى تلك الأيام » (لوقا ٥:٣٣—٣٥) •

٩ — « فوقف الفريسى يصلى فى نفســه قائلا : اللهم أشكرك على أننى لست كسائر الناس المغتصبين الظالمين الفاسقين ، •• فاننى أصــوم مرتين فى الأسبوع • » (لوقا ١٨:١١،١٢) •

* * *

الصـوم فى سـفر أعمال الرسل

١٠ — « فقال كورنيليوس : « منذ اربعة أيام كنت الى هذه الساعة صائما . وفى الساعة التاسعة من النهار (= الثالثة بعد الظهر) كنت أصلى فى بيتى ، واذا رجل بلباس أبيض لامع قد وقف أمامى » (أعمال ١٠:٣٠) .

١١ — « وبينما هم يخدمون الـرب عابدين ويصومون ، قال الروح القدس : « أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » .

١٢ — « فصاموا حينئذ وصلوا ثم وضعوا عليهما أيديهم وصرفوهما » (أعمال الرسل ١٣:٢،٣) .

١٣ — « ورسما لهم بوضع اليد ، كهنة فى كـل كنيسة . واذ صليا بأصوام . استودعاهم الرب الذى آمنوا به » (أعمال الرسل ١٤:٢٣) .

١٤ — « فلما مضى زمن طويل ، وصار السـفر فى البحر خطرا ، اذ كان الصوم أيضا قد انقضى ، أخذ بولس ينذرهم » (أعمال الرسل ٢٧:٩) .

١٥ — « وبعد امساك عن الأكل (الطعام) لمدة طويلة ، وقف بولس بينهم ، وقال : كان ينبغى أيها الرجال أن تذعنوا لى ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر ، وهذه الخسارة » (أعمال الرسل ٢٧:٢١) .

* * *

الصـــوم فى رســائل بولس

١٦ — « فلا يمنع أحدكما الآخـر عن نفسه الا على اتفاق بينكما ، والى حين ، حتى تتفرغا للصوم والصلاة ، ثم عودا الى ما كنتما عليـه ، لئلا يعوزكما ضبط النفس ، فتقعوا فى تجربة ابليس » (١ كورنثوس ٧:٥)

١٧ — « بل نظهر أنفسنا فى كل شىء أننا خدام الله ، فى صبر كثير ، فى الشدائد ، فى المحن (الضرورات) ، فى المشقات .

فى ضربات الجلد ، فى السجن ، فى الاضطرابات ، فى الأتعاب ، فى الأسهار ، فى الأصوام » (٢ كورنثوس ٦:٤،٥) .

١٨ — « فى أتعاب وآلام ، فى أسهار مرارا كثيرة . فى جوع وعطش ، فى أصوام مرارا كثيرة ، فى برد وعرى » (٢ كورنثوس ١١:٢٧) .

* * *

نص سفر اعمال الرسل المختلف فى تفسيره

(أ) ولما مضى زمان طويل ، وصار السفر فى البحر خطرا • اذ كان الصوم أيضا ، قد مضى ، جعل بولس ينذرهم قائلا : أيها الرجال أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ... الخ » (أع ٢٧ : ٩)

(ب) « وكان فى الكنيسة التى فى أنطاكية بعض الأنبياء والمعلمين• وسمعان ، الذى يدعى نيجر • ولوكيوس القيروانى • ومناين ، الذى تربى مع هيرودس ، رئيس الربع ، وشاول• وبينما هم يخدمون الرب ويصومون» (أع ١٣ : ١ —) •

يعنى بالأنبياء : العلماء الكبار مثل برنابا ، وسمعان ، ولوكيوس ، ومناين ، وشاول — الذى هو بولس — ويدل النص على أن خدمتهم كانت مع الصوم ، وأن الصوم كان فى زمان بولس ، وفى زمان مناين الذى تربى مع هيرودس — المعاصر لعيسى عليه السلام — أى أن الصوم كانوا يمارسونه بعد رفع المسيح عيسى مباشرة والصوم الذى صاموه هو صوم اليهود أنفسهم ، لأن زمان مجمع نيقية لم يكن قد أتى بعد •

وفى ترجمة دار المشرق جاء النص هكذا :

(أ) « ومضى زمن طويل حتى أصبح ركوب البحر خطرا ، لأن الصوم قد انقضى .. »

(ب) « وكان فى أنطاكية ، فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : برنابا هم برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ، ولوقيوس القبرينى ، ومناين الذى ربى مع أمير الربع هيرودس ، وشاول • فبينما هم يقضون فريضة العبادة للرب ، ويصومون » •

التفسير :

أولا : يفسر أصحاب ترجمة دار الشرق « اذ كان الصوم أيضا قد مضى » بقولهم : تلميح الى عيد التكفير الذى كان يقام فى أيلول (سبتمبر) •

ثانيا : يفسر الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى ـ وهو «وهيب عطا الله» ـ النص بقوله : ان المراد بالصوم هو صوم التلاميذ فى يوم الخمسين • وأن المجمع المسكونى الثانى المنعقد بالقسطنطينية سنة ٣٨١م أحصاه من بين الأصوام المقررة على النصارى أجمعين[٩] •

والرد عليهم : هو أن عوائد النصارى قررت فى المجامع المسكونية من بعد عيسى عليه السلام بزمان طويل •

* * *

ونحن عندما نصرح بأن النصرانية الحالية من صنع بطرس وبولس وغيرهما ، فاننا نصرح على المكتوب عندهم فى الكتب ، والحق : أن محرفى النصرانيه فى القرن الرابع من زمان مجمع نيقية هم الذين كتبوا المكتوب عندهم ،وسبوا المكتوب الى بطرس وبولس وغيرهما ، لأنهم من المشاهير ، وتناقضوا فى الذى كتبوه ونسبوه ، ويتضح ذلك : من أن بولس كان معاصرا للمسيح والنصارى ظلوا على الحق الى أربعمائة سنة من بعد موت بولس ، وأن الآراء المنسوبة الى بولس متناقضة ، وما يقال عن بولس يقال عن بطرس ، وسأذكر الآن الأمثلة على بولس ، كيف نسب اليه المحرفون أنه دعا الى نبذ التوراة ، وكيف نسبوا اليه أنه التزم بها ودعا الى العمل بها ؟ هذا تناقض ، وسأذكر عن بطرس مثل ذلك • ونبدأ بالكلام عن بولس فنقول :

---

(٩) ص ٤٤ ج ٢ اصوامنا العامة السبعة ـ للانبا غريغوريوس .

التناقض في
الكلام المنسوب إلى بولس وشمعون الصفا

أولا ـ التناقض في الكلام المنسوب الى بولس :

سنذكر مثلا واحدا ههنا عن تناقضه في شريعة موسى .

من اعترافات بولس بأنه ملتزم بشريعة موسى عليه السلام :

أولا : جاء في سفر أعمال الرسل : « فأشار الحاكم الى بولس يأذن له بالكلام . فأجاب : أعلم أنك تقضي في أمور هذه الأمة ، من عدة سنوات فأراني مطمئنا في الدفاع عن قضيتي ، يمكنك أن تتبين : أنه لم يمض على صعودي الى أورشليم للعبادة أكثر من اثنى عشر يوما . فما وجدوني مرة أجادل أحدا ، أو أثير جمعا . لا في الهيكل ولا في المجامع ، ولا في المدينة . ولا يمكنهم أن يثبتوا لك ما يتهموني به الآن . على أني أقر : بأني أعبد اله آبائي ، على الطريقة التي يزعمون : أنها شيعة ، وأؤمن بكل ما جاء في الشريعة وكتب الأنبياء . راجيا من الله ما يرجونه هم أيضا . وهو أن الأبرار والفجار . سيقومون . فأنا أيضا أجاهد النفس ، ليكون ضميري لا لوم عليه عند الله وعند الناس . وجئت بعد عدة سنوات ، أحمل الصدقات الى أمتي ، وأقرب القرابين . فعلى هذه الحال ، وجدوني في الهيكل ، وقد اطهرت ، ولم يكن هناك جمع أو ضجيج » (أع ٢٤:١٠ـ١٨)

يلاحظ في هذا النص : أن بولس وهو في هيكل سليمان بأورشليم، وفي أورشليم نفسها ، وفي كل مسجد من مساجد بني اسرائيل ـ والمسجد عندهم هو المجمع ـ لم يخرج عن شريعة موسى ولم يخالفها وأيضا : صرح بأنه لا يحفظ شريعة موسى فقط ، بل وكتب الأنبياء..وآية احترامه للشريعة : أنه كان في الهيكل متطهرا حسب شريعة النذيرين . وصرح بولس بأنه يعبد الله عز وجل آله آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب ، وصرح بأنه يؤمن بالدار الآخرة ، كما يؤمن الفريسيون ، وأنه ليس عند الله محاباة .

ثانيا : فريضة الصوم التي فرضها الله في التوارة على بني اسرائيل

والأمم ، كان الحواريون يؤدونها من بعد عيسى عليه السلام والتزام الحواريين شريعة موسى ، هو دليل على أن عيسى لم ينسخها ولم يبطلها . وكان شاول ــ الذى هو بولس ــ من الملتزمين . ففى سفر الأعمال : « وكان فى الكنيسة التى فى أنطاكية بعض الأنبياء والمعلمين هم : برنابا، وسمعان ، الذى يدعى نيجر ، ولوقيوس القيرينى ، ومناين الذى ربى مع أمير الربع هيرودس ، وشاول . فبينما هم يقضون فريضة العبادة للرب ، ويصومون » (أع ١٣:١ــ٢) .

ثالثا : فى رحلات بولس الى بلاد اليهود والأمم كان يدخل المساجد والمعابد فيجد الناس يتلون الشريعة والأنبياء . أى يقرأون فى توراة موسى ــ الأسفار الخمسة ــ وفى أسفار الأنبياء . وهذا معناه : أن المسيح عيسى بن مريم لم يصرح بنقض الناموس أو الأنبياء ــ كما صرح متى فى انجيله ــ ففى سفر الأعمال : « ثم أبحر بولس ورفيقاه من بافس : فبلغوا برجة بمفيلية . ففارقهما يوحنا ، ورجع الى أورشليم . أما هما فغادرا برجة ، وسارا حتى وصلا أنطاكية بسيدية ، ودخلا المجمع يوم السبت وجلسا وبعد التلاوة للشريعة والأنبياء ، أرسل اليهما رؤساء المجمع يقولون : أيها الأخوان اذا كان عندكما كلام وعظ للشعب ، فقولاه » (أع ١٣:١٣ــ١٠)

فدخولهم فى يوم السبت ، هو دليل على أنهم على دين موسى . وسماعهم كلام التوراة ، وأسفار الأنبياء ، هو دليل على أنهم على دين موسى .

ومن وعظ بولس المسطر فى سفر أعمال الرسل : « أيها الناس . لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر ضعفاء مثلكم . نبشركم بأن تتركوا هذه الأباطيل ، وتهتدوا الى الله الحى ، الذى صنع السماء والأرض والبحر ، وكل شىء فيها . ترك الأمم جميعا فى العصور الخالية تسلك سبلها ، على أنه يفته أن يؤدى الشهادة لنفسه بما يعمل من الخير ، فقد رزقكم من السماء الأمطار ، والفصول المخصبة ، وأشبع قلوبكم قوتا وهناء » (أع ١٤:١٥ــ١٧) .

انظر الى تصريح بولس بأن الله هو الحي الذي لا يموت ، وتذكر قول الأرثوذكس وهو أن الله هو المسيح وقد مات . تراهم يكذبون بولس في قوله وهم يصرحون بالولاء له .

رابعا : ثبت من القرآن الكريم : أن شريعة موسى عليه السلام كانت لبني اسرائيل وللأمم من قبل أن تنسخ بالقرآن الكريم وثبت منه أن علماء بني اسرائيل حرفوها لجنسهم ، واستبعدوا الأمم من الدخول في دينهم . ويقول المؤرخون : ان ذلك كان من أيام سبي بابل . وقالوا لما استبعدوا الأمم : « ليس علينا في الأميين سبيل » وثبت من التوراة : أن علماء بني اسرائيل جعلوها لجنسهم وللساكنين معهم في ديارهم من الأمم . أي أنهم امتنعوا عن القتال في سبيل الله ، والجهاد لنشر الدين ، واكتفوا بتعليم من يسكن بينهم فقط . وثبت من الأناجيل : أن المسيح عيسى عليه السلام وبخ علماء بني اسرائيل على اهمالهم في دعوة الأمم ، وسجل عليهم أنهم كانوا يطوفون البر والبحر ليكسبوا دخيلا واحدا من الأمم في شريعة موسى ، ثم يثقلون عليه الشريعة ، ويربحون من ورائه أي فائدة . والآن أثبت من سفر أعمال الرسل: اختلاط اليهود بالأمم. كما تزوج موسى صاحب الشريعة من امرأة حبشية ليست من جنس اسرائيل . والاختلاط يدل على رواج الديانة بين بني اسرائيل والأمم . ففي الأصحاح السادس عشر من سفر الأعمال : « وقدم دربة ، ثم لستره . وكان فيها تلميذ اسمه طيموتاوس . وهو ابن يهودية مؤمنة وأب يوناني . وكان الاخوة في لسترة وأيقونية يشهدون له شهادة حسنة . فرغب بولس أن يمضي معه ، فذهب به وختنه ، بسبب اليهود الذين في تلك الأماكن . فقد كانوا كلهم يعلمون أن أباه يوناني » (أ ع ١٦ : ١ — ٣) .

من الملاحظ في هذا النص : أن « طيموتاوس » ابن ليهودية من أب يوناني . وهذا يدل على اختلاط اليهود بالأمم في الزواج . رغم أنف عزرا ونحميا ، اللذان قررا عقب الرجوع من بابل ، عدم اختلاط اليهود بالأمم بالزواج وسيره وأن « طيموتاوس » قد ختنه بولس نفسه — حسب ما هو مقرر في شريعة موسى — فليسأل النصارى هذا السؤال : من الذي أمرهم

ينسخ شريعة موسى و « طيموتاوس » هذا . هو التلميذ المفضل لبولس ، وقد ختنه بولس نفسه ؟

خامسا : فى الأصحاح الثامن عشر من سفر الأعمال : « ومكث بولس بضعة أيام فى قورتنس ، ثم ودع الاخوة ، وأبحر الى سوريه ، ومعه برسقلة ، وأفيلا ، بعد ما حلق رأسه فى قنخرية ، لنذر كان عليه ، فلما وصلوا الى أفسس ، فارقهما ودخل المجمع فأخذ يخاطب اليهود ، فسألوه أن يطيل الاقامة بينهم ، فأبى . ولكنه ودعهم ، وقال : سأعود اليكم مرة أخرى ان شاء الله » (أ ع ١٨ : ١٨ — ٢٠) .

يلاحظ فى هذا النص : أن بولس كان عليه نذر حسب المقرر فى شريعة موسى فى الأصحاح السادس من سفر العدد وأنه حلق شعر رأسه وفاء للنذر ، بلا مظنة خوف من اليهود . وأنه صرح بمشيئة الله ، القادر على كل شىء .

سادسا : فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر الأعمال : أن رفقاء بولس لما سمعوا بتبشيره فى الأمم « مجدوا الله » على أن هدى الأمم للايمان بشريعة موسى . ثم قالوا له : انه يشاع عنك أنك تعلم جميع اليهود فى بلاد الأمم أن يتخلوا عن شريعة موسى ، ولو سمع علماء اليهود بما يشاع عنك لرجموك . فادفع هذه الاشاعة بعمل تطهير مع النذيرين « فاعمل بما نقوله لك : فينا أربعة رجال عليهم نذر ، فسر بهم واطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رءوسهم ، فيعرف جميع الناس أن ما يشاع عنك باطل . فى حين أنك سالك مثلهم طريق الحفاظ على الشريعة » (أ غ ٢١ : ٢٣ — ٢٤) .

سابعا : اعترف بولس — وهو لم ير عيسى عليه السلام قط — بأنه تربى تربية دينية على شريعة موسى . ذلك قوله : « أنا رجل يهودى ، ولدت فى طرسوس ، من قيليقية ، على انى نشأت فى هذه المدينة ، وتلقيت عند قدمى جملائيل ، تربية موافقة كل الموافقة لشريعة الآباء ، وكنت ذا حمية لله ، شأنكم جميعا فى هذا اليوم » (أ ع ٢٢ : ٣) .

ثامنا : في محاكمة بولس التي زعم فيها أنه من رعايا الدولة الرومانية ، قال في المجلس: « أيها الأخوة ، انى بكل نية حسنة سلكت سبيل الله الى هذا اليوم » (أ ع ٢٣ : ١) .

تاسعا : وبصدد رفع بولس دعواه الى قيصر روما ، قال في معرض دفاعه عن نفسه : « ما اذنبت بشيء . لا الى شريعة اليهود ، ولا الى الهيكل ، ولا الى قيصر » (أ ع ٢٥ : ٨) .

وكان قيصر ذلك الزمان هو « نيرون » سنة ٥٤ — ٦٨ بعد الميلاد . وأكد على أنه لم يتعرض للشريعة اليهودية بقوله : « ما أسأت الى اليهود بشيء » (أ ع ٢٥ : ١٠) .

عاشرا : وقال بولس في خطبته أمام الملك أغريبا : « أراني سعيدا أيها الملك أغريبا ، لأني سادافع اليوم عن نفسي في حضرتك ، من كل ما يتهمني به اليهود ، خصوصا انك تعرف كل ما لليهود من سنن ومجادلات ، فأسألك أن تصغى الى بطول أناة . ما كانت عليه سيرتي منذ صباى الذى قضيته من أوله في أمتي وفي أورشليم . ذلك أمر يعلمه جميع اليهود . فهم يعرفون من زمن بعيد ، لو شاءوا أن يشهدوا . يعرفون انى اتبعت أكثر مذاهب دياتتنا تشددا ، فعشت فريسيا » (أ ع ٢٦ : ٢ — ٥) .

الحادى عشر : وفي مدينة روما . دعا بولس اليه أعيان اليهود ، وقال لهم « أيها الاخوة . انى لم أفعل ما يسيء الى الشعب ولا الى سنن آبائنا » (أ ع ٢٨ : ١٧) .

نسخ أحكام التوراة الفقهية
من سفهاء النصارى

وفى توراة موسى عليه السلام آيات تدل على أن التوراة تبدل أحكامها الفقهية بأحكام يظهرها الله على فم نبى مثل موسى ، من اخوة بنى اسرائيل . ففى سفر التثنية : « سيقيم[1] لكم الرب الهكم من بين اخوتكم . نبيا ، مثلى ، فاليه أصغوا فى جميع ما يقول لكم ، ومن لم يستمع لذلك النبى ، يستأصل من الشعب » (تثنية ١٨ : ١٥) .

واليهود يقرون بذلك ، وينتظرون هذا النبى الى هذا اليوم ، ويتمسكون بالتوراة الى حين ظهوره . ولا يعترفون بأنه هو المسيح عيسى بن مريم .

والمسيح عيسى بن مريم كان يقول : ان هذا النبى المنتظر هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقب مملكته بلقب « ملكوت السموات » أو « ملكوت الله » ونادى فى بنى اسرائيل بقوله : « اقترب ملكوت الله » وحث الحواريين على السياحة فى بلاد الله لدعوة الناس اليه . وصرح بأن الناموس — الذى هو شريعة موسى — لن ينسخ ، حتى يكون الكل . أى يظهر النبى المماثل لموسى ، الذى يجب أن يسمعوا له ويطيعوا . فقد روى عنه متى : « لا تظنوا انى جئت لابطل الشريعة أو الأنبياء . ما جئت لأبطل . بل لأكمل . الحق أقول لكم : لن يزول جرف أو نقطة من الشريعة ، حتى يتم كل شىء ، أو تزول السماء والأرض . فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا ، وعلم الناس أن يفعلوا مثله ، عد الصغير فى ملكوت السموات . وأما الذى يعمل بها ويعلمها ، فذاك يعد كبيرا فى ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٧ — ١٩) .

---

(١) استشهد بطرس بهذا النص فى الأصحاح الثالث من سفر الأعمال . وهو استشهاد خليط من (تث ١٨ : ١٥ و ١٨) وأخبار ٢٣ : ٢٩ ومعنى يستأصل من الشعب هو أن الذى يرفض كلام النبى الآتى ، لن ينتمى الى شعب الله ويكون من الكافرين .

يقول المعلقون على هذا النص فى ترجمة دار المشرق : ان « لأكمل » من معانى الفعل اليونانى .

(أ) « حقق » والمقصود : أحقق نبوءة . أى أن يسوع لم يرد ابطال الشريعة ، وانما اراد تحقيق نبوءة عن النبى المنبأ به فى الشريعة .

(ب) « ملأ » وعلى هذا المعنى يكون يسوع ليس قاصدا تحقيق نبوءة فقط ، وانما يريد أن يبلغ حد الكمال فى الاعلان عنها بوضوح تام . وبذلك يعيد الى الشريعة معناها الحقيقى ، فيجعلها تدرك كما لها الجذرى ، وتستعيد بساطتها الأصلية . كما جاء عنه : « فانى أقول لكم : ان لم يزد بركم[٢] على بر الكتبة والفريسيين ، لا تدخلوا ملكوت السموات » (٥ : ٢٠) وقوله « حتى يتم كل شىء » يريد به بقاء سلطة الشريعة بعد ما جدد قيمتها الى التمام . وهو ظهور النبى الآتى . وقوله الصغير والكبير : هو اشارة الى ما كان شائعا عند اليهود وهو أن الكبير هو المحافظ على الشريعة ، والصغير هو المستهزىء بها .

وبعد تصريح المسيح عيسى عليه السلام بأنه لم يأت لنسخ التوراة وانما أتى لاصلاحها وتفسيرها تفسيرا حسنا ، أظهر عمله بالشريعة ، لئلا يظن أنه أعرض عنها . ففى انجيل متى : « ولما نزل من الجبل ، تبعته جموع كثيرة ، واذا أبرص يدنو منه ، فيسجد له ، ويقول : يا رب ان شئت فأنت قادر على أن تبرئنى . فمد يسوع يده فلمسه ، وقال : قد شئت فابرأ . فبرىء من برصه لوقته . فقال له يسوع : اياك أن تخبر أحدا بالأمر ، بل اذهب الى الكاهن فأره نفسك ثم قرب ما أمر به موسى من قربان . شهادة لديهم » (مت ٨ : ١ — ٤) .

يتبين من هذا النص : أن الأبرص الذى دعا عيسى لشفائه كان يجب

(٢) هذا البر هو أمانة التلاميذ لشريعة الله كما فى ٥ : ٦ و ١٠ وهى أمانة جديدة أصبحت ممكنة وماسة بفضل تفسير يسوع لهذه الشريعة ٧ : ٢٩ والكلمة نفسها بالمعنى نفسه فى ٣ : ١٥ و ٥ : ٦ و ١٠ و ٦ : ١ و ٣٣ و ٢١ : ٣٢ (تعليق دار المشرق) .

عليه أن يقرب القربان لله حسبما تنص شريعة موسى فى الأصحاح الرابع عشر من سفر الأحبار • فهل ألغى عيسى تقريب القرابين ؟ ولان عدم الغائه للقرابين ، يدل على أنه لم ينسخ شريعة موسى •

وقد روى لوقا هذه المعجزة • وقال للابرص المبرأ : « اذهب الى الكاهن فأره نفسك ثم قرب عن برئك ما أمر به موسى ، شهادة لديهم » (لو ٥ : ١٤) وقوله « شهادة لديهم » معناه : أن هذه « الشهادة » تتناول فى آن واحد قدرة عيسى عليه السلام على الشفاء باذن الله ، وطاعته للشريعة فى (أ ح ١٤ : ٢ — ٣) •

ومن ذلك نعلم : أن المسيح عيسى عليه السلام حسب المكتوب فى كتبهم لم ينسخ التوراة • وتصريحه بعدم نسخها ، نظهر بوضوح للأمى والعالم أنه ليس هو النبى المنتظر المماثل لموسى • فلماذا يقول النصارى : انه هو ؟ أما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو النبى المنتظر المماثل لموسى • وقد صرح بنسخه للتوراة وأظهر المخالفة لأحكامها — عن أمر الله تعالى — فقد جاء فى القرآن الكريم : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » — « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » والمهيمن يأمر ويطاع •

ثانيا — التناقض فى الكلام المنسوب الى بطرس :

سنذكر مثلا واحدا ههنا يدل على تناقضه فى نبوءة التوراة عن النبى المنتظر •

النبى المنتظر :

ومن أوصاف النبى المنتظر أن يسمع له بنو اسرائيل فى كل ما يكلمهم به • وهو سيظهر ليقر شريعة مشابهة لشريعة موسى — عليه السلام — والنصارى نظروا فى هذه الصفة • وائتمروا على تطبيقها على عيسى — عليه السلام — ليوهموا العالم بأنه هو النبى المنتظر فماذا فعلوا ؟ انهم نسبوا الى بطرس واستفانوس عكس ما صرحا به فى البدء • فانه من الواضح : أن عيسى ومن كان معه من الحواريين كانوا يبشرون باقتراب ملكوت السموات ، الذى سيظهر فى الأرض بعد زوال المملكة الرابعة وهى مملكة روما كما صرح دانيال فى الأصحاح السابع من سفره • وكان عيسى

ـ عليه السلام ـ يقنع بنى اسرائيل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا جاء وكان الحواريون مثله فى الاقناع • وبطرس قام خطيبا فى بنى اسرائيل وتلا نبوءة موسى عن النبى المنتظر • لكن الموجود الآن فى سفر أعمال الرسل أنه تلاها ليقنعهم بأن النبى المنتظر هو عيسى عليه السلام • ومن المؤكد أنه فى البدء تلاها ليفسرها على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه دعا مع المسيح عيسى والحواريين الى اقتراب ملكوت السموات . وسمع وصية عليسى للحواريين وقد كان حاضرا . وهى : « الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ١٠:٥ـ٧) ويضاف الى ذلك : أن موسى قال أنه سيكون مثلى فى الحروب والانتصار على الأعداء والمعجزات ، وقال : ولن يظهر مثلى من بنى اسرائيل • وعليه فانه لا يكون الآتى من بنى اسرائيل • واذ عيسى من بنى اسرائيل ، فانه لا يكون هو المبشر به •

واذ من المعلوم أنه سيقر شريعة ، وعيسى صرح بأنه على دين موسى : قرر النصارى الغاء التوراة ، ليوهموا الناس بأن عيسى هو المبشر به ، وقد قرر شريعة هى الايمان به ربا مصلوبا • فهدف النصارى من نسخ التوراة : هو ايهام الناس بأن النبى المنتظر هو المسيح عيسى عليه السلام ولا نبى من بعده •

يدل على ذلك الخطبة المنسوبة الى بطرس فى سفر الأعمال ، والخطبة المنسوبة الى استفانوس • والكلام المنسوب الى بولس وغيره • فان سفر الأعمال قد كتب فى القرن الرابع الميلادى بعد ما اتفق اليهود والرومان على أجبار النصارى على القول بأن عيسى هو النبى المنتظر ، ليقفلوا باب النبوة فى وجه صاحبها وهو محمد صلى الله عليه وسلم •

الخطبة المنسوبة الى بطرس :

جاء فى سفر أعمال الرسل : أن بطرس شفا مقعدا « فقام وثبا ، وأخذ يمشى ، ودخل الهيكل معهما ، ماشيا ، قافزا يسبح الله ، فرآه الشعب كله يمشى ويسبح الله » (أ ع ٣ : ٨ ـ ٩) •

أعد قراءة النص ولاحظ أنه سبح الله • الذى لا اله الا هو • وتذكر دون الكاثوليك وهو أن الله ثالث ثلاثة • وأعمل عقلك فى الواحد الذى سبحه المقعد ، وفى التثليث الذى يدعيه الكاثوليك • وان أنت أعملت عقلك ، تجد أن الكاثوليك يخالفون ظاهر النص وباطنه ، ثم اسأل نفسك لماذا نسبو الخوارق والمعجزات الى بطرس وبولس وغيرهما ؟ انهم لما أرادوا اقرار النصرانية فى العالم على أساس أن النبى المنتظر هو المسيح عيسى بن مريم ، لا محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أن المسيح عيسى لم يصرح بما أقروا به ، ويعلمون أنه صنع معجزات وخوارق عادات ، لما أراد أن يقنع الناس بما قال • كتبوا : أن الحواريين والمسيح عيسى عليه السلام متساوون • والدليل على المساواة التى ابتدعوها : هو أن المعجزات مشتركة مع الكل ، وبها أقنع بما قال • وبها نحن أيضا نقنع بما نقول • فما لم يقله هو ، نقوله نحن • واذ هو قال : أنا لم انسخ دين موسى ، فما الذى يمنعنا من أن نقول : نحن نسخنا دين موسى ؟ انه أعطانا الاذن بالحل والربط • بدليل أننا نفعل ما قد فعله • وغفل هؤلاء الضالون عن أن الله تعالى يؤيد أنبياءه بالمعجزات • والحواريون ليسوا بأنبياء • ومن يقرأ كتب المتصوفين[٣] ومناقبهم ، يجد : أن الكتاب قد كتبوا عن

---

(٣) ليعلم المسلمون المخلصين لدينهم : أن الصلة وثيقة جدا جدا بين أهل التصوف وأهل الحديث . وأهل التصوف منهم الشيعى الامامى الاثنى عشرى ، ومنهم السنى المنتسب للأئمة الأربعة — وهم الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى — ومن المؤكد : أن أهل التصوف كلهم أهل حديث ، سواء كان الراوى من شيعة البخارى أو من شيعة الكلينى . وأهل الحديث وضعوا لمتصوفة الطائفتين أحاديث فى مناقب الأئمة وذلك لكى يستنصر بعضهم ببعض . وسأذكر الآن نصا يكون شاهدا على الصلة الوثيقة — فى الباطل — بين المتصوفين وأهل الحديث ، وهو شاهد أيضا يدل على أن الفرقتين فى الاسلام نشئا معا ، وارتقيا معا ، واتفقا على هدف واحد ، هو اللغو فى القرآن . وذلك اللغو هو لضعف المسلمين ، واذلالهم ، وتحيرهم فى فهم الشريعة .

النص :

« قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : دخلت امرأة على ابى . فقالت : يا أبا عبد الله انى امرأة أغزل فى الليل على ضوء السراج ، وربما طفىء السراج ، فأغزل على ضوء القمر . فهل على أن أبين غزل السراج من غزل

. . . .

القمر ؟ فقال لها ابى : ان كان عندك بينهما فرق ، فعليك أن تبينى ذلك . فقالت : يا ابا عبد الله انين المريض هل هو شكوى ؟ فقال لها : انى ارجو ان لا يكون شكوى ، ولكن هو اشتكاء الى الله تعالى .

ثم انصرفت . قال عبد الله : فقال لى ابى : يا بنى ما سمعت انسانا قط يسال عن مثل ما سألت عنه هذه المراة . اتبعها . قال عبد الله : فتبعتها الى أن دخلت دار « بشر الحافى » فعرفت أنها اخت « بشر الحافى » .

وقال عبد الله أيضا : جاءت « مخة » اخت « بشر الحافى » الى أبى ، فقالت : يا ابا عبد الله رأس مالى : دانقان . اشترى بهما قطنا ، فأغزله وابيعه بنصف درهم . فانفق دانقا من الجمعة الى الجمعة . وقد مر الطائف الليلة ، ومعه مشعل ، فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقين فى ضوءه ، فعلمت : ان لله — سبحانه وتعالى — فى ، مطالبة . فخلصنى من هذا — خلصك الله تعالى — فقال أبى : تخرجين الدانقين ، ثم تبقين بلا رأس مال ، حتى يعوضك الله خيرا منه . فقال عبد الله : فقلت لأبى : لو قلت لها : حتى تخرج راس مالها . فقال : يا بنى سؤالها لا يحتمل التأوين . فمن هذه المرأة ؟ فقلت : هى « مخة » أخت « بشر الحافى » فقال ابى : من ههنا أتيت » (انتهى النص) .

لاحظ : انه امر ابنه باتباعها . وأنه افتاها باخراج مالها كله صدقة ، وان تبقى بلا مال . وذلك لأنها غزلت على ضوء « مشعل » ينير لمن يعزل ولمن لم يغزل . وهى لم تتسبب فى احضار المشعل ، ولم تتلف زيته . وقد فطن عبد الله ابن الامام احمد ابن حنبل — الفقيه والمحدث — الى قساوة الحكم . فأشار — كما ظهر لنا — بأن تعرف مقدار الدانقين ، وتخرج من ربحهما كل اسبوع أو كل شهر ، جزءا من مقداريهما . وتحسب الأجزاء ، حتى اذا بلغت مقدار الدانقين، تكف هى عن الاخراج . أما انها تخرج الدانقين ابتداء وحالا وتظل بلا عمل وبلا نفقة ، فان هذا لو فعلنه فيه قسوة .

وكيف يصح هذا فى دين الاسلام . الذى ارادوا الكسل لأهله ، بمثل هذه الروايات التى لم تقع ولم تحدث ؟ ومعلوم : أن هذه الروايات كانت من أسباب تأخر المسلمين فى عصرنا الراهن .

و « بشر الحافى » هذا ، لو اتخذه المسلمون قدوة ، لاستولى الوهن والضعف على قلوبهم ، فانهم يروون عنه : أنه لقب بالحافى ، لأنه جاء الى اسكافى ، يطلب منه شسعا لاحدى نعليه . وكان قد انقطع . فقال له الاسكافى : ما أكثر كلفتكم على الناس . فألقى النعل من يده ، والأخرى من رجله ، وحلف لا يلبس نعلا بعدها . هذا ما يرووه عنه على جهة الثناء والمدح . ويهدفون من روايته الى ان يهجر المسلمون عمارة الدنيا ، ويتركونها لأعدائهم .

واذ قد صح هذا وثبت . فانه يتوجب على المسلمين المخلصين لدينهم : نبذ التصوف وراء ظهورهم ونسيانه ، ونبذ مرويات أهل الحديث التى

شوشت على معانى القرآن ، وهونت من شأنه . مثل ما ذكرنا فى كتابنـا هذا من الأحاديث الضعيفة فى القسم الثانى .

ميامر النصـارى :

وأذكر ههنا الآن مما يدل على أن التصوف دخيل على دين الاسلام : أن من عادات النصارى عادة قراءة « الميامر » فى عيد القديسين . وذلك ان القديس الذى يموت ، يكتبون سيرته فى كتاب ، ويكتبون تاريخ مولده وتاريخ موته . ثم يعملون فى ذكرى ميلاده عيدا يجتمعون فيه من كل مكان لزيارة قبره ، والتبرك به ، والدعاء عنده ، وقراءة سيرته فى يوم عيده ، ليقتدى به النصارى فى سلوكهم . والميمر كلمة سريانيـة معنـاها : السيرة الذاتيـة للقديس . والميامر : احتفالات دينية سنوية بأعياد القديسين ، وفيها تتلى سيرة القديس المحتفى به ، للتكريم ، وللاقتداء به فى فضيلته ، والتمثـل بأعمـاله .

أغـابى النصارى :

وفى الأعيـاد يقيمون « الأغابى » ومعناها : ولائم المحبـة . للفقـراء والمساكين ، وتوفى النذور باسم القديس ، ويقرأون فى هـذه المناسـبة وأثناء تناول الطعام سيرة القديس الذى يحتفلون بذكراه . وما يزال الأقباط — ولا سيما فى الريف — يقيمون لهذه الاحتفالات أهمية خاصة ، ويخبزون لهذه المناسبة خبزا خاصا ، يعجنونه بالزيت والسكر أو العسل وينحرون الذبائح ويطبخون لحم العجول والخراف ، وأحيانا السمك وفاكهة الموسم ، الى جانب الخضروات المناسبة . وهناك كتب خاصة لهذه الميامر . منهـا كتاب ميامر العذراء مريم ، وميامر أعيـاد الملائكـة ، وميامر الشـهداء والقديسين . وقد توسع بعض العلماء فى مفهوم الميامر . فحولوا السـيرة الى خطبة أو محاضرة وعظية نافعة للتعليم والتقويم . وعلى هـذا صارت الميامر مرادفة للعظات . مثل ميامر السروجى .

هذا ملخص ما عند النصارى فى موالد القديسين ، وما يحدث فى مزاراتهم . فهل تجد من فرق بين ما هو عندهم وما هو عند سفهاء المسلمين المتصوفين ؟

مغاطس الأضرحة :

أضف الى ذلك : بأن « المغطس » الموجود فى الكنائس القديمة ، يوجد مثله « عند أضرحة الأولياء من المسلمين . وأدلل على ذلك : بأن فى مقـابر قرية ميت الخولى عبد الله » ، وقرية الزرقا مدقرية دمياط . قبر « الشيخ

الصالحين ، مثلما كتب النصارى عن الحواريين وخوارق العادات التى يؤيد الله بها أبيائه ، كقلب العصا ثعبانا لموسى عليه السلام ، نسبها النصارى كذبا وزورا لآبائهم وأجدادهم ، وذلك ليوهموا الأميين بأن لهم شأنا عظيما عند الله وعند المسيح عيسى بن مريم • ثم يخدعونهم بأن من حقهم التحليل والتحريم والحل والربط • فانهم قد كتبوا فى شأن بطرس ـ شمعون الصفا ـ : « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات • فكل ما تربطه على الأرض ، يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض ، يكون محلولا فى السموات » (متى ١٦ : ١٩) والقول فى بدئه له معنى وهو أن « ملكوت السموات » الذى بشر به يسوع والمعمدان : هو ملكوت محمد صلى الله عليه وسلم وقد ناديا باقترابه ، رغم أنف علماء بنى اسرائيل الذين كانوا لا يريدونه • والمسيح عيسى عليه السلام يقول للحواريين كلهم فى شخص رئيسهم : لقد أعطيتكم أسرار ملكوات السموات الآتى ، وفسرت لكم نصوص الكتب التى تدل عليه تفسيرا حسنا فكل قول تفوهون به عنه كما علمتكم هو القول الذى ربطه الله عنده وأحصاه فى كتابه ، ويدل على أن هذا هو معنى العبارة فى البدء : أن وصية المسيح لتلاميذه مكتوب فيها : « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ١٠ : ٥ ـ ٧) وأن

عيد أبو يوسف » وهو قبر مشيد . وعليه قبة عظيمة ، وبجواره مسجد ، وله مولد سنوى كبير ، يؤمه اتباعه ومريدوه من كل مكان ، لالتماس البركات ، والتشفع به عند الله تعالى . وكنت مع أهلى وأنا صغير ، أزوره فى مولده كل عام وأقيم بجواره مدة

وكان بجوار الضريح « مغطس » وسمعت من نسوة صالحات : أنهن يغطسن فيه للشفاء من الأمراض ، والتطهر من الخطايا . ورأيته والنسوة يتنافسن على دخوله قبل عودتهن الى بلادهن . وفى الكنائس مغاطس ، عند مداخل الكنائس ، تستخدم يوم عيد الغطاس ، تشبها بعماد عيسى عليه السلام فى نهر الأردن ، على يد يحيى عليه السلام ـ كما جاء فى انجيل متى ـ وقد كشفت أعمال الترميم فى كنيسة أبى سيفين الأثرية بمصر القديمة ، عن مغطس أثرى كان مطمورا فى التراب . وكشف عن « ايقونات » وصور جدارية « فريسكات » .

المسيح قال لعلماء بنى اسرائيل : « ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمه تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) •

ولكن النصارى تخطوا هذا المعنى الأصيل ، الى المعنى الباطل ، وهو أن التحليل والتحريم يكونان فى عوائد موسى والآباء • مع أن المسيح عيسى قال لهم : « ما جئت لأنقض الناموس ، أو الأنبياء » (متى ٥ : ١٧) •

انظر فى هذه المعجزة المنسوبة الى بولس الذى لم ير المسيح قط • وهى : « فلما حصل صوم كثير • حينئذ وقف بولس فى وسطهم وقال : كان ينبغى أيها الرجال أن تذعنوا لى ، ولا تقلعوا من كريت ، فتسلموا من هذا الضرر والخسارة • والآن انذركم أن تسروا ، لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم ، الا السفينة • لأنه وقف بى هذه الليلة ملاك الاله ، الذى أنا له ، والذى أعبــدد • قائلا : لا تخف يا بولس • ينبغى لك أن تقف امام قيصر • وهو ذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك • لذلك سروا أيها الرجال ، لأنى أومن بالله : أنه يكون هكذا كما قيل لى ••• » (أعمال ٢٧ : ٢١ —) •

يريد أن يقول : أن ملاك الله عز وجل الذى يؤمن به ، ويعبده • ظهر له وقال له : ان الله سينجى جميع المسافرين معك من الغرق • فهل يقدر أحد على أن يصدق هذا ؟ والنصارى لا يصدقونه ، ويتظاهرون بالدفاع عن صحة النص ، لأنهم لو صدقوه لرفضوا التثليث الذى هم عليه مقيمون ، وتنصلوا عن عبادة المسيح عيسى بن مريم وأمه •

كرامات الأولياء :

وأظهر المتصوفون المعجزات ، تحت ستار « الكرامات » .واتخذوها وسيلة لهدم الدين ، تماما كما فعل النصارى • وادعوا أن كبراءهم ينظرون الى صورهم وأجسامهم ، وهم فى قبورهم ، وأنهم ينفعون ويضرون ، وأنهم يصلون فى الكعبة ، ويسبحون مع الأولياء ليلا فى كل مكان ، ويهيمون على وجوههم فى أى صورة من الصور • كما هو مسـطر فى طبقات الشعرانى وحلية الأولياء وغيرهما • فهل فى افساد الأديان أقوى من هذا ؟

ومثال ذلك :

قال عبد الواحد بن زيد وكان ــ رجلا صالحا ــ سألت الله ثلاث ليال أن يريني جاري في الجنة فقيل لي : يا عبد الواحد جارك في الجنة ميمونة السوداء . فقلت : واين هي ؟ فقيل لي : هي في بني فلان في الكوفة . فذهبت الى الكوفة أسأل عنها فاذا هي ترعى غنما فاذا غنمها ترعى مع الذئاب وهي قائمة تصلي !

فلما فرغت من صلاتها قالت : يا ابن زيد ، ليس هذا الحوار انما هو حوار الجنـــة .

فقلت : ما أدراك أني ابن زيد ؟ فقالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ! فقلت لها : عظيني . فقالت : واعجبــا لواعظ يوعظ ! فقلت لها : ما لي أرى أغنامك ترعى مع الذئاب ؟

قالت : اني أصلحت ما بيني وبين الله فأصلح الله ما بيني وبين غنمي والذئاب !

فعدت من حيث اتيت !

* * *

الى هنا . ونرجع الى الكلام مع بطرس في موضوع النبي المنتظر .

والنبي المنتظر المكتوب عنه في التوراة في الأصحاح الثـامن عشر وهو : « يقيم لك الرب الهك نبيــا من وسطك من اخــوتك مثلي . له تسمعون ... الخ » كان يلقب بألقاب منها : « المسيا » ــ « المسيح » ــ « العبد المتألم » ــ « القدوس » ــ « البار » ــ « سـيد الحياة » وفي الخطبة المنسوبة الى بطرس ــ وهو لم يقلها ــ تجد أن الكاتب يريد أن يقنع الناس بأن النبي المنتظر هو المسيح عيسى عليه الســلام وذلك بذكر الألقاب الخاصة به ، حتى لا ينتظر الناس غيره .

نص الخطبة :

« يا بني اسرائيل . لمــاذا تعجبون من ذلك ؟ ولمــاذا تحدقون الينا ، كأننا بذات قوتنا ، أو تقوانا ، جعلناه يمشي ؟ ان إله ابراهيم واسحق

ويعقوب . اله آبائنا قد مجد عبده يسوع ، الذى أسلمتموه أنتم ، وأنكرتموه أمام بيلاطس ، وكان قد عزم على تخلية سبيله ، ولكنكم أنكرتم القدوس البار ، والتمستم العفو عن قاتل ، فقتلتم سيد الحياة ، فأقامه الله من بين الأموات ، ونحن شهود على ذلك . ومن فضل الايمان باسمه ، أن ذاك الاسم قد شدد هذا الرجل الذى تنظرون اليه ، وتعرفونه . والايمان الذى من عند يسوع هو الذى وهب لهذا الرجل كمال الصحة هذه ، بمرأى منكم جميعا .

وانى أعلم ، أيها الأخوة أنكم عملتم ذلك بجهالة ، وهكذا رؤساكم أيضا . فأتم الله ما أنبأ من ذى قبل بلسان جميع الأنبياء ، وهو أن مسيحه سوف يتألم . فتوبوا وارجعوا لكى تمحى خطاياكم ، فتأتيكم من عند الرب أيام الفرج ، ويرسل اليكم المسيح المعد لكم من قبل . أى يسوع . ذاك الذى يجب أن تتقبله السماء الى أزمنة تجديد كل ما ذكره الله بلسان أنبيائه الأطهار فى الزمن القديم . فلقد قال موسى : « سيقيم لكم الرب الهكم من بين اخوتكم نبيا ، مثلى ، فاليه أصغوا ، فى جميع ما يقول لكم ، ومن لم يستمع لذلك النبى يستأصل من بين الشعب » .

وان جميع الأنبياء من صموئيل الى الذين تكلموا بعده على التوالى ، قد بشروا هم أيضا بهذه الأيام . فأنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عقده الله لآبائكم . اذ قال لابراهيم : « فى نسلك تبارك جميع عشائر الأرض » فمن أجلكم أولا ، أقام الله عبده ، وأرسله ليبارككم ، فيتوب كل منكم عن سيئاته » (أعمال ٣ : ١٢ — ٢٦) .

البيـــان :

١ — يقول بطرس : ان علماء بنى اسرائيل لما ائتمروا على يسوع المسيح ، وقدموه للحاكم الرومانى عليهم « بيلاطس » بتهمة أنه يطلب الملك على بنى اسرائيـل ، ويريد أن يطرد الرومان من « فلسطين » قال لهم بيلاطس : ان يسوع برىء مما قلتم . ولست أجد فيه علة واحدة . فصاحوا وطلبوا قتله . وكان من عادة بيلاطس فى كل عام أن يطلق سراح سجين .

يعينونه هم بالاسم . فأوعز العلماء للشعب أن يطلبوا العفو عن « باراباس » القاتل . ولا يطلبون العفو عن يسوع المسيح . فأطلق بيلاطس سراح « باراباس » وأسلم يسوع بعد ما جلده ، ليصلب (مرقس ١٥ : ١٥) .

وهذا هو معنى المكتوب فى كتبهم . ونحن المسلمين ننكر قتل يسوع المسيح وصلبه . وفى الانجيل : أنه بعد الحادثة ، ظهر للحواريين ثلاث مرات (يوحنا ٢١ : ٢٤) وقال لهم يسوع : قدموا من السمك الذى أمسكتم الآن (يو ٢١ : ١٠) « فناولوه جزءا من سمك مشوى ، وشيئا من شهد عسل ، فأخذ وأكل قدامهم » (لوقا ٢٤ : ٤٢ — ٤٣) ورأته مريم المجدلية أولا . وهى التى ذهبت الى الحواريين ، وأنبأتهم بخبر رؤيتها له (مرقس ١٦ : ٩ — ١٠) وظهر لاثنين منطلقين الى البرية ، وأخيرا ظهر للاحد عشر وهم متكئون ، ووبخ عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم (مر ١٦ : ١٢ —) .

ومن هذا الذى هو مكتوب عن ظهوره وأكله وشربه وكلامه بعد الحادثة التى كتبوها زورا . يتبين : أنه لم يقتل ولم يصلب .

٢ — ونبوءة التوراة عن محمد نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم طبقها بطرس على يسوع المسيح . ففى سفر التثنية ، فى الأصحاح الثامن عشر : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلى . له تسمعون ... أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أطالبه » (تث ١٨ : ١٥ —) .

وفى سفر الأحبار — وهو سفر اللاويين — عن صوم يوم الكفارة « أن كل نفس لا تتذلل فى هذا اليوم عينه تقطع من شعبها . وكل نفس تعمل عملا ما فى هذا اليوم عينه ، أبيد تلك النفس من شعبها » (لا ٢٣ : ٢٩ — ٣٠) يريد أن يقول : ان مخالف التوراة فى حكم فقهى واحد ، مستوجب القتل . فالممتنع عن الصوم . مستوجب القتل . واذا ظهر النبى المماثل لموسى . وامتنع انسان من بنى اسرائيل عن السماع له ، فانه يكون مستوجب القتل . ذلك ما يريد بطرس أن يوضحه لعلماء بنى اسرائيل .

لكنه أخطأ — ان كان هو القائل — فى جعل النبى الآتى يسوع ، لا محمد بن عبد الله نبى الاسلام • انه صاغ نبوءة سفر التثنيــة على وفق فريضــة الصوم • ونطق النص هكذا : « سيقيم لكم الرب الهكم من بين اخوتكم : نبيــا مثلى ، فاليه أصغوا فى جميع ما يقول لكم ، ومن لم يســتمع لذلك النبى ، يستأصل من بين الشعب » أى لن ينتمى الى شعب الله بعد اليوم الذى سيظهر فيه •

وفى ترجمــة أخرى : « ان نبيــا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم • له تسمعون فى كل ما يكلمكم به • ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى ، تباد من الشعب » (أ ع ٣ : ٢٢ — ٢٣) •

٣ — وقال بطرس لعلماء بنى اسرائيل : « أنتم أبناء الأنبياء ، والعهد ، الذى عقده الله لآبائكم • اذ قال لابراهيم : « فى نسلك تبارك جميع عشائر الأرض » •

يريد أن يقول لهم : ان النبى المنتظر المماثل لموسى ، لابد أن يظهر فى بنى اسرائيل • وقد ظهر • وهو يسوع المسيح ، فلماذا لا تؤمنون به ؟ ثم استدل لهم بنص من توراة موسى وهو أن الله تعالى قال لابراهيم : « فى نسلك تبارك جميع عشائر الأرض » (تكوين ١٢ : ٣) •

وقد أخطأ فى استدلاله • وذلك لأن نسل ابراهيم المبارك فيه • ليس نسل اسرائيل ابن اسحق فقط • ففى سفر التكوين : ١ — أن نسل اسماعيل من نسل ابراهيم • ٢ — وأن نسل اسماعيل مبارك فيه كنســل اسحق • ففى الأصحاح الحــادى والعشرين : « لأنه باســحق يدعى لك نســل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ — ١٣) وفى الأصحاح الســابع عشر : « وأما اســماعيل فقد سمعت لك فيه • ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) •

واذ قد صح وثبت أن لاسماعيل بركة • ومعناها : أن نسله سيسير أمام الله ، بشريعة • كما سار نسل اسحق أمام الله بشريعة • هى شريعــة

موسى . فلابد أن يأتي من نسله نبي ، لتبدأ من ظهوره بركة اسماعيل في الأمم .

وفي نص نبوءة موسى عن النبي المماثل له : « واجعل كلامي في فمه » أي يكون أميا ، لا يقرأ ولا يكتب . وهذا الوصف لا ينطبق على يسوع المسيح ، لأنه كان كاتبا وقارئا (يو ٨ : ٨) ولذلك جاء في القرآن الكريم عن محمد صلى الله عليه وسلم : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، اذا لارتاب المبطلون » وذلك لأن من أوصاف النبي الآتي في التوراة : « واجعل كلامي في فمه » .

* * *

ومما تقدم ، يعلم : أن دين اليهود ينبه الناس الى نبي سيأتي من بعد موسى لينسخ شريعته . ــ هو محمد صلى الله عليه وسلم ــ وأن اليهود لبسوا الحق بالباطل في النصوص الدالة عليه لئلا يؤمنوا به اذا جاء . وهم مرتدون عن شريعة موسى ، بما فعلوا ، ومفسدون لدينهم ، وكفار . وأن النصارى قد طبقوا كل نصوص النبوءات عن النبي المماثل لموسى ، على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . لئلا يؤمنوا بمحمد اذا جاء . وهم مرتدون عن شريعة موسى بما فعلوا ، ومفسدون لدينهم ، وكفار .

* * *

والديانة النصرانية الموجودة الآن في العالم . هي موجودة على حالها المعروف من القرن الرابع الميلادي . ومن يريد أن ينقدها . فليبدأ أولا وقبل كل شيء بذكر نصوص النبوءات عن النبي المنتظر ، ويبين سرقة النصارى لها ، لتطبيقها قسرا على يسوع المسيح . ثم بعد ذلك يتكلم في التثليث وغيره .

والذين لم يفطنوا الى نصيحتنا هذه ، لم يفطنوا الى أن أقنوم الابن . أصله نبوءة . وأن أقنوم الروح القدس . أصله نبوءة . وبعد ما طال جدالهم صرحوا بأن مذهب النصارى غير واضح . والحق : أن مذهبهم واضح لدارسي النبوءات فقط . كما هو مبين في كتاب « أقانيم النصارى » ومما يدل على ذلك أيضا :

أن داود عليه السلام نطق نبوءة عن النبى الآتى المماثل لموسى ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم هى المزمور المائة والثامن عشر . وبين فيها : أنه سيتألم كثيرا من أذى الكفار والمنافقين . وأن الله سينصره عليهم « باسم الرب أبيدهم » وبين فيها : أن الله لن يسلم النبى الآتى الى أعدائه ، ليقتلوه « والى الموت لم يسلمنى » وبين فيها : أنه سيغير شريعة موسى « أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح » وبين فيها : أنه سيظهر من النسل المحتقر فى أعين بنى اسرائيل . وهو نسل هاجر — رضى الله عنها — « الحجر الذى رفضه البناءون ، قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا . وهو عجيب فى أعيننا » .

وعيسى عليه السلام — طبقا لرواية متى ومرقس ولوقا وبرنابا — بين لعلماء بنى اسرائيل : أن ملكوت الله سينزع منهم ، ويعطى لنسل هاجر — رضى الله عنها — وبين : أن النبى الآتى سيكون محاربا منتصرا ، وأنه اذا قصد قوما أهلكهم . ونفس المعنى قاله أشعيا فى الأصحاح الثامن والعشرين « لذلك هكذا يقول السيد الرب : هأنذا أؤسس فى صهيون

والعشرين « لذلك هكذا يقول السيد الرب : هأنذ أؤسس فى صهيون

حجرا . حجر امتحان ، حجر زاوية كريما ، أساسا مؤسسا » (اش ٢٨:١٦) ففى انجيل متى فى مثل الكرامين الأردياء القتلة : « قال لهم يسوع . أما قرأتم قط فى الكتب : « الحجر الذى رذله البناءون هو الذى صار رأس الزاوية . من عند الرب كان ذلك . وهو عجب فى أعيننا » لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله سينزع منكم ، ويعطى لأمة تثمر ثمرة . من وقع على هذا الحجر تهشم ، ومن وقع عليه هذا الحجر ، حطمه » (متى ٢١ : ٣٣ — ٤٦) .

وفى هذا المعنى يقول الله فى القرآن الكريم : « قل : اللهم مالك الملك . تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء » يريد أن يقول : اننى اعطيت لبنى اسرائيل الملك والشريعة . وبهما صار لهم عز فى الدنيا ، ووجاهة . والآن نزعت منهم الملك والشريعة . حسب وعدى لابراهيم عن اسماعيل ابنه .

والذين حرفوا النصرانية . غيروا كلام عيسى نفسه فى النبوءات . وطبقوها عليه هو . وهو عليه السلام قد طبقها على غيره . ففى الأصحاح الرابع من سفر أعمال الرسل : أن بطرس قال :

« يا رؤساء الشعب ، ويا أيها الشيوخ . اذا كنا نستجوب اليوم عن الاحسان الى عليل ، ليعرف بماذا نال الخلاص . فاعلموا جميعا ، وليعلم شعب اسرائيل كله : أنه باسم يسوع المسيح الناصرى ، الذى صلبتموه أنتم ، فأقامه الله من بين الأموات . بهذا الاسم يقف أمامكم ذاك الرجل معافى .

هذا هو الحجر ، الذى رذلتموه أنتم البنائين ، فصار رأس الزاوية . فلا خلاص بأحد غيره ، لأنه ما من اسم آخر تحت السماء أطلق على أحد الناس ، ننال به الخلاص » (أ ع ٤ : ٩ ــ ١٢) .

* * *

وتترك الكلام الآن عن بطرس ، وترجع الى بولس ونقول : انه مكتوب عنه : أنه أخذ نبوءات التوراة ، كلها ونبوءات أسفار الأنبياء عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ووضعها على المسيح عيسى عليه السلام . تماما كما هو المنسوب الى بطرس .

بولس والنبوءات :

ومكتوب فى سفر أعمال الرسل وغيره : أن بولس طبق نبوءات التوراة ــ التى هى لمحمد صلى الله عليه وسلم ــ على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

ففى الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل : « فأخذ لوقته ينادى فى المجامع : بأن يسوع هو ابن الله » (أ ع ٩ : ٢٠) يريد أن يقول : انه دخل مساجد اليهود وصرح فى خطبه ودروسه بأن يسوع هو ابن الله . فما هو معنى ابن الله ؟ انه لا يعرف المعنى الا العالمون بالنبوءات . واستعمال لقب « ابن الله » هو موازاة لـ « المسيح » فى قوله بعد : « على أن شاول كان يزداد قوة ، ويفحم اليهود المقيمين فى دمشق مبينا أن

يسوع هو المسيح » (أ ع : ٩ : ٢٢) وما هو معنى أن يسوع هو المسيح ؟ انه لا يعرف المعنى الا العالمون بالنبوءات . وهو مبين فى كتابنا « أقانيم النصارى — توضيح ونقد » .

والمسيح هو نفسه المسيا ، وهو نفسه النبى ، وعند السامريين « تاهب » وعند العبرانيين « هاما شيح » أو « المشيح » ويسوع مسيح ، ولكن ليس هو المسيح . هو نبى ، ولكن ليس هو النبى ، هو مسيا ، ولكن ليس هو المسيا . هذا مبين فى كتاب « المسيا المنتظر » .

وفى الأصحاح الثالث عشر من سفر أعمال الرسل : أخذ بولس قول يوحنا المعمدان عن محمد صلى الله عليه وسلم وهو « يأتى بعدى من هو أقوى منى ... الخ » (متى ٣ : ١١) وطبقها على يسوع المسيح . ونسى أن يسوع كان معاصرا للمعمدان . يقول بولس : « وسبق أن نادى يوحنا قبل مجيئه بمعمودية توبة لشعب اسرائيل كله . ولما أوشك يوحنا أن ينهى شوطه . قال : من تظنون أنى هو ؟ لست اياه — أى لست أنا النبى المنتظر — ها هو ذا آت بعدى ، ذاك الذى لست أهلا لأن أفك رباط حذائه » (أ ع ١٣ : ٢٤ — ٢٥) .

* * *

وبعدما بينا المشابهة بين بطرس وبولس فى وضع النبوءات على من ليست هى له . نبين : رجوع بولس عن قوله فى العمل بالتوراة ، الى قوله :

(أ) بنبذ العمل بأحكامها .

(ب) والتخلق بالخلق الحسن .

(أ) موقف بولس من الأحكام التشريعية الفقهية فى التوراة :

يقول بولس فى رسالة لأهل غلاطية : « نحن يهود بالولادة ، ولسنا من الوثنيين الخاطئين ، ومع ذلك فنحن نعلم : أن الانسان لا يبرر بالعمل بأحكام الشريعة ، بل بالايمان بيسوع المسيح . ونحن ايضا آمنا بالمسيح يسوع . لكى نبرر بالايمان بالمسيح لا بالعمل بأحكام الشريعة ، فانه لا يبرر

العمل بأحكام الشريعة ، بل بالايمان بيسوع المسيح • ونحن أيضا آمنا بالمسيح يسوع ، لكى نبرر بالايمان بالمسيح ، لا بالعمل بأحكام الشريعة » (غلا ٢ : ١٥ — ١٦) •

المناقشـــة :

١ — أى دين من الأديان يتكون من ركنين اثنين هما : ١ — الايمان ٢ — والعمل بأحكام الدين • (أ) الفقهية • (ب) والخلقية • وشريعة موسى تتكون من الايمان والأعمال • الايمان بالله ، واليوم الآخر • والأعمال بالأحكام التى أنزلها الله لعباده المؤمنين به فى التوراة • وقد جاء فى التوراة : أن الأعمال شرط صحة فى الدين • وأن الذى لا يعمل بالأحكام ، فانه يقتل كفرا وحدا فى دار الدنيا ، ويخلد فى نار جهنم فى الدار الآخرة • يدل على ذلك : قول بنى اسرائيل لموسى وهم فى جبل الطور حال نزول الشريعة : « تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب الهنا ، وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب الهنا ، فنسمع ، ونعمل » (تث ٥ : ٢٧) وقول الله لبنى اسرائيل : « ان هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة منك • ليست هى فى السماء حتى تقول : من يصعد لأجلنا الى السماء ، ويأخذها لنا ، ويسمعنا اياها ، لنعمل بها ، ولا هى فى عبر البحر ، حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ، ويأخذها لنا ، ويسمعنا اياها ، لنعمل بها ، بل الكلمة قريبة منك جدا ، فى فمك وفى قلبك ، لتعمل بها » (تث ٣٠ : ١١ — ١٤) •

فقد جعل « العمل » ركنا فى الدين ، وحذر من التهاون فيه •

٢ — ويقول بولس : ان الايمان بيسوع المسيح الها مصلوبا مقتولا مكفرا عن الخطايا ، يدخل الجنة • وأن العمل بالأحكام التشريعية الفقهية المذكورة فى التوراة ، ليس منه فائدة تعود على المرء • فلماذا يعمل بها وقد آمن بيسوع المسيح ؟ هذا هو قوله • وهو يدل على أنه مرتد عن دين بنى اسرائيل ومفسد لدينهم ، ومستهزىء بالله • ومن هذا حاله ، فانه يكون مستوجب القتل ، هو ومن يتبعه ، ويسير على رأيه • وذلك لأن الله تعالى ما أعطى الموعد لابراهيم ونسله ، الا لأنه قد عمل أعمالا حسنة • فانه قد

حطم الاصنام تحطيما ، وجاهد فى الله حق جهاده . وهذا عمل . وختن أبناءه . وهذا عمل . وبنى مساجد لله . وهذا عمل . وعلم الناس مكارم الأخلاق . وهذا عمل . والتزم بشريعة من تقدمه وهو نوح عليه السلام . ومثله كان اسحق وبنوه وكان اسماعيل وبنوه . الى زمان موسى عليه السلام .

وعيسى بن مريم نفسه قد عمل أعمالا حسنة . وصرح بأن الأعمال على وفق التوراة شرط صحة فى الدين . ووبخ علماء بنى اسرائيل على تهاونهم فى الأعمال . فقد أثر عنه فى انجيل لوقا : « وأما الذى يسمع ولا يعمل ، فانه يشبه رجلا بنى بيتا على التراب بغير أساس ، فاندفع النهر عليه ، فانهار اوقته . وكان خراب ذلك البيت جسيما » (لو ٦ : ٤٩) .

وخاطب علماء بنى اسرائيل بقوله : « أيها الحيات أولاد الأفاعى . كيف لكم أن تهربوا من عقاب جهنم » (متى ٢٣ : ٣٣) .

(ب) موقف بولس من مكارم الأخلاق :

وأما مكارم الأخلاق . وهى الصدق ، والأمانة ، والكرم ، والجود ، والعفو والصفح ، والبعد عن السرقة ، والزنا ، وتمنى مال الغير ، والقتل ظلما ، وما شابه ذلك من حميد الصفات ، فان بولس وشيعته دعوا اليه ، وآمروا به ، ورغبوا فيه . ومن كلامه فى هذا الشأن .

« كونوا كارهين الشر . ملتصقين بالخير ، وادين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية . مقدمين بعضكم بعضا فى الكرامة ، غير متكاسلين فى الاجتهاد ، حارين فى الروح ، عابدين الرب ، فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق ، مواظبين على الصلاة . مشتركين فى احتياجات القديسين عاكفين على اضافة الغرباء . باركوا على الذين يضطهدونكم . باركوا ولا تلعنوا . فرحا مع الفرحين . وبكاء مع الباكين . مهتمين بعضكم لبعض . اهتماما واحدا . غير مهتمين بالأمور العالية ، بل منقادين الى المتضعين لا تكونوا حكماء عند أنفسكم . لا تجازوا أحدا عن شر بشر . معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس . ان كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء ، بل أعطوا مكانا للغضب ، لأنه مكتوب :

« لى النقمة . أنا اجازى . يقول الرب » فان جاع عدوك فأطعمه ، وان عطش فاسقه ، لأنك ان فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه . لا يغلبنك الشر ، بل اغلب الشر بالخير » (رو ١٢ : ٩ — ٢١) .

وقال بولس : « لا تكونوا مديونين لأحد بشيء الا بأن يحب بعضكم بعضا ، لأن من أحب غيره ، فقد اكمل الناموس . لأن لا تزن ، لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته . وان كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة : « ان تحب قريبك كنفسك » المحبة لا تصنع شرا للقريب ، فالمحبة هى تكميل الناموس » (رو ١٣ : ٨ — ١٠) .

حجة بولس على الايمان بلا أعمال :

ويحتج بولس على الغاء الأحكام الفقهية فى التوراة بفعل ابراهيم . وغرضه من الدعوة الى الغائها : هو أنه من أحكامها : حكم السماع من النبى الآتى على مثال موسى (تث ١٨ : ١٥ — ٢٢) ومن لا يسمع لكلامه : ينفصل عن جماعة المؤمنين ، ويخرج من بين الشعب المختار . وهو لا يريد بنى اسرائيل أن يسمعوا له . فلذلك أوصى بأن يجعلوه هو يسوع المسيح . وجعل حجته : فعل ابراهيم نفسه . فقال : ان ابراهيم كان يدعو الى مكارم الأخلاق ، والى الله وحده ، ولم يكن يدعو الى أن هذا حلال وهذا حرام . فلماذا لا نكون مثله ؟ ان الشريعة بدأت بموسى . ومن قبله لم تكن شريعة . وهى شريعة أدبت الناس ورققت قلوبهم ، وهيأت نفوسهم لقبول « المسيح » وقد أدت غرضها . وقبلناه — على أنه يسوع — فلماذا نصر عليها ؟ لنرجع الى فعل ابراهيم . هذه هى دعوته . وهى واضحة فى الأصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية . ومن كلامه فيها : « اذا الذين هم من الايمان يتباركون مع ابراهيم المؤمن ، لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس ، هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ، ليعمل به » .

والرد عليه :

هو أن شريعة نوح عليه السلام كانت هى شريعة ابراهيم . وسواء أكانت سهلة أم صعبة ، فانها فى عرف الله والناس : شريعة . وقد التزم

بها اسرائيل نفسه . وحرم على نفسه ن الطعام عرق النسا ، من تلقاء نفسه ، ثم ان الله نسخها بشريعة موسى وجعل المحلل محرما . فالخنزير صار محرما فى شريعة موسى . وقد كان حلالا من قبله ، لأن « كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل » والأخت كانت مباحة ، ثم صارت محرمة . هذا بيان . وبيان آخر وهو ان الله تعالى لما واعد بنى اسرائيل فى جانب الطور الأيمن من جهة مكة ، مكان سكنى اخوة بنى اسرائيل . واعدهم على نزول شريعة . منها الايمان بالنبى الآتى من اخوة بنى اسرائيل . اذا جاء وواعدهم على العمل بها . وهم قد قبلوا لا وقالوا : « كل ما نكلم به الرب ، نفعل »

ومن كلام الوعد : « وأما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب ، وتخبر بنى اسرائيل : أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النسور ، وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتم ، وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فان لى كل الأرض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة ، وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٣ — ٦) .

وقد قبل بنو اسرائيل الوعد ، لقوله : « فجاء موسى ، ودعا شيوخ الشعب ، ووضع قدامهم كل هذه الكلمات ، التى أوصاه بها الرب فأجاب جميع الشعب معا ، وقالوا : كل ما تكلم به الرب ، نفعل » (خر ١٩ : ٧ — ٨) .

وقد أخذ الله الميثاق عليهم ، وبين لهم : أن تارك العمل بها ، يكون ملعونا فى الدنيا ، والآخرة . ذلك قوله : « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ، ليعمل بها » (تث ٢٧ : ٢٦) .

وعلى هذا ، فانه لا يصح لبولس ارجاع الناس الى فعل ابراهيم ، لأن فعله كان على شريعة نوح . وقد صار فعله منسوخا بفعل موسى عليه السلام . أى لا يحق لنسله الفعل على شريعة نوح . فانها قد نسخت . ويحق لهم الفعل على شريعة موسى . الى أن يأتى النبى المماثل لموسى . ويحق لهم الفعل على شريعة النبى المماثل لموسى . وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما سنبينه تحت عنوان « مواعيد الله لبنى اسرائيل » .

إبراهيم النبي عليه السلام

إسحق من سارة — إسماعيل من هاجر

يعقوب

لاوى

هرون ـ موسى

إليصابات أم ـ مريم أم
يحيى — عيسى

« تلك أمة قد خلت »
بظهور أمة محمد عليه السلام

محمد نبي الإسلام

مواعيد الله لبني إسرائيل ولبني إسماعيل

يبدأ وعد الله تعالى لابراهيم عليه السلام بأنه هو ونسله سيكونون سائرين أمام الله . بعد جهر ابراهيم عليه السلام بنبذ عبادة الأوثان فى أرض آبائه وأجداده التى هى الآن فى حدود المملكة الاسلامية الايرانية ــ وأرض الآباء والأجداد ، جاء عنها فى سفر التكوين : « فخرجوا معا ، من أور الكلدانيين ، ليذهبوا الى أرض كنعان . فأتوا الى حاران ، وأقاموا هناك » (تك ١١:٣١) .

نصوص وعد الله لابراهيم :

النص الأول :

« وقال الرب لابرام : اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك . ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك .فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢:١ــ٣ .

والأمة العظيمة : هى أن يكون نسل ابراهيم كثيرا جدا ، لا يعد من الكثرة .

وأباركك : أى أصطفيك لتبليغ أحكامى الى خلقى ، وأغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

وأبارك مباركيك : أى أغفر ذنوب المؤمنين بك . والسامعين لكلامك، والعاملين به . من نسلك ، ومن غير نسلك .

ولاعنك العنة : أى أهلك أعداءك . من نسلك ، ومن غير نسلك .

وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض : أى أن كل قبيلة تقبل قولك ، فانها ستكون مرحومة من الله بسببك . وكل من يعلم بأنك له سبب رحمة، فانه سيعظم ذكرك ، ويعظم نسلك ، ويدين لهم بالولاء . ويخضع لرئاستهم، لأن الله قد جعلهم سببا لهدايته ، كما يشكر الأعمى من يأخذ بيده ، وينجيه من الهلاك .

وقول الله لابراهيم : هو له وللسائرين أمام الله من نسله .

وقوله « جميع قبائل الأرض » يدل على أن دعوة ابراهيم ليست خاصة لنسله ، بل هي لعموم الناس . ويدل أيضا على أن مباركة ابراهيم في جميع القبائل ليست لابراهيم وحده . فانه سيموت من قبل أن يزور بلاد الدنيا جميعها . وانما هو ونسله ، ستتبارك فيهم جميع قبائل الأرض.

النص الثاني :

قال الله لابراهيم وهو متوجه الى أرض كنعان — التي هي أرض فلسطين — : « لنسلك أعطى هذه الأرض » (تك ١٢:٧) وهو سيعطيها لهم ليذيعوا فيها كلام الله . ومن يقبل قولهم فانه يكون قد أسلم وجهه الى الله ، ويكون بالاسلام متساويا مع نظيره من نسل ابراهيم . الا أن نظيره سيكون غالبا عليه في نظره بسبب أنه قد هداه الى الاسلام .

ويدل على ذلك : أن ابراهيم لما دخلها « بنى هناك مذبحا للرب » أي مسجدا ، ودعا فيه الى عبادة الله وحده ، لا شريك له (تك ١٢:٧—٨)

النص الثالث :

قال الله لابراهيم : « لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات » (تك ١٥:١٨) .

ومتى يكثر وجودهم في سيناء ؟

بين النص : أن نسل ابراهيم من اسحق سيتغرب من بعده في الأرض أربعمائة سنة . وفي الجيل الرابع يكثر وجودهم في سيناء ، استعدادا لدخول فلسطين . ذلك قوله :

« فقال الرب لأبرام : اعلم يقينا : أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ، ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربع مئه سنة . ثم الأمة التى يستعبدون لها ، أنا أدينها . وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة . وأما أنت فتمضي الى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون الى ههنا » (تك ١٥:١٣—١٦) .

انظـــــر :

ابراهيم — اسحق — يعقوب — لاوى — قهات — عمران — موسى •
وبنو اسرائيل خرجوا من مصر التى استعبدتهم مع موسى عليه السلام • فيكون خروجهم فى الجيل السابع ، لا فى الرابع • وقوله : « ان نسـلك سيكون غريبا » يقصد به الكاتب نسل اسرائيل .. فان اسماعيل من نسله • ولم يتغرب أبناؤه فى مصر ، ولم يستعبدوا قط . وكذلك أبناء ابراهيم من قطوره ، وهم نسله . وما تغـربوا . وكذلك نســل « عيسو » ابن « اسحق » فانهم ما تغربوا .

النص الرابع :

بيان السبب فى ارث نسل ابراهيم للأرض :

وقد بين الله لابراهيم : أن سبب ارثه هو ونسله لجميع أمم الأرض• هو أنهم يسـيرون أمـام الله ، فى الأرض كلها • فى مصر ، وفلسطين ، واليمن ، والشام ، والعراق • وايران • وجميع الممالك • يسيرون لدعوة الناس الى الله ، ولنبـذ عبادة الأوثان ، ولتبليغ أوامـر الله ، وللقتال فى سبيله ، ولاحقاق الحق وازهاق الباطل •

ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « وقال لا : أنا الله القدير • سر أمامى ، وكن كاملا • فأجعل عهـدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا » •

« فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسـمك ابراهيم ، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيرا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون » (تك ١٧ :١—) •

انظر الى قوله : « سر أمامى » أى امش فى جميع القبائل بالدعـوة الى دينى • وانظر الى قوله « وكن كاملا » أى قدوة فى صالح الأعمال • وهذا هو الشرط • وان وفى به ابراهيم وبنيه يكون الجزاء هو تكثير النسل ، وملك النسل على الأمم والشـعوب • والملك يدل على أنهـم سيدخلون البلاد فاتحين وناشرين للدين •

تقسيم بركة ابراهيم على نسله :

وقد أنجب ابراهيم من هاجر — وهى جارية — ابنه اسماعيل . وبعد أربعة عشر عاما . أنجب اسحق . ابنه من سارة . ثم أنجب ستة أولاد من قطورة — وهى سرية ابراهيم — وكان من اعراف ذاك الزمان : أن المرأة الحرة اذا أعطت جاريتها لزوجها لينجب له منها نسلا ، أن ينسب النسل للحرة السيدة ، لا للجارية ، ويتساوى فى الارث مع ابن الحرة السيدة . ولهذا العرف قسمت بركة ابراهيم بين اسحق بن الحرة وبين اسماعيل بن جارية سارة . وحرم أولاد قطورة من البركة ، لأنها سرية ابراهيم .

وهذا العرف مذكور فى سفر التكوين عند الكلام على زواج يعقوب من ليئة وراحيل عند قوله : « ادخل عليها ، فتلد على ركبتى ، وأرزق أنا أيضا منها بنين » (تك ٣٠:٣) .

وعلى هذا يكون النسل المتساوى فى الارث هو نسل اسماعيل ، ونسل اسحق . لكن « سارة » رفضت مساواة ابنها مع ابن الجارية « هاجر » فى الأرث ، مع أنه ولدها ، بحكم عرفهم وشريعتهم . وابراهيم قبح فى عينيه رفضها . وقال الله له : « انه باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لأنه نسلك » (تك ٢١:١٢—١٣) .

وقال ملاك الله لهاجر : « تكثيرا أكثر نسلك ، فلا يعد من الكثرة » (تك ١٦:١٠) .

« وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها . فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » (تك ١٧:١٥—١٦) .

« وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك » أى يسير أمامك فى دعوة الناس الى دينك . ورد الله عليه بالبركة فى اسماعيل بقوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه ، وأنمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » (تك ١٧:١٨—   ) .

« ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافى ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام ، وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر . وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران » (تك ٢١:١٧ـ٢١) .

بدء بركة اسحق ونهايتها :

ولما مات ابراهيم عليه السلام . قام أبناؤه بالسير أمام الله من بعد . كل فى مكانه ، وحسب ما تيسر له . فاسماعيل وأبناؤه فى أرض فاران ــ وهى مكة المكرمة ــ واسحق وأبناؤه فى أرض كنعان ــ قرب فلسطين ــ وأبناء « قطورة » فى الأردن .

وكلهم يعلمون من ابراهيم أبيهم بظهور ملك لهم فى العالم ملك قائم على شريعة من الله . ملك لنسل اسحق ، وملك لنسل اسماعيل ملك ليس لاذلال الناس ، وانما للتمكين لدين الله فى الأرض . ويعلمون : أن الملك فى نسل اسحق ، سيبدأ من نبى يظهره الله فيهم ، بشريعة من عنده . وأن الملك فى نسل اسماعيل ، سيبدأ من نبى يظهره الله فيهم ، بشريعة من عنده . والزمان الذى سيظهر فيه نبى من بنى اسماعيل ، هو نفسه الزمان الذى ستنتهى فيه بركة اسحق فى الأمم .

وفى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين : « ودعا يعقوب بنيه ، وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام » أى فى آخر أيام بركة اسحق التى أنتم قائمون بها . وذلك لأن اسحق أنجب يعقوب وعيسو . وحمل يعقوب بركة اسحق أبيه ، ولم يحملها عيسو . فصار نسل بنى يعقوب ــ الذى هو اسرائيل ــ هو المقابل لنسل اسماعيل . فى البركة (تك ٢٧:٣٣) .

ثم قال يعقوب : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩:١٠) أى لا يزول

الملك من اليهود ، ولا تنسخ الشريعة التى ستكون معهم ، حتى يأتى نبى السلام ، وتخضع له الشعوب . وقد زال الملك منهم ، ونسخت شريعتهم — التى هى شريعة موسى — على يد محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد دخل يعقوب أرض مصر ، مع بنيه وبنى بنيه . وسكنوا من مدينة « فاقوس » الى مدينة « صان الحجر » ثم خرجوا من مصر مع نبى الله موسى عليه السلام .

وكان هو وأبناؤه ، يدعون الى الله فى « مصر » .

* * *

ملك ابراهيم فى الأمم :

ولنتحدث عن ملك ابراهيم عليه السلام الى حين ظهور موسى عليه السلام . فنقول :

١ — ابراهيم النبى عليه السلام لم يكن نبيا فحسب ، وانما كان نبيا ، وملكا . وورثه فى الملك من بعده ابنه « اسحق » وكان اسحق من الأنبياء ، كسليمان بن داود — عليهما السلام — ومن بعد موت اسحق عليه السلام صار فى بنى ابراهيم ، والذين آمنوا بدعوته ، قضاة على الناس الى حين ظهور النبى المعظم موسى . وقد كان أيضا من الملوك العظام .

فابراهيم عليه السلام دعا الى عبادة الله وحده فى أرض آبائه ، — التى هى الآن فى المملكة الاسلامية الايرانية — ومن قبل تحريقه بالنار ، كان له أتباع ، ومن المؤكد : أنه بعد نجاته ، قد آمن كثيرون بما يقول . وجاهدوا معه فى سبيل الله ، وانتشروا فى بلاد كثيرة مذكرين بالله واليوم الآخر . وقالوا لقومهم : « أنا برءا منكم ، ومما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ، حتى تؤمنوا بالله وحده » .

وجاء ابراهيم الى « فلسطين » ونشر دعوته فيها ، وفى ما حولها من القرى . وهبط الى « مكة » ونشر دعوته فيها ، وفى ما حولها من القرى . وشرق وغرب حتى وصل الى « مصر » ووصلت دعوته الى « اليمن » مع أنسبائه وأحبائه . وأمسك بالسيف والرمح هو وأتباعه والقادرين على

الجهاد من أبنائه وأبناء أبنائه وأنسبائه . وتصدوا لعباد الأوثان ، وملكوا أرضهم وديارهم . وصار ابراهيم ملكا على شعوب وقبائل وامتد ملكه من عراق العجم الى حدود مصر. ومن اليمن ومكة جنوبا الى أقصى الأرض. وأقام ولاة وقضاة من قبله على القبائل التى دخلت فى دينه ، فى أرض الجزيرة . وعاصمة ملكه هى مدينة الخليل الآن . المسماة من قبل بـ « حبرون » وكان يأتى كل عام الى « مكة » لحج البيت ، ومقابلة المؤمنين به فيها ، ورؤية أبناء اسماعيل عليه السلام .

* * *

وبعد موت ابراهيم عليه السلام . ورثه ابنه « اسحق » فى الملك . وصار هو الملك المجاهد فى سبيل الله بعد أبيه . وكل نسل ابراهيم تحت رئاسته ، ويدعون معه ، ويجاهدون معه ، تحت امرته . وعاصمة ملكه كانت « حبرون » وكان يضع ولاة وقضاة من قبله على القبائل التى دخلت فى دينه ، فى أرض الجزيرة . وكان بيته قبلة الراغبين فى معرفة الله من الأمم .

ولما مات اسحق كان الله قد أتم نعمته عليه بالملك ، كما أتم نعمته على ابراهيم بالملك .

وذلك معلوم من التوراة(١) والقرآن الكريم فى أكثر من موضع . فقد قال تعالى : « كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق » ولم يقل واسماعيل ، لأن بركة اسماعيل لم تبدأ بعد . وقد صرح بتمام النعمة على الاثنين ، وصرح ببدئها فى يعقوب ، الذى ورث اسحق ، فى قوله : « ويتم نعمته عليك » أى على يوسف « وعلى آل يعقوب » وكانت النعمة قد بدأت ليوسف بحلم ليل . ولم تتم بعد . فرغب فى تمامها عليه ، وعلى آل يعقوب ، الوارث لاسحق فى الملك والنبوة . وهى لم تتم الا فى الزمان الذى ظهر فيه لبنى اسماعيل ملك فى شخص محمد رسول الله .

* * *

وكان بيت يعقوب قبلة ، كما كان بيت اسحق قبله . وكان نبيا وملكا .

---

(١) ذكرنا نصوصا من التوراة فى غير هذا الكتاب .

وكان يعقوب يعلم علم اليقين بأن أبناءه سيملكون على كل أمم الأرض . وقد ملك هو من بعد أبيه ، وقصده القاصي والداني ، في « حبرون » وأقام ولاة وقضاة . الى حين العلم بحلم يوسف ابنه ، وابتداء ظهور المجاعة في أرض كنعان . فان الحلم قد كان سببا مباشرا لوصول يوسف الى أرض مصر ، وكانت المجاعة سببا مباشرا لوصول « الأسرة المالكة » الى أرض مصر ، ومن وصول يعقوب الى مصر ، انقطع الملك من بيته على الناس . وصار لكل قوم رئيس منهم ، وقاضي عليهم . الى حين ظهور موسى بالتوراة .

وقد كان يوسف عليه السلام يدعو في مصر الى الله تعالى بين المرءوسين والرؤساء . فقد قال تعالى : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فمازلتم في شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك ، قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » وقال يوسف للذين كانوا في السجن معه : « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ » .

وكان بنو اسرائيل وهم في مصر في حياة يعقوب ، ومن بعده ، يصرحون بأنهم سيكون لهم ملك مصر ، وسيكون لهم ملك على الأمم والشعوب . لأن الله وعدهم به . ووعد الله لا يخلف . وفي هذا المعنى قال يعقوب ليوسف لما أخبره بالحلم الذي يدل على ملك . « وكذلك يجتبيك ربك » وقال يوسف عن هذا الاجتباء : « رب قد آتيتني من الملك» أي من الملك الذي وعدت به آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب . وصرح يعقوب بأن الله سيعطيه شيئا من العلم الذي هو قوام الملك . وقال يوسف عن هذا الحلم : « وعلمتني من تأويل الأحاديث » .

وكان يعقوب يعلم بأن يوسف حي ، لم يمت في الجب ، وأبناؤه يعلمون بذلك ، ويعلمون هم جميعا بأنهم سينجبون النسل الذي سيملك عما قريب . ولذلك قالوا لأبيهم : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » وقال لهم أبوهم : « بل سولت لكم أنفسكم أمرا » وعقب الله على وعده لهم بالملك فقال : « والله غالب على أمره » .

ولما نصح يعقوب أبناءه وهم داخلون أرض مصر ، بالدخول من أبوابها المتفرقة . قال لهم : « وما أغنى عنكم من الله من شيء . ان الحكم الا لله » فانه بحكم طبيعة الله فى خلقه ، خاف على أولاده . وبحكم علم الله الذى يعرفه من الله نفسه وهو أنهم سيقومون ببركة اسحق ، علم أنهم لن يهلكوا . اذ سيكون منهم النسل الذى سيملك على الأمم والشعوب . وقال الله فى هذا المعنى : « وانه لذو علم لما علمناه » .

وقال يعقوب لأبنائه : « ولا تيأسوا من روح الله » وقالوا هم ليوسف : « آثرك الله علينا » من الآن . وقال يعقوب : « انى لأجد ريح يوسف » وقال « ألم أقل لكم : انى أعلم من الله ما لا تعلمون » وفى نهاية القصة لفت الله نظر محمد صلى الله عليه وسلم الى أنه داع الى الله على بصيرة ، كما كان الحال مع يعقوب ونسله فقال : « قل : هذه سبيلى . أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى . وسبحان الله . وما أنا من المشركين » كما قال عنه فى موضع آخر : « بل جاء بالحق ، وصدق المرسلين » .

* * *

وكان بنو اسرائيل وهم فى مصر من أيام يعقوب عليه السلام يذيعون فى الناس بأنهم سيملكون أرضهم وديارهم لاقامة حكم الله فيهم . وهذا قد أخاف فرعون وجنوده منهم . لأنهم بهذا الخبر اذا ظهر ملكهم ، ينضم اليهم المصريون . ويكون فرعون وجنوده مرءوسين لهم بعد أن كانوا هم الرؤساء . ومن أجل ذلك طلبوا قتل أبنائهم الذكور ، لئلا يكثر عددهم ، ويقووا عليهم ، وكاتب التوراة قد حرف هذا المعنى فقال : أن سبب قتل فرعون للأبناء الذكور : هو خوفهم من كثرتهم ، وانضمامهم الى أعدائهم . والحق : هو أن كثرتهم لأنفسهم ، لا لانضمامهم الى أعدائهم . ولذلك قال لهم الذى آمن : « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض . فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ؟ » وعرفهم بأن يوسف ، قد بين لهم هذا فقال: « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات . فمازلتم فى شك مما جاءكم به . حتى اذا هلك ، قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا » أى عرفكم بملك

نبى اسرائيل عليكم وعلى الأمم . وأنتم قد شككتم في خبره هـذا . لا في الله رب العالمين . الذى أنتم الآن تعترفون بإسمه وقوته . ومن بعده قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا . ليتحقق هـذا الخبر على يديه . فها هو الرسول الذى قد بعث . وهو موسى . فلماذا لا تؤمنون به ؟

وعقب الله على المحاورة بقوله : « ولقد آتينا موسى الهدى ، وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب . هدى وذكرى لأولى الألباب » وقال فيها : أن المؤمن حذرهم من مثل ما أصاب « قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم » وبدل تحذيره لهم : على أنهم يؤمنون بالله ورسله . ولكنهم لا يريدون الدخول تحت ملك بنى اسرائيل . لقوله : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » .

وقد أورث الله بنى اسرائيل مشارق الأرض ومغاربها التى بارك فيها . وتمت كلمته على بنى اسرائيل بما صبروا . ارث ملك ، لنشر شريعة موسى . فقال : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون » .

وظل ملك بنى اسرائيل قائما فى العالم ، مرة يغلبون ، ومرة يهزمون . الى حين ظهور محمد صلى الله عليه وسلم . ولما ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من قبله ، دعا هو بنى اسرئيل والأمم الى العمل بشريعة موسى ، والدخول فى بركة اسماعيل الآتية من بعده . وآمن به كثيرون من بنى اسرائيل والأمم . ثم انه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية قرر أهل الروم الغالبون على الأمم فى ذاك الزمان أن تكون النصرانية : مسيحية . وأن تكون التوراة مقدسة لتخبر عن « يسوع المسيح » لا ليعمل بها أهل العالم . وهى مع أنها مقدسة ، فيها تناقض فى المعانى ، يدل على الريب فيها[1] .

---

(٢) قال الله تعالى عن النصارى : « وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم » أى من بعد اليهود « لفى شك منه » أى من الكتاب الذى هو التوراة « مريب » .

وفوق ذلك فان « يسوع المسيح » قد حمل الخطايا . وشفع طى المذنبين[٣] هذا ما قرروه . وبقوا عليه الى أن ظهر ملك الاسماعيليين فى سخص محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد حكى الله عن ملك بنى اسحق ، وملك بنى اسماعيل . فقال : « أم لهم نصيب من الملك . فاذا لا يؤتون الناس نقيرا » أى لو كان أمر العالم فى أيدى بنى اسرائيل . لما أعطوا شيئا من الملك لاخوتهم بنى اسماعيل « أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله ؟ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه » أى من أهل العالم من دخل فى ملكهم وقبل كتابهم وحكمتهم — الذى هو كله من الله — ومن أهل العالم من صد عنه، ولم يدخل ولم يقبل.

دعوة بنى اسرائيل الى الله فى مصر :

وكان يعقوب وبنيه وبنى بنيه وهم فى « مصر » غرباء ، يدعون الى الله تعالى ويرغبون الناس فى عبادته . وقد استمع لهم كثيرون من أهل مصر ، وآمنوا معهم بالله رب العالمين . ففى القرآن الكريم : أن يوسف عليه السلام وهو من أبناء يعقوب — الذى هو اسرائيل — دعا الى الله وهو فى السجن وقال : « يا صاحبى السجن . أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ » ورفع يديه الى السموات وقال : « رب قد آتيتنى من الملك » يعنى أعطيتنى جزءا من الملك الذى وعدت به آبائى[٤] « وعلمتنى من تأويل الأحاديث . فاطر السموات والأرض . أنت وليى فى الدنيا

---

(٣) قال الله تعالى عن النصارى : « فخلف من بعدهم خلف » أى من بعد اليهود وهم النصارى « أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات » وصرح النصارى فى رسالة يوحنا : أن المسيح يشفع لهم عند الله .

(٤) « وقال الله لابراهيم : ساراى امراتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها . واعطيك ايضا منها ابنا . اباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » (تك ١٧ : ١٥ — ١٦) انظر الى قوله « وملوك شعوب منها يكونون » ويوسف من نسل سارة رضى الله عنها — وقد عبر الله تعالى فى القرآن عن هذا الملك بقوله : « وآتيناهم ملكا عظيما » .

والآخرة • توفنى مسلما ، وألحقنى بالصالحين » ولما تعجب الناس من علم يوسف وفضل الله عليه ، أجابهم بقوله فى مسامعهم . « ذلكما مما علمنى ربى • انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخـــرة هم كافرون • واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب • ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء » •

ولما أذل المصريون بنى اسرائيل من بعد يوسف عليه السلام • كانوا راضين به فى سبيل الله . وكانوا يعلمون أن لهم ملك عليهم . وعلى غيرهم من الأمم والشعوب ، ملك سوف يظهر فى يوم من الأيام : لأن وعد الله لا يتخلف • ولذلك لما ظهـــر موسى فيهم بالنبوة ورمى العصـــا أمامهم فصارت ثعبانا ، اعتقدوا أن الله اصطفاه ، ليبدأ به الملك فيهم على الأمم والشعوب . ففى سفر الخروج : « فآمن الشعب . ولما سمعوا . أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم ، خروا وسجدوا » (خر ٤ : ٣١) •

كلام موسى عن ارث الأرض :

ورأى بنو اسرائيل أن فرعون قد أذلهم فى وجود موسى ، أكثر مما أذلهم وهو غائب عن أعينهم • وسمع تذمرهم عليه « فرجـــع موسى الى الرب ، وقال : يا سيد • لماذا أسأت الى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتنى ؟ فانه منذ دخلت الى فرعون لأتكلم باسمك ، أساء الى هذا الشعب • وأنت لم تخلص شـــــعبك » (خر ٥ : ٢٢ـ٢٣) يعنى : انك أرسلتنى لأخلصـــهم وأحررهم من استعباد الأمم لهم ، ولأؤسس لهم ملكا ــ حسب وعـــدك لابراهيم ــ وأنت لم تخلص • فأين بركة اسحق ؟ ومتى تكون ؟ ولمـــاذا أرسلتنى ؟

فرد الله تعالى عليه ــ حسبما هو مكتوب ــ بقوله : « أنا الرب • وأنا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب بأنى الاله القادر على كـــل شىء • وأما باسمى يهوه • فلم أعرف عندهم وأيضا : أقمت معهم عهـــدى : أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم ، التى تغربوا فيها • وأنا أيضا : قـــد سمعت انين بنى اسرائيل ، الذين يستعبدهم المصريون ، وتذكرت عهدى •

لذلك قل لبنى اسرائيل : أنا الرب • وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأنقذكم من عبوديتهم ، وأخلصكم بذراع ممدودة ، وبأحكام عظيمة ، وأتخذكم لى شعبا ، وأكون لكم الها • فتعلمون : أنى أنا الرب الذى يخرجكم من تحت أثقال المصريين ، وأدخلكم الى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب • وأعطيكم اياها • أنا الرب » (خر ٦:٢ـ٨) •

فى هذا الرد ترى :

١ ـ أقمت معهم عهدى . وهو عهد مشروط بدخول الأرض للسير فيها أمام الله •

٢ ـ وأن الله سيورثهم الأرض •ما داموا سائرين فيها امام الله •

وقد ذكر الله هذا المعنى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « قالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا • قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض • فينظر كيف تعملون » والاستخلاف فى الأرض هو تملكهم أراضى من بعد أهلها • للتمكين لدينه • كما استخلف بنى اسماعيل ـ عليه السلام ـ من محمد ـ عليه السلام ـ فى الأرض من بعد نفاد مدة بركة اسحق فى الأمم • ذلك قوله فى القرآن الكريم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » والذين من قبلهم هم بنو اسرائيل حاملى بركة اسحق فى الأمم •

وقد جمع الله تعالى ملك ابراهيم كله • المقسوم بين اسحق واسماعيل فى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما » •

بدء تملك بني اسرائيل للارض :

وقد صدق الله وعده . فانه أهلك جنود فرعون في اليم ، في خليج السويس [١] . وبقيت « مصر » بلا سلاح ورجال مدربين على القتال . فتسلمها بنو اسرائيل في حياة موسى نفسه وهرون ، ونشر بنو اسرائيل فيها شريعة الله . وهذا هو الارث والملك . ثم ساروا أمام الله في أرض سيناء ، وتملكوا قرى أمم ، كانوا يعيشون فيها . وهذا هو الارث والملك.

* * *

والله — تعالى — من فضله ومن كرمه ، جعل لبني اسماعيل أرض مكة ، وجعل لبني اسحق أرض سيناء . ومن سيناء ينطلق بنو اسرائيل ببركته في الأمم . الى أن يظهر النبي المماثل لموسى في بني اسماعيل . ومن مكة ينطلق بنو اسماعيل ببركته في الأمم الى أن تنتهي الحياة الدنيا[٦] . وقد عبر الله تعالى عن هذا المعنى في القرآن الكريم في مخاطبته مع موسى — عليه السلام — حال ظهور مجده . وهو في أرض مدين . فانه لما أراه النار من العليقة ناداه بقوله : « أن بورك من في النار ، ومن حولها » أي

---

(٥) قرية « قنتير » المجاورة الآن لمدينة « فاقوس » كانت عاصمة الدولة في زمان فرعون الخروج . وهي تبعد عن ارض سيناء بمقدار ثلاثين كيلو متر . وقد زال نفوذ الفراعنة ، وانتهى حكمهم من مصر والشام وسائر الأمم . من زمان موسى عليه السلام . فانه بعد غرق فرعون ، دخل المصريون في دين الاسلام على شريعة موسى ، وحكمهم علماء بني اسرائيل ، وكان العلماء يجندون المسلمين من المصريين وغيرهم ، لفتح بلاد الكفر . وكانوا يبنون المساجد لعبادة الله على شريعة موسى . وظل الحال على ذلك الى ظهور المسيحية بقوة أهل الروم . فكان في البلد الواحد « شريعة موسى » واليهود لهم مساجد وأتباع ، والمسيحيون لهم مساجد واتباع . واليهود لهم تفسير ، والمسيحيون لهم تفسير . وظل الحال على ذلك الى ظهور محمد صلى الله عليه وسلم . وآثار الفراعنة الموجودة اليوم في المتاحف ، كانت من قبل التوراة .

(٦) البركة الأولى هي بركة اسحق . والبركة الأخيرة هي بركة اسماعيل والله يقول عنهما لنبيه محمد عليه السلام : « وللآخرة خير لك من الأولى » أي بركة اسماعيل أطول مدة من بركة اسحق « ولسوف يعطيك ربك فترضى » أي سيمتد دينك الى اقصى الأرض . وامتداد الدين ، هو أيضا امتداد ملك .

بك يا موسى ستبدأ بركة اسحق فى الأمم التى وعدنا بها من قبل . وبك يا موسى ستحل بركات الله فى هذه البقعة ومن حولها من سائر بقاع الأرض . « وسبحان الله رب العالمين . يا موسى . انه انا الله العزيز الحكيم » .

وفى أرض سيناء عند جبل الله حوريب المعروف بجبل الطور . طلب موسى من قومه أن يتأهبوا لدخول أرض فلسطين لفتحها ونشر التوراة فيها . فجبنوا وخافوا . وبعد موته بأربعمائة وخمسين سنة . طلبوا من نبى لهم هو « صموئيل » أن يملك عليهم ملكا ، ليجاهدوا فى سبيل الله . وقالوا : « وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » وهذا يدل على أنهم تملكوا أرضا فى حياة موسى ومن بعده . وقد عبر بولس عن هذا المعنى بقوله : « يا بنى اسرائيل ، ويا أيها الذين يتقون الله . اسمعوا : ان اله هذا الشعب . شعب اسرائيل . اختار آباءنا ، ورفع شأن هذا الشعب ، طوال غربته فى أرض مصر . ثم أخرجهم منها بقدرة ساعده . ورزقهم طعاما نحو أربعين سنة فى البرية . ثم أباد سبع أمم فى أرض كنعان ، وأورثهم أرضهم ، مدة نحو اربعمائة وخمسين سنة . وجعل لهم بعد ذلك قضاة ، حتى النبى صموئيل . ثم طلبوا ملكا . فجعل الله لهم شاول بن قيس ، من سبط بنيامين مدة أربعين سنة ، ثم خلعه وأقام لهم دواد ملكا » (أ ع ١٣ : ١٦ ـ ٢٢) .

لاحظ قوله : « وأورثهم أرضهم » وفى ترجمة أخرى : « وقسم لهم أرضهم بالقرعة » وتذكر قول الله تعالى فى القرآن الكريم : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض » .

وقد ذكر الله فى القرآن قصة فتح بنى اسرائيل لفلسطين على يد طالوت وداود . وأثنى عليهما ومدحهما . وأثنى على سليمان أيضا الذى

قام بالفتح من بعد أبيه . فقال : « ووهبنا لداود سليمان . نعم العبد » داود « انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد » ... الخ .

خطبة استفانوس :

وقد لخص استفانوس تاريخ بنى اسرائيل . الى مجىء عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر وعود الله لبنى اسرائيل . فى خطبة له أمام رئيس كهنة علماء بنى اسرائيل . وسبب القائه هذه الخطبة : هو قوله : ان شريعة موسى ستنسخ وتزول قريبا على يد النبى المماثل لموسى . وان هيكل سليمان الذى يعظمه بنو اسرائيل لن يكون قبلة فى الصلاة والحج اذا ظهر النبى المماثل لموسى . وهذا ما قاله المسيح عيسى نفسه فانه تحدث عن مجىء « ابن الانسان » وهو لقب محمد صلى الله عليه وسلم فى سفر دانيال . أثناء محاكمته الأخيرة « أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » وقال للسامرية : لما قالت له . « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل . وأنتم تقولون : ان فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه قال لها يسوع : يا امرأة صدقينى انه تأتى ساعة . لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب » وقال لعلماء بنى اسرائيل : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » .

وبعد ما فرغ استفانوس من القاء خطبته التى تبين لهم : أن النبى المماثل لموسى ، الذى يصرح هو باسمه ويدعو اليه ، سوف يأتى قريبا . أمروا برجمه . فقال « ها انى أرى السموات منفتحة ، وابن الانسان قائما عن يمين الله » .

ومعنى قوله : أن السماوات مفتوحة : هـو أن جند السماء مهيأون لنصرة « ابن الانسان» وقد اقترب ظهوره ومعنى قوله : وابن الانسان قائما عن يمين الله : هو أن «ابن الانسان» ــ وهو لقب للنبى الآتى المماثل لموسى. مثل لقب « البار » ــ اقترب تحقيق الوعـد بارساله . ولسـوف يأتى بقدرة الله القادر على كل شىء . شئتم أم أبيتم . ولقد قال لهم من قبل :

آباؤكم قتلوا الأنبياء الذين صرحوا بمجيء النبى الآتى من غير جنسكم ، واصطهدوا المسيح عيسى بن مريم . وليس من العجب اصراركم على قتلى ، لأنى صرحت بمثل ما صرحوا به .

والنبى المماثل لموسى هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن النصارى فى مجمع نيقية بتركيا سنة ٣٢٥ م جعلوه هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . وخطبة استفانوس ، لا تشهد لهم . لأنها مطابقة للمأثور عن المسيح عيسى نفسه فى الأناجيل الأربعة . وهذا هو نص[٧] الخطبة ، والتمهيد لها من سفر أعمال الرسل :

خطبة استفانوس :

« وكان اسطفانس . وقد امتلأ من النعمة والقوة ، يأتى بأعاجيب وآيات مبينة فى الشعب . فقام أناس من المجمع ، المعروف بمجمع المعتقين ، ومن القيرنيين ، والاسكندريين ، ومن أهل فيلقية وآسية ، وأخذوا يجادلون اسطفانس . فلم يستطيعوا أن يقاوموا ما فى كلامه من الحكمة والروح . فدسوا أناسا يقولون : اننا سمعناه يتكلم كلام تجديف على موسى وعلى الله .

فأثاروا الشعب والشيوخ والكتبة ، ثم أتوه على غفلة منه ، فقبضوا عليه ، وساقوه الى المجلس ، ثم أحضروا شهود زور ، يقولون : هذا الرجل لا يكف عن التعرض بكلامه لهذا المكان المقدس وللشريعة . فقد سمعناه يقول : ان يسوع ذاك الناصرى سينقض هذا المكان ، ويبدل ما سلم الينا موسى من سنن .

فحدق اليه كل من كان فى المجلس من أعضاء ، فرأوا وجهه كأنه وجه ملاك .

فسأله عظيم الكهنة : أهذا صحيح ؟

فأجاب :

أيها الاخوة والآباء اسمعوا : ان اله المجد تراءى لأبينا ابراهيم ، وهو فى الجزيرة ما بين النهرين قبل أن يقيم فى حران . وقال له : « اخرج من

---

(٧) ترجمة دار المشرق .

أرضك وعشيرتك ، واذهب الى الأرض التى أريك » فخرج من أرض الكلدانيين ، وأقام فى حران ، ثم نقله منها بعد وفاة أبيه ، الى هذه الأرض التى أنتم الآن مقيمون فيها ، ولم يعطه فيها ملكا ، ولا موطىء قدم ، ولكن وعده بأن يملكه اياها ، ونسله من بعده ، مع أنه لم يكن له ولد، وقال الله : « سينزل نسلك فى أرض غريبة ، فتستعبد ، وتعامل بالسوء مدة أربعمائة سنة » وقال الله : « أما الأمة التى تستعبدهم ، فانى أدينها ، ويخرجون بعد ذلك فيعبدوننى فى هذا المكان » •

وأعطاه عهد الختان • فولد اسحق ، وختنه فى اليوم الثامن ، واسحق ختن يعقوب • ويعقوب ختن آباء الأسباط الاثنى عشر •

وحسد آباء الأسباط يوسف ، فباعوه • فسبى به الى مصر • وكان الله معه . فأنقذه من جميع شدائده ، وآتاه الحظوة والحكمة عند فرعون مصر . فأقامه واليا على مصر ، وعلى جميع بيته . وأصاب مصر كلها وأرض كنعان مجاعة وضيق شديد ، فلم يجد آباؤنا قوتا • وسمع يعقوب أن فى مصر رزقا ، فأرسل آباءنا أول مرة • وفى المرة الثانية تعرف يوسف الى اخوته ، وظهر أصله لفرعون •

فأرسل يوسف ، واستدعى أباه يعقوب وعشيرته جميعا ، وكانوا خمسة وسبعين نفسا • فنزل يعقوب الى مصر ، ومات فيها هو وآباؤنا • وحملوا الى شكيم ، ووضعوا فى القبر ، الذى اشتراه ابراهيم من بنى حمور ، أبى شكيم بمقدار من الفضة •

وكلما كان يقترب زمان الوعد الذى وعد الله به ابراهيم ، كان ينمو ويكثر الشعب فى مصر ، الى أن قام ملك آخر ، لم يعرف يوسف • فمكر بأمتنا ، وعامل آباءنا بالسوء ، حتى الجأهم الى نبذ أطفالهم ، لكى لا يعيشوا •

فى ذلك الوقت ولد موسى ، وكان حسنا فى عين الله ، فربى ثلاثة

أشهر فى بيت أبيه ، ولمـا نبذ التقطته بنت فرعون وربته ، كأنه ابن لها ولقن موسى حكمة المصريين كلها • وكان مقتدرا فى أقواله وأعماله •

ولمـا بلغ الأربعين ، خطر له أن يتفقد اخوانه بنى اسرائيل • فرأى أحدهم يعتدى عليه ، فدافع عنه ، وانتصر للمظلوم ، فقتل المصرى وظن أن اخـوانه سـيدركون أن الله يهب لهم الخلاص عن يده ، ولكنهم لم يدركوا • ووجد فى اليوم الثانى بين اثنين يتضـاربان • فدعاهمـا الى الصلح • قال : أيها الرجلان أأنتما اخوان • فلم يتعـدى احدكمـا على الآخر ؟ فرده المعتدى على قريبه ، وقال : من أقامك علينا رئيسا وقاضيا ؟ أتريد أن تقتلنى كما قتلت المصرى أمس ؟

فهرب موسى عند هذا الكلام ، ونزل فى أرض مدين • فولد فيهـا ابنين •

وبعد أربعين سنة تراءى له ملاك فى برية جبل سيناء ، فى لهيب نار من عليقة تشتعل • فعجب موسى عند رؤية هذا المنظر ، وتقدم ليمعن النظر فيه ، فانطلق صوت الرب يقول : « أنا اله آبائك اله ابراهيم واسـحق ويعقوب » فأخذت موسى الرعدة • ولم يجرؤ على امعان النظر فيه • فقال له الرب : « اخلع نعليك فان المكان الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة • انى نظرت فرأيت شقاء شعبى فى مصر ، وسمعت أنينه ، فنزلت لأنقذه • فتعال الآن أرسلك الى مصر » •

فموسى هذا الذى أنكروه ، وقالوا له : من أقامك رئيسا وقاضيـا هو الذى أرسله الله رئيسـا ومحررا • يؤيده الملاك الذى تراءى له فى العليقة • وهو الذى أخرجهم بما أتى به من الأعاجيب والآيات ، فى أرض مصر ، وفى البحر الأحمر ، وفى البرية مدة أربعين سنة •

هذا موسى الذى قال لبنى اسرائيل : سيقيم الله لكم من بين اخوتكم نبيا مثلى • هذا الذى كان لدى الجماعة فى البرية وسيطا بين الملاك الذى كلمه على جبل سيناء ، وبين آبائنا • فتلقى كلمات الحياة ، ليبلغنا اياها ، فلم يشأ آباؤنا أن ينقادوا له ، بل ردوه وتلفتت قلوبهم نحو مصر • فقالوا

هرون : « اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن موسى هذا الذى أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه » فصاغوا فى تلك الأيام عجلا ، ثم قربوا ذبيحة للصنم ، وابتهجوا بصنع أيديهم . فأعرض الله عنهم ، وأسلمهم لعبادة جيش السماء . كما كتب فى سفر الأنبياء :

« يا بيت اسرائيل . هل قربتم لى الضحايا والذبائح مدة أربعين سنة فى البرية ؟ فقد حملتم خيمة مولك ، وكوكب الهكم رفان . التمثالين اللذين صنعتم ، لتسجدوا لهما . فسأجليكم الى ما وراء بابل » .

وكان مع آبائنا فى البرية خيمة الشهادة ، كما أمر الذى كلم موسى بأن يعملوا على الطراز الذى رآه ، فتسلمها آباؤنا ، ودخلوا بها يقودهم يشوع بلاد الأمم التى طردها الله من أمامهم ، وبقيت فيها الى أيام داود . ونال داود حظوة عند الله ، فالتمس منه أن يجد مقاما لبيت يعقوب ـ قراءة مختلفة قديمة : « لاله يعقوب » ـ ولكن سليمان هو الذى بنى له بيتا .

على أن العلى لا يسكن فى بيوت صنعتها الأيدى . كما يقول النبى : « يقول الرب : السماء عرشى ، والأرض موطىء قدمى ، أى بيت تبنون لى ؟ أم أيا يكون مكان راحتى ؟ أليست يدى قد صنعت هذه كلها ؟ » يا صلاب الرقاب ، ويا غلف القلوب والآذان . انكم تقاومون الروح القدس دائما وكما كان آباؤكم ، فكذلك أنتم . أيا من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ؟ فقد قتلوا الذين أنبأوا بمجىء البار ، وله أصبحتم أنتم الآن خونة وقتلة . فقد أخذتم الشريعة التى أعلنها الملائكة ، ولم تحفظوها » .

رجم اسطفانس :

« فلما سمعوا ذلك استشاطت قلوبهم غضبا ، وجعلوا يصرفون الأسنان عليه ، فحدق الى السماء . وهو ممتلىء من الروح القدس ، فرأى مجد الله ، ويسوع قائما عن يمين الله . فقال : ها انى أرى السموات متفتحة ، وابن الانسان قائما عن يمين الله » (أعمال ٦ : ٨ الخ) .

التعليق على خطبة استفانوس :

اولا : حقيقة الاتهام

ان التهمة الموجهة اليه من علماء بنى اسرائيل ، من بعد رفع عيسى عليه السلام بقليل مكونة من جزأين :

الجزء الأول : هو : أن استفانوس صرح بأمرين : الأمر الأول : أنه صرح بهدم هيكل سليمان . والأمر الآخر : هو أنه صرح بنسخ شريعة موسى . والغرض من تصريحه : هو أن نسخ الشريعة ، يستلزم هدم الهيكل ، لأنه رمز الديانة . والديانة اذا زالت يزول بالضرورة كل تابع لها .

ونص التصريح هو : « هذا الرجل لا يكف عن التعرض بكلامه لهذا المكان المقدس ، وللشريعة » وفى ترجمة أخرى : « هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ضد هذا الموضع المقدس ، والناموس » .

والجزء الثاني : أن الذى سيهدم الهيكل ، ينشيء دينا جديدا هو « يسوع الناصرى » وهو الذي سيغير شريعة موسى بن عمران . ونص التصريح هو : « فقد سمعناه يقول : ان يسوع ذاك الناصرى ، سينقض هذا المكان ، ويبدل ما سلم الينا موسى ، من سنن » وفى ترجمة أخرى : « لأننا سمعناه يقول : ان يسوع الناصرى هذا ، سينقض هذا الموضع ، ويغير العوائد التى سلمنا اياها موسى » .

أما عن الجزء الأول من هذه التهمة :

فان ما صرح به « استفانوس » هو نفسه ما صرح به المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . وذلك لأنه عليه السلام صرح بنزع « ملكوت السموات » من بنى اسرائيل ففى مثل الكرامين الأردياء . يقول : « ان ملكوت الله لينزع منكم ، ويعطى لأمة تثمر ثمره » وأنبأ بخراب الهيكل بقوله عليه السلام : « لن يترك هنا حجر على حجر ، من غير أن ينقض » وقال للسامرية : « صدقينى أيتها المرأة . تأتى ساعة . فيها تعبدون الآب . لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم » .

هذا عن هدم هيكل سليمان ، الذى حل محله المسجد الأقصى للمسلمين . المعبر عنهم فى قوله « ويعطى لأمة تثمر ثمره » وأما عن نسخ شريعة موسى التى حل محلها القرآن الكريم . فانه عليه السلام مع يحيى عليه السلام ناديا فى بنى اسرائيل باقتراب ملكوت السموات . أى ظهور حكم الله فى الأرض ، على الناس ، بشريعة الهيه ، لا بشريعة من صنع الناس أنفسهم . فان متى قال : « فى تلك الأيام ، ظهر يوحنا المعمدان ينادى فى برية اليهودية ، فيقول : توبوا . قد اقترب ملكوت السموات » وقال : « وبدأ يسوع من ذلك الحين ، ينادى فيقول : توبوا . قد اقترب ملكوت السموات » — « وكان يسير فى الجليل كله ، يعلم فى مجامعهم ، ويعلن بشارة الملكوت » ومن هذا يعلم : أنه عليه السلام سار فى قرى ومدن منطقة « الجليل » بـ « فلسطين » ودخل « مساجد بنى اسرائيل » وأعلن « بشارة الملكوت » أى أظهر حقيقة ملكوت السموات ، ودعا الى اقترابه . واستشهد بالتوراة على ما يقول ، فان دانيال أخبر عن تأسيسه بعد الممالك الأربعة ، فى الأصحاح الثانى والسابع . وأخبر عن خراب مدينة « أورشليم » حال تأسيس الملكوت فيها ، وسماها « رجسة الخراب » فى الأصحاح التاسع ووضح « الرجسة » المسيح عيسى نفسه : فى آخر انجيل متى .

ومن ذلك يعلم : أن الجزء الأول من تهمة « استفانوس » ليس زورا عليه . فان المنسوب اليه هو نفسه المنسوب الى عيسى عليه السلام .

وأما عن الجزء الثانى من هذه التهمة :

وهو أنه صرح بأن الناسخ لناموس موسى هو المسيح عيسى نفسه . فهذا من صنع كاتب سفر الأعمال . ولا حقيقة له . وغرضه من صنعه : هو اثبات : أن النبى المنتظر الذى وعد به موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، على مثاله . هو يسوع . وقد جاء . ويدل على أنه من صنعه :

(أ) أن المسيح عيسى نفسه ، صرح بأنه غير ناسخ للتوراة فى قوله :

« لا تظنوا . أنى جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء » وفى قوله : « ان الكتبة والفريسين على كرسى موسى جالسون ، فافعلوا ما يقولون لكم ، واحفظوه » .

(ب) أن التلاميذ من بعد رفع يسوع المسيح كانوا متمسكين بشريعة موسى . وهذا يدل على انهم سمعوا من المسيح يسوع ذاته بأنهم يظلون عليها الى أن يظهر النبى المماثل لموسى ، صاحب ملكوت الله . واستفانوس نفسه وصف شريعة موسى . بأنها « كلمات الحياة » ذلك قوله : « فتلقى كلمات الحياة ، ليبلغنا اياها » (أع ٣٨:٧) .

وأن ملاك الله قال للتلاميذ ــ الذين هم الحواريون ــ لما فتح لهم أبواب السجن ليلا ، وأخرجهم : « اذهبوا وقفوا فى الهيكل ، وحدثوا الشعب بجميع أمور هذه الحياة » فسمعوا له ، ودخلوا الهيكل عند الفجر ، وأخذوا يعلمون (أع ٢٧:٥ــ) وتعليمهم بناموس موسى من بعد رفع يسوع المسيح ، هو دلالة على نفى التهمة عن استفانوس .

والحياة هى اصطلاح على العمل بشريعة الله . أى من عمل بها يحيا حياة طيبة . ففى الأصحاح العاشر من لوقا : « واذا أحد علماء الشريعة قد قام . فقال ليجربه : يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له : ماذا كتب فى الشريعة ؟ كيف تقرأ ؟ فأجاب : « احبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك ، وكل قوتك وكل ذهنك ، واحبب قريبك حبك لنفسك »[٨] فقال له : بالصواب أجبت ، اعمل هذا ، تحيا » (لو ١٠ : ٢٥ ــ ٢٨) وفى ترجمة : « واذا ناموسى ، قام يجربه ... الخ » .

ويظهر هذا النص : أن المسيح عيسى ذاته ، لم ينسخ التوراة . وذلك لقوله : « اعمل هذا ، تحيا » أى اعمل بالتوراة لتحيا حياة طيبة . وهو عظم التوراة ، واستدل بها . فانه سأله «ماذا كتب فى الشريعة ؟ » أى ماهو المكتوب فى التوراة؟ ألا تقرأ فى سفر التثنية : «أحبب الرب الهك .. الخ»؟

---

(٨) استشهاد بالتثنية ٥:٦ .

فرد بقوله : بلى اقرأ . فقال له : وأنا موافق على صحة النص . وقد أجبت بالصواب « اعمل هذا تحيا » حياة طيبة .

ثانيا : وجه الشبه بين محاكمة المسيح يسوع ، ومحاكمة استفانوس

كلام استفانوس :

(أ) « ها انى أرى السموات مفتوحة ، وابن الانسان قائما عن يمين الله » .

(ب) « رب يسوع تقبل روحى » (مزمور ٦:٣١) .

كلام يسوع :

(أ) « ولكن ابن الانسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير » (مزمور ١:١١٠) .

(ب) « يا أبت فى يديك ، أجعل روحى » (مزمور ٦:٣١) .

« سوف ترون ابن الانسان جالسا عن يمين القدير ، وآتيا فى غمام السماء » (دانيا ١٣:٧) .

« سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالسا عن يمين القدير ، وآتيا على غمام السماء » .

* * *

بين النبى المعظم دانيال فى حلم الحيوانات الأربعة : أنه بعد المملكة الرابعة وهى مملكة الروم يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا . وأن «ابن الانسان » الذى سيخلقه الله ، ليؤسسها ، سينصره على أعدائه نصرا مؤزرا .

وبين النبى داود عليه السلام فى المزمور المئة والعاشر : أن الله سينصر النبى الآتى على أعدائه .

ومن كلام دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء ، مثل ابن انسان ... الخ » (دا ١٣:٧) قوله « سحب السماء »

أو « غمام السماء » كناية عن أن النبى الآتى سيكون عاليا على أعدائه ، علو السحاب عن الأرض .

ومن كلام داود : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » أى قال يهوه لأدوناى . أى قال الله لسيد داود ورئيسه : كن معى ، حتى أنصرك على أعدائك ، واجعلهم تحت رحمتك .

والنبى المماثل لموسى . كان العبرانيون يزعمون أنه سيأتى من نسل داود عليه السلام . أى سيأتى من اليهـــود العبرانيين . وكانوا يلقبونه بلقب « المسيح » كما يلقبون أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم . فقال لهم عيسى عليه السلام فى يوم من الأيام : أنتم تظنون أن « المسيح » أى النبى المنتظر المماثل لموسى ، سيأتى من نسل داود . كيف وداود فى سفر المزمور قال عنه : انه سيده ؟ يعنى أنه اذا ظهر ، سيخضع بنو اسرائيل له . وخضوعهم له هو دليل على أن الملك له ، والشريعة له . وداود نفسه ، لو فرض وقدر أنه حى فى زمان مملكته ، لخضع له . وصـــار مرءوسا له ، وحيث أن الابن لا يكون سيدا لأبيه ، فان النبى الآتى لن يظهر من بنى اسرائيل . ويظهـــر من بنى اسماعيل عليه السلام ، لأن الله تعالى قد استجاب لطلب ابراهيم فيه . فانه لما قال له « سر امامى » فى دعوة الناس الى دينى ، قال له : أتمنى أن يسير أمامك نسل اسماعيل ، كما أسير أنا . فاستجاب الله له . « وأما اسماعيل . فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه ... الخ » (تك١٧)

يقول متى[٩] : « وبينما الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع : ما رأيكم فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود ، قال لهم : فكيف يدعـــوه ربا ، بوحى من الروح . فيقول : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك »[١٠] فاذا كان داود ، يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيب بكلمة ، ولا جرؤ أحد منذ ذلك

---

(٩) ترجمة دار الشرق .

(١٠) أى تحت رحمتك راجع مزمور ١١٠ : ١ (تعليق دار المشرق) .

اليـــوم أن يســـــأله عن شيء » (متى ٢٢: ٤١–٤٦ مر ١٢: ٣٥–٣٧ و ٢٠: ٤١–٤٤) .

وهــذا النص المذكور في متى ومرقس ولوقـــا وبرنابا ، يبين أن « المسيح المنتظر » الذي هو لقب للنبي المماثل لموسى عليه السلام ليس هو عيسى عليه السلام باعتراف عيسى نفسه . وهـــذا الاعتراف مكرر في الأناجيل ، فان دعوته الى اقتراب ملكوت السموات يدل على أنه يدعـو الى مجيء غيره . وان اعترافه في المحاكمة أمام رئيس الكهنــة يدل على مجيء غيره .

اعتراف عيسى بمحمد في ساعة المحاكمة :

يقول متى : « فأجاب رئيس الكهنة ، وقال له : أستحلفك بالله الحي ، أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع : أنت قلت . وأيضا : أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف » (متى ٢٦: ٦٣–٦٥) وفي ترجمة أخرى : « فقال له عظيم الكهنة : استحلفك بالله الحي ، لتقولن لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ فقال له يسوع : هـو ما تقول . وأنا أقول لكم : ستروت بعد اليوم ابن الانسان جالسا عن يمين القدير ، وآتيا على غمام السماء . فشــق عظيم الكهنة ، ثيابه . وقال : لقد جدف » .

ترى في هذه الاجابة أنه أنبأ بمجيء « ابن الانسان » (دانيال ٧: ١٣) وبامتيازه ، في الجلوس عن يمين الله كناية عن أنه معه (مزمور ١١٠: ١) .

لقد استدل عيسى عليه السلام بدليلين من التوراة على مجيء محمد صلى الله عليه وسلم من بعده ، الدليل الأول : الأصحاح السابع من سفر دانيال ، والدليل الثاني : المزمور المائة والعاشر . ولم يصرح بأنه هـــو « المســيح ابن الله » ذلك لأنه قال له : « أنت قلت » أما أنا فلم أقل . وتعبير « المسيح ابن الله » مكون من لقبين اثنين : اللقب الأول : « المسيح »

واللقب الثانى : « ابن الله » وهما لقبان ، كل منهما على انفراد يدل على النبى الآتى على مثال موسى . وهما مجتمعان يدلان عليه . ولقب «ابن الله» على النبى المماثل لموسى ، هو مأخوذ من المزمور الثانى لداود عليه السلام. من قوله : « قال لى : أنت ابنى .. الخ » .

ــ وذلك موضح فى كتابنا المرسوم بأقانيم النصارى ــ .

تهمة نقض الهيكل :

أما تهمة أن يسوع المسيح سوف ينقض هيكل سليمان . أى يهدمه، ليقيم على أرضه كنيسة تدعو الى دين جديد مغاير لدين موسى صاحب التوراة . فانها تهمة باطلة . ليس عليها من دليل . بدليل : أنه صرح بعدم نسخة لناموس موسى . واذ هو عليه ، فما هو الداعى الى هدمه ؟

اقرأ من أول الأصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى . « وخرج يسوع من الهيكل ، فدنا اليه تلاميذه ، وهو سائر ، يستوقفون نظره على أبنية الهيكل .

فأجابهم : أترون هذا كله ؟ الحق أقول لكم : لن يترك هنا حجر على حجر من غير أن ينقض . وبينما هو جالس فى جبل الزيتون ، دنا منه تلاميذه ، فانفردوا به ، وسألوه : قل لنا : متى تكون هذه الأمور ؟ وما علامة مجيئك . ونهاية العالم ؟ » .

انهم يسألون عن الزمن الذى سيهدم فيه هيكل سليمان ، ليحل محله مسجد الدين الجديد الآتى مع النبى المماثل لموسى . وهو لم يصرح بأنه هو الذى سيهدمه . وصرح بأنه بعد الزمان المحدد فى علم الله لانتهاء المملكة الرابعة ــ وهى مملكة الروم ــ سيهدم الهيكل . فسألوه : متى تكون هذه الأمور ؟ وأجاب بقوله : انه ستحدث حروب فى العالم ، وستحدث مجاعات وزلازل ، وستعلن بشارة الملكوت فى المعمور كله . فى بلاد اليهود والأمم الوثنية . وحينئذ يظهر النبى المماثل لموسى ، وتاتى نهاية بركة اسحق فى الأمم ، وبدء « ملكوت الله » فى بركة اسماعيل عليه السلام .

وقولهم : « وما علامة مجيئك ، ونهاية العالم ؟ » علامة مجيئك . يقول مفسرو الأنجيل : تدل الكلمة اليونانية على مجيء « ابن الانسان » فى نهاية العالم . أى فى نهاية بركة اسحق فى الأمم التى يقوم بها بنو اسرائيل . ووردت هذه الكلمة نفسها فى متى ٢٤ : ٢٧ و٣٧ و٣٩ و١ قو ١٥:٢٣ و١ تس ١٩:٢ الخ .

وقولهم « ونهاية العالم » هناك ثلاثة مواضيع متشابكة تشابكا وثيقا فى متى ٢٤ وهم :

(أ) خراب أورشليم .

(ب) ونهاية هذا العالم .

(جـ) ومجيء ابن الانسان فى المجد .

والثلاثة تدل على حدث واحد هو ظهور « ابن الانسان » لأنه فى ظهوره يزول ملك بنى اسرائيل من « أورشليم » وينتهى عالم بركة اسحق فى الأمم . أى ينزع من اليهود الملك والنبوة .

وبعدما حكى عيسى عليه السلام عن العلامات التى ستحدث فى العالم من قبل مجيء « النبى المماثل لموسى » الملقب بلقب « ابن الانسان » من دانيال . قال : « وتظهر عندئذ فى السماء آية ابن الانسان . فتنتحب جميع قبائل الأرض ، وترى ابن الانسان آتيا على غمام السماء فى تمام العزة والجلال » وانتحابها هو من علمهم بأنه سيحطم أعداءه بقضيب من حديد كما قال داود فى المزمور الثانى عنه .

ثم قال عيسى عليه السلام : انكم اذا رأيتم العلامات قد وقعت ، فاعلموا : أن ابن الانسان قريب على الأبواب . كما أنكم اذا رأيتم شجرة التين قد أورقت أغصانها ، تعلمون أن الصيف قريب . يقول عليه السلام : « من التينة خذوا العبرة . فاذا لانت أغصانها ، ونبتت أوراقها ، علمتهم : أن الصيف قريب وكذلك أنتم اذا رأيتم هذه الأمور كلها ، فاعلموا : أن ابن الانسان قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لن يزول هذا الجيل ،

حتى تحدث هذه الأمور كلها . السماء والأرض تزولان ، وكلامي لن يزول . وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة ، فما من أحد يعلمهما . لا ملائكة السموات ، ولا الابن ، الا الآب وحده » .

يقول مفسرو الأنجيل في عبارة : « وكذلك أنتم اذا رأيتم هـــذه الأمور كلها ، فاعلموا : أن ابن الانسان قريب على الأبواب » يقولون : « أن ابن الانسان » في الترجمة اللفظية « أنه » وابن الانسان غير موجود ، فيكون المعنى : فاعلموا : أنه قريب على الأبواب . أي قيام ملكوت الله على وجه نهائي .

ومن هذا يتبين : أن عيسى عليه السلام لم يصرح بنقضه هو للهيكل . وصرح أن الناقض له : هو غيره . بعد حدوث علامات .

اعتراف استفانوس بمحمد في خطبته :

وقد صرح استفانوس بمحمد صلى الله عليه وسلم في خطبته بنفس ما صرح به عيسى عليه السلام . فانهم أحضروا شهود زور يقولون : « هذا الرجل لا يكف عن التعرض بكلامه لهذا المكان المقدس وللشريعة » . فقام ولخص تاريخ بني اسرائيل . وركز على وعـد الله ببركة اسحق عليـه السلام . الى حين انتهائها على يد « ابن الانسان » ثم قال : « ها اني أرى السموات متفتحة ، وابن الانسان قائما عن يمين الله » وهو نص القـول الذي قاله لوقا عن عيسى عليه السلام ساعة المحاكمة ، ونصه : « ولكن ابن الانسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير » (لو ٢٢:٦٩) أي النبي الأمي المماثل لموسى عليـه السلام ، الملقب بلقب « ابن الانسان » سيظهر بعد اليوم . وظهوره بعد اليوم ، ــ وقد رفع عيسى الى السـماء ومات ــ يدل على أن عيسى ليس هو ابن الانسان ، ويدل على أن « ابن الانسان » سوف يظهر من بعده ، ومن بعد استفانوس .

هذا عن المشابهة الأولى بين يسوع واستفانوس .

واما عن المشابهة الثانية . وهي : « يا أبت في يديك ، اجعل روحي » :

فان المزمور الحادي والثلاثين هو مزمور من مزامير « المسيح المنتظر »

وفيه يقول المسيح بظهر الغيب لله تعالى : « عليك يارب توكلت . لا تدعنى أخزى مدى الدهر وبعد ذلك نجنى . أمل الى أذنك . صريعا أنقذنى .. »

الى أن يقول : « أخرجنى من الشبكة التى خبأوها لى : لأنك أنت حصنى . فى يدك أستودع روحى » .

وبعدما بين مؤامرات الأعداء عليه ، نطق بأن الله حفظه ونصره وأيده بروح من عنده . فقال : « نظرت الى مذلتى ، وعرفت فى الشدائد نفسى ، ولم تحبسنى فى يد العدو ، بل أقمت فى الرحب رجلى » وقال : « انى قد انقطعت من قدام عينيك ولكنك سمعت صوت تضرعى . اذ صرخت اليك »

وهذا المزمور الذى يبين آلام « المسيح » ـ الذى هو نفسه المسيا ـ وانتصاره . وضعه محرفو الأناجيل على يسوع وهـــو على الصليب ، ليظهروا للناس أنه هو « المسيح » فقال لوقا : « ونادى يسوع بصــوت عظيم . وقال : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » (لو ٢٣:٤٦) ونسى هؤلاء المحرفون أن المزمور بين أن الله قد استجاب له ، ونصره على أعدائه، ولم يمكنهم من قتله وصلبه .

ونفس الشىء عملوه فى « استفانوس » فانهم نسبهوه بيســوع . ونسبوا اليه ـ وهم يرجمونه ـ انه قال: « أيها الرب يسوع، اقبل روحى » وفى ترجمة « رب يسوع تقبل روحى » وقدانفرد لوقا بذكر هذه المشابهة. ونبين مما أبديناه : أنه انفراد على غير هدى .

ثالثا : التناقض بين كلام استفانوس
وكلام كاتب توراة موسى عليه الســلام

أولا : يقول استفانوس : « ان اله المجد تراءى لأبينا ابراهيم . وهو فى الجزيرة ، ما بين النهرين ، قبل أن يقيم فى حران » وجاء فى التوراة أن هذا الترائى حـــدث فى حاران . ذلك قـــوله : « فخرجوا معا من أور الكلدانيين ، ليذهبوا الى أرض كنعان ، فأتوا الى حاران ، وأقاموا هناك».

وقال الرب لأبرام : اذهب من أرضك .. لما خرج من حاران .. الخ»
(تك ١١:٣١—   ) .

ثانيا : يقول استفانوس : ان يعقوب مات فى مصر ، هو وأبناؤه ، ولما خرج موسى ببنى اسرائيل من مصر ، حملوا معهم رفات يعقوب وأبنائه ووضعوا الرفات كله فى القبر الذى اشتراه ابراهيم من بنى حمور ، أبى شكيم بمقدار من الفضة .

وفى التوراة : أن مغارة المكفيلة اشتراها ابراهيم (تك ٢٣:١٨—١٠) ويعقوب دفن فى المكفيلة (تك ٥٠:٧—١٣) ويوسف دفن فى شكيم (يش ٢٤:٣٢) .

ثالثا : يقول النبى عاموس على لسان الله تعالى : هل قدمتم لى ذبائح، وتقدمات فى البرية ، أربعين سنة ، يا بيت اسرائيل ؟ بل حملتم خيمة ملكومكم ، وتمثال أصنامكم ، نجم الهكم ، الذى صنعتم لنفوسكم ، فأسبيكم الى ما وراء دمشق ، قال الرب ، اله الجنود ، اسمه »
(عا ٥:٢٥—٢٧) .

هذا نص سفر عاموس . وقد نقله استفانوس هكذا : « هل قربتم لى ذبائح وقرابين أربعين سنة فى البرية ، يا بيت اسرائيل ؟ بل حملتم خيمة مولوك ، ونجم الهكم رمفان ، التماثيل التى صنعوها ، تتسجدوا لها ، فانقلكم الى ما وراء بابل » وفى ترجمة : « يا بيت اسرائيل . هل قربتم لى الضحايا والذبائح مدة أربعين سنة فى البرية ؟ فقد حملتم خيمة مولك، وكوب الهكم رفان ، التمثالين اللذين صنعتم ، لتسجدوا لها ، فسأجليكم الى ما وراء بابل » .

والفرق واضح بين « دمشق » وبين « بابل » .

رابعا : خمسة وسبعون نفسا فى التوراة اليونانية . وسبعون نفسا فى العبرانية .

رابعا : زمان الوعـــد

فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين . وعد الله تعالى ابراهيم عليه السلام بمباركة الأمم فى ولديه الكريمين اسماعيل واسحق . فقد

قال لابراهيم : « سر أمامى » فى دعوة الناس الى عبادتى « وكن كاملا » أى قدوة فى فضائل الأعمال . وقال له عن « سارة » أم اسحق عليه السلام « أباركها ، فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » . وهذا وعد من الله تعالى بملك بنى اسحق على الأمم والشعوب .

* * *

فمن أين يبدأ زمان هذا الوعد ؟

ان ابراهيم عليه السلام قد أنبأ بنيه ، وبنى بنيه كلهم بمباركة الله فى اسماعيل واسحق . وتوارث الأبناء على طول الزمان هذا النبأ . وعلموا : أن بنى اسرائيل هم الذين سيحملون بركة اسحق فى الأمم وسيكون كل نسل ابراهيم تحت طاعتهم ورئاستهم ، الى أن يأتى دور بنى اسماعيل ويكون كل نسل ابراهيم تحت طاعتهم ورئاستهم . ولكنهم لا يعلمون متى يبدأ زمان وعد الله لبنى اسرائيل ، ومتى يبدأ زمان وعد الله لبنى اسماعيل. ولذلك لما ظهر موسى عليه السلام وكان بنو اسرائيل فى عهده قد كثروا فى أرض مصر . ظنوا أن زمان الوعود سيبدأ به ، وهو نفسه « ظن أن اخوانه سيدركون أن الله يهب لهم الخلاص عن يده ، ولكنهم لم يدركوا » يعنى بالخلاص : الخلاص من ذل المصريين ، وانفرادهم بحكم أنفسهم عنهم ، ثم انطلاقهم الى فتح بلاد الأمم لتعريفهم بالله رب العالمين . والترأس عليهم ، لتوجيههم الى عبادة الله تعالى . وقد بدل الله ظن موسى بيقين . وذلك لأنه بعد اقامته فى أرض مدين ، وقد أنجب فيها ولدين أثنين ، قال له الله : « انى نظرت فرأيت شقاء شعبى فى مصر ، وسمعت أنينه ، فنزلت لأنقذه ، فتعال الآن أرسلك الى مصر » .

* * *

ومن هنا ، من الوادى المقدس طوى يبدأ زمان وعد الله لبنى اسرائيل بأن يكون منهم أمم وملوك على الشعوب . والمحرر لبنى اسرائيل من الذل ، والمخلص لهم ، والمنقذ هو موسى ، الذى سيقودهم الى فتح البلاد ، والعيش فيها بسلام .

فمن المماثل له ؟

ان بنى اسرائيل يعلمون من كتاب موسى ، بظهور نبى أمى ، لــه يسمعون ويطيعون . وكانوا يســتفتحون به على الذين كفروا . قائلين : سيظهر نبى. به تفتح البلاد، ونسوس العباد وتكون لنا به الغلبة على الأمم. نبى سيحررنا من ذل الأجانب ، وسيخلصنا من استعباد الأمم ، وسينقذنا من شقاء الغالبين . فمن هو هذا النبى المماثل لموسى ؟

ان الخطبة المنسوبة لاستفانوس توضح أنه هو يسوع المسيح . وهذا خطأ بين . وذلك لأن يسوع المسيح من بنى اسرائيل • ومن أوصاف النبى الآتى : أن يكون مماثلا لموسى فى الحــروب والمعجزات والانتصار على الأعداء للملك . وقد بينت التوراة : أنه لن يظهر نبى مثل موسى فى بنى اسرائيل . (تثنية ٣٤:١٠ــ١٢) وحيث أن يسوع المسيح من بنى اسرائيل، فانه لا يكون هو النبى المماثل لموسى .

والذى نسب الخطبة لاستفانوس بين أن النبى المماثل لموسى هـــو يسوع المسيح على النحو التالى :

١ ــ موسى صاحب التوراة . ظهر به زمان وعــد الله لبنى اسرائيل بفتحهم البلاد للتمكين لدينه . وكان « مقتدرا فى أقواله وأعماله » اضبط هذا القول .

واعلم أنه بعــد موت يســوع المســيح ورفعه الى السمــاء ــ كما هو مكتوب ــ ظهر لاثنين ، وهما لا يعرفانه . وحدثاه عن ما جرى له . وقالا له : « ما يختص بيسوع الناصرى • وكان نبيا ، مقتدرا على العمل والقول عند الله والشعب كله » (أع ٢٤:١٩) .

فقد ربط كاتب لوقا وهو نفسه كاتب سفر الأعمال ــ كما يقولون ــ بين موسى وبين عيسى فى أن كلا منهما كان « مقتدرا على العمل والقول ». أما أن موسى كان مقتدرا فهذا صحيح . لأنه حرر وأنقذ وخلص وحارب وانتصر . وأما أن عيسى كان مقتدرا ، فهذا متروك لأهل الانصاف .

وليعلموا : أنه كتب « وكان نبيا » وهم يصرحون بأنه « الله » نفسه، أو هو اله من آلهة ثلاثة . فأين الانصاف ؟

٢ — موسى صاحب الشريعة ، نبه فى توراته على مجىء نبى من بعده مماثل له . صاحب شريعة . ويريد المحرف أن يبين أن الذى أتى من بعده هو يسوع المسيح . وذلك بقوله : « هذا موسى الذى قال لبنى اسرائيل سيقيم الله لكم من بين اخوتكم نبيا مثلى » ثم بين : أن اليهود برفضهم الايمان بيسوع المسيح ، يرفضون النبى المماثل لموسى . وليس بعجيب منهم . فانهم كما لم ينقادوا لموسى الذى أخرجهم من أرض العبودية : لم ينقادوا لعيسى الذى أخرجهم من عبودية الخطايا والآثام . ثم انتقل الى حادثة قتل يسوع المسيح وصلبه ، فقال انهم رفضوا كلام أنبياء ، كانوا يدعون الناس الى شريعة موسى ، وقتلوهم . فليس صلبهم يسوع وقتله . بشىء غير مألوف فى حياتهم « أيا من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم فقد قتلوا الذين أنبأوا بمجى البار . وله أصبحتم الآن خونة وقتلة » ؟

ومن يدقق فى هذه العبارة قد يظهر له منها : أنهم قتلوا كثيرين من الذين دعوا الى مجىء « البار » — والبار لقب من ألقاب النبى الآتى — من قبل عيسى ، ومن بعده . ثم يقول : وللبار الآتى أصبحتم خونة وقتلة .

* * *

وقرب انتهاء بركة اسحق فى الأمم ، خلق الله المسيح عيسى عليه السلام بلا آب ، ليعلن انتهاءها فى بنى اسرائيل والأمم . وهو قد خلقه بلا آب ، لئلا ينسبه العبرانيون اليهم ، ولئلا ينسبه السامريون اليهم ، وأجرى معجزات على يديه ، ليعلموا علم اليقين أنه خرج من الله ، القادر على كل شىء .

وتبين الأناجيل : أنه عقب كل معجزة كبيرة كان يصرح بنبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر أوصافه .

وسنذكر فى الغرض من معجزات عيسى عليه السلام : معجزتين كبيرتين ، للدلالة على أنه كان يصرح بمحمد ، بعد كل معجزة .

الغرض من معجزات عيسى عليه السلام

أولا : الغرض من معجزة شفاء الأكمه

وتدل قصة الأكمه الذى ولد أعمى ، وشفاء الله له على يد عيسى عليه السلام على أن عيسى عليه السلام كان يبشر بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوءات التى كتبها عنه أنبياء بنى اسرائيل . فدانيال النبى بعد ما ذكر الممالك الأربعة . وهى ، بابل ، وفارس ، واليونان ، والرومان ، قال عن ملك محمد صلى الله عليه وسلم فى العالم : « والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء ، تعطى لشعب قديسى العلى . ملكوته ملكوت أبدى ، وجميع السلاطين اياه يعبدون ويطيعون » (دا ٧ : ٢٧) وقال : « كنت أرى فى رؤى الليل . واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان . أتى وجاء الى القديم الأيام ، فقربوه قدامه . فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ ــ ١٤) .

و « ابن الانسان » صاحب « ملكوت السموات » بشر به عيسى عليه السلام مع يوحنا المعمدان . فقد قال متى : « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ، ويقول : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ٧١) وليس عيسى هو ابن الانسان . الموعود به ــ حسب لسانهم ــ لأن الرومان كانوا قد أخذوا العالم قبل مولده بثلاث وستين سنة . وظل ملكهم قائما فى العالم الى مجيء محمد صلى الله عليه وسلم . وهو الذى أنهى مملكتهم فى العالم . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « وعد الله . لا يخلف الله وعده » . بعد كلامه عن غلبة الروم فى أدنى أرض مكة المكرمة .

* * *

وبعد ما شفى عيسى الأكمــه • لقيــه وقال له : « أتؤمن أنت بابن الانســان » ؟ « أجاب : ومن هو يا رب • فأومن به ؟ » وفى ترجمــة البروتستانت : « أتؤمن بابن الله ؟ أجاب ذاك ، وقال : من هو يا سيد ، لأومن به ؟ » •

ولقب « ابن الانسان » هو نفسه لقب « ابن الله » كلا اللقبين من ألقاب النبى الآتى الى العالم . النبى المماثل لموسى عليه السلام • فابن الله نقبه فى المزمور الثانى لداود[1] ، وابن الانسان لقبه فى الأصحاح السابع لدانيآل • والمعنى : أيها الأكمه الذى لمس بنفسه قوة الله • أتؤمن بأن النبى الآتى الى العالم من بنى اسماعيل ؟ أجاب الذى كان أكمه : عرفنى به يا سيدى وأنا اعترف به • فعرفه به ، واعترف به •

ومحرفو الانجيل كتبوا : أن يسوع قال له : « قد رأيته . هو الذى يكلمك » وفى ترجمة أخرى : « قد رأيته ، والذى يتكلم معك هو هو »

---

(١) نص نبوءة « ابن الله » عن النبى المماثل لموسى :

قال داود عليه السلام : « لمــاذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل ، قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا ، على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما . الســاكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبــه ، ويرجفهم بغيظه . اما انا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى .

انى أخبر من جهــة قضــاء الرب . قال لى : انت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، واقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم .

فالآن . يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب . فتبيدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » (مزمور ٢) .

وقد طبق النصارى هذه النبوءة على يسوع المســيح . فكتبــوا فى الأصحاح الرابع من سفر الأعمال : « ايها الســيد انت هو الاله الصــانع

واذا لم يكن المعنى : قد علمت الحق فى أمره واضحا ، كما ترى الشيء بعينيك . وأنا هو بمعنى : أنا نائب عنه . ومتكلم عنه . ولو كنت فى أيامه لاعترفت به . انه اذا لم يكن هذا هو المعنى . فان العبارة تكون موضوعة للبس الحق بالباطل . لغرض هو : جعـل يسـوع المسيح النبى المماثل لموسى . وكيف يكون هو المماثل لموسى . ومملكة الرومان ظلت من بعده قائمة ؟

نص القصة من ترجمة دار المشرق سنة ١٩٩٦ ببيروت :

« وبينما هو سائر رأى رجلا أعمى منذ مولده . فسـأله تلاميذه : « رابى ، من خطى ، أهذا أم والده ، حتى ولد أعمى ؟ »[٢] . وأجـاب يسوع : « لا هذا خطىء ولا والداه ، ولكن كان ذلك لتظهر فيه أعمال الله . يجب علينا ، ما دام النهار ، أن نعمل أعمال الذى أرسلنى . فالليـل

السماء والأرض والبحر وكل ما فيها القائل بفم داود فتاك : لمـاذا ارتجت الامم ، وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض ، واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه ، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع ، الذى مسـحته : هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب اسرائيـل » (أع ٤ : ٢٤ ــ ٢٧) .

وهم بهذا يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا انفسهم وهم لا يشعرون . وذلك لأن داود يقول : « الأمم » وشعوب اسرائيل هم شعب واحد ، وامة واحدة لا أمم . وهيرودس انسان واحد ، وبيلاطس انسـان واحد . وداود يقول : « الشعوب » ويقول « ملوك الارض » و « الرؤساء » ولم يقل ملك واحد ورئيس واحد . وداود يقول ان النبى الآتى ملك يملك على جبل صهيون . وعيسى ما ملك لحظة من ليل أو نهار . وعيسى ما حطم بقضيب من حديد لأنه لم يحارب ولم ينتصر . أما محمـد صلى الله عليـه وسلم فانه حارب وانتصر وحطم بقضيب من حديد .

(٢) اعتاد العالم القديم أن يعتقد بأن هناك صلة وثيقة بين « الخطيئة » و « الأمراض الجسدية » (خر ٩/١ ــ ١٢ رمز ٣٨!٢ ــ ٦ وحز ١٨!١ ٢) . وفيما يتعلق بالأمراض منـذ المولد كان بعض الربانيين ينسب الذنب الى الوالدين ، وبعضهم الآخر الى الولد نفسه فى أثناء الحمل . وكلمة « رابى » هى « ربى » فى بعض التراجم . وهى لقب للعـالم الدينى الذى يكون من نسل هرون عليه السلا .

آت ، وفيه لا يستطيع أحد أن يعمل . ما دمت فى العالم ، فأنا نور العالم » . قال هذا وتفل فى الأرض[٣] ، فجبل من تفاله طينا ، وطلى به عينى الأعمى ، ثم قال له: « اذهب فاغتسل فى بركة سلوام » ، أى الرسول . فذهب فاغتسل فعاد بصيرا . فقال الجيران والذين كانوا يرونه من قبل ، لأنه كان شحاذا : « أليس هو ذاك الذى كان يقعد فيستعطى ؟ » وقال آخرون : « انه هو » . وقال غيرهم : « لا ، بل يشبهه » . أما هو فكان يقول : « أنا هو » . فقالوا له : « فكيف انفتحت عيناك ؟ » فأجاب : « ان الرجل الذى يقال له يسوع جبل طينا فطلى به عينى وقال لى : اذهب الى سلوام فاغتسل . فذهبت فاغتسلت فأبصرت » . فقالوا له : « أين هو ؟ » قال : « لا أعلم » .

فذهبوا الى الفريسيين بذاك الذى كان من قبل أعمى . وكان اليوم الذى فيه جبل يسوع طينا وفتح عينى الأعمى يوم سبت[٤] . فسأله الفريسيون أيضا كيف أبصر . فقال لهم : « جعل طينا على عينى ثم اغتسلت وها انى أبصر » . فقال بعض الفريسيين : « ليس هذا الرجل من الله ، لأنه لا يحفظ شريعة السبت»[٥] . وقال آخرون : « كيف يستطيع خاطىء أن يأتى بمثل هذه الآيات ؟ » فوقع الخلاف بينهم . فقالوا أيضا للأعمى : « وأنت ماذا تقول فيه وقد فتح عينيك ؟ » قال : « انه نبى »[٦] .

---

(٣) كان علماء بنى اسرائيل يوهمون المرضى بأن التفل على الأرض وتلاوة أقسام وعزائم يشفى من الأمراض . فعمل المسيح عملهم . وتم الشفاء على بدية بقوة االله ، ليتميز فعله عن فعل العلماء . فيعلمون أنه مرسل من الله .

(٤) كانت المعالجة محرمة يوم السبت ، الا فى حالات الأخطار الكبيرة (راجع ٥/٩) .

(٥) راجع تث ١٣:١ — ٦ .

(٦) راجع ١٩/٤ . هذه أولى مراحل تفسير الآية . لقد اعترف الأعمى بأن يسوع هو رجل الله ، له سلطان يفوق الطاقات البشرية (لو ١٩/٢٤) .

على أن اليهود لم يصدقوا أنه كان أعمى فأبصر ، حتى دعوا والديه . فسألوهما : « أهـذا ابنكمـا الذى تقولان انه ولد أعمى ؟ فكيف يبصر الآن ؟ » فأجاب والداه : « نحن نعلم أن هذا ابننا ، وأنه ولد أعمى . أما كيف أصبح يبصر الآن ، فـلا ندرى ، ومن فتح عينيـه فنحن لا نعلم . اسألوه ، انه مكتمل السن ، سيتكلم هو بنفسه عن أمره » . وانما قال والداه هذا لخوفهما من اليهود ، لأن اليهود كانوا قد اتفقوا على أن يفصل من المجمع من يعترف بأنه المسيح[٧] . فلذلك قال والداه : انه مكتمـل السن ، فاسألوه .

فدعوا ثانية الرجل الذى كان أعمى وقالوا له : « مجد الله[٨] ، نحن نعلم أن هذا الرجل خاطىء » . فأجاب : « هل هو خاطىء لا أعلم ، وانما أعلم أنى كنت أعمى وها انى أبصر الآن » . فقالوا له : « ماذا صنع لك ؟ وكيف فتح عينيك ؟ » أجابهم : « لقد قلته لكم فلم تصغوا ، فلماذا تريدون أن تسمعوه ثانية ؟ أتراكم ترغبون فى أن تصيروا أنتم أيضا تلاميذه ؟ » فشتموه وقالوا : « أنت تلميذه ، أما نحن فاننا تلاميذ موسى . نحن نعلم أن الله كلم موسى ، أما هذا فلا نعلم من أين هو »[٩] . أجابهم الرجل : « فعجيب أن لا تعلموا من أين هـو وقـد فتح عينى . نحن نعلم أن الله

---

(٧) فى أيام يسوع ، كان الدين اليهودى يتخذ بعض التدابير لفصل فئة من المذنبين ولم يظهر تحريم المسيحيين من الدخول الى المجمع الا فى أواخر القرن الأول . ومن الراجح ان يوحنا نسب الى المـاضى تدبيرا حديثا (راجع ١٢/٤٢ و ١٦/٢) .

(٨) دعوة مألوفة الى قول الحق ، دون الاكتراث لمـا قـد ينتج من الأضرار الشخصية .

(٩) ان المكانة التى احتلتها الشريعة فى الدين اليهودى قد ساعدت على رفع شأن « موسى » المشترع . وكان الفريسيون يميلون الى عده المعلم المثـالى .

لا يستجيب للخاطئين[١٠] ، بل يستجيب لمن أتقاه وعمل بمشيئته[١١] . ولم يسمع يوما أن أحدا من الناس فتح عيني من ولد أعمى[١٢] . فلو لم يكن هـذا الرجل من الله ، لمـا اسـتطاع أن يصنع شـيئا »[١٣] . أجابوه : « أتعلمنا أنت وقد ولدت كلك في الخطايا ؟ » ثم طردوه .

فسـمع يسـوع أنهم طـردوه ، فلقيـه وقال له : « أتؤمن أنت بابن الانسان ؟ »[١٤] أجاب : « ومن هو ، يا رب ، فأومن به ؟ » قال له يسوع : « قد رأيتـه ، هو الذي يكلمك » . فقـال : « آمنت ، يارب » وسجد له . فقال يسوع : « اني جئت هذا العالم لاصدار حكم : أن يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون »[١٥] . فسمعه بعض الفريسيين

---

(١٠) هذه حقيقة شائعة (اش ١/١٥ ومز ١٨/٦٦ و ٧/١٠٩ ومثل ٢٩/١٥ واي ٩/٢٧ و ١٣/٣٥ ويو ٢٣/١٦ — ٢٧ و ١ يو ٢١/٣ — ٢٢) .

(١١) يريد الجمع بين التقوى التي يمتاز بها اليونانيون — الأمم — والمثال الأعلى الكتابي الذي كان يشدد بالأحرى على الطاعة لله .

(١٢) في طو ٧/٧ و ٧/١١ — ١٣ و ١/١٤ ، لا يدور الكلام على أعمى منذ مولده ، علما بأن هذه الرواية لا تنتسب الى المؤلفات الأسـاسية في التقليد اليهودي .

(١٣) مرحلة جديدة من مراحل سير الايمان : فالذي كان أعمى قد اعترف ان يسوع نبيا (٧/٩) وهو يعلن الآن أنه ما من أحـد في اسرائيل حتى اليوم كان رجل الله بمقدار يسوع

(١٤) هذه هي المرحلة الأخيرة ، فلقد بلغ المعافى أقصى درجات شهادته فاحتمـل الاضطهاد . اتى يسـوع لملاقاته وكشف له عن كونه رسـول « ابن الانسان » ، أي ذاك الذي يأتي من السماء ليجمع شمل البشر ويرتفع بهم الى المشاركة في حياة الله (٥١/١ و ١٤/٣ — ١٥ و ٦٢/٦ — ٦٣) .

(١٥) تحدث رسالة يسوع في هذا العالم انقلابا حقيقيا في المواقف : هذا ما يعبر عنه تأكيدان هما على صعيدين مختلفين : العميان الذين يؤمنون بيسوع يشفون ويبلغون معرفة الوحي ، والمتباهون بالتمتع بالنـور (راجع ١٦/٩ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٩ و ٣٤) عاجزون عن رؤية (٩/١٤) الذي يأتي بنور الخلاص (٥/٩ و ١٢/٨) . فهم يغلقون على أنفسهم للأبد في الظلمات والهلاك (راجع ١٧/٣ — ومر ١١/٤ — ١٢) .

الذين كانوا معه فقالوا له : « أفنحن أيضا عميان ؟ » قال لهم يسوع : « لو كنتم عميانا لما كان عليكم خطيئة . ولكنكم تقولون الآن : اننا نبصر فخطيئتكم ثابتة »[١٦] .

« الحق الحق أقول لكم : من لا يدخل حظيرة الخراف من الباب[١٧] بل يتسلق اليها من مكان آخر فهو لص سارق[١٨] . ومن يدخل من الباب فهو راعى الخراف . له يفتح البواب والخراف الى صوته تصغى . يدعو خرافه كل واحد منها باسمه[١٩] ويخرجها فاذا أخرج خرافه جميعا سار قدامها وهى تتبعه لأنها تعرف صوته . أما الغريب فلن تتبعه بل تهرب منه . لأنها لا تعرف صوت الغرباء » . ضرب يسوع لهم هذا المثل ، فلم يفهموا معنى ما كلمهم به . فقال يسوع : « الحق الحق أقول لكم : أنا باب الخراف . جميع الذين جاؤوا قبلى لصوص سارقون[٢٠] ولكن الخراف لم تصغ اليهم . أنا الباب[٢١] فمن دخل منى يخلص يدخل

---

(١٦) لو كانوا عميانا على مثال الذى شفى ، لكانوا بلا خطيئة .

(١٧) كانت الخراف تزرب فى حظيرة محاطة بجدار صغير وتجعل فى حماية حارس .

(١٨) يميز هذا المثل اذا بين طريقتين فى التصرف : الراعى الذى يدخل بطريقة طبيعية لأنه وكل اليه بالأمر ، والذين يتصرفون بطريقة تعسفية يريدون السيطرة لمنفعتهم وحدهم .

(١٩) ففى داخل اسرائيل فئتان من الناس : الذين هم فى الواقع ملك الراعى ويلبون نداءه ونداءه وحده ، والذين لا يلبونه لأنهم لم يكونوا له قط .

(٢٠) لا يدور الكلام على أنبياء العهد القديم ، بل على الذين كانوا يدعون ، فى العالم اليهودى وفى العالم الوثنى ، تزويد الناس بمعرفة الأمور الدينية وبالخلاص بوسائلهم الشخصية

(٢١) كان موضوع « الباب » النافذ الى الحقائق السماوية شائعا فى التقليد اليهودى (تك ٢٨/١٧ ومز ٧٨/٢٣) والأناجيل الازائية (متى ٧/١٣ — ١٤ ولو ١٣/٢٤ ومتى ٢٥/١٠ ولو ١١/٥٢) .

ويخرج ويجد مرعى • السارق لا يأتى الا ليسرق ويذبح ويهلك • أما أنا فقد أتيت لتكون الحياة للناس وتفيض فيهم • أنا الراعى الصالح[٢٢] والراعى الصالح يبذل نفسه فى سبيل الخراف وأما الأجير ، وهو ليس براع وليست الخراف له فاذا رأى الذئب مقبلا ترك الخراف وهرب فيخطف الذئب الخراف ويبددها • وذلك لأنه أجير لا يبالى بالخراف • أنا الراعى الصالح أعرف خرافى وخرافى تعرفنى كما أن أبى يعرفنى وأنا أعرف أبى وأبذل نفسى فى سبيل الخراف • ولى خراف أخرى[٢٣] ليست من هذه الحظيرة فتلك أيضا لا بد لى أن أقودها وستصغى الى صوتى فيكون هناك رعية واحدة وراع واحد[٢٤] • ان الآب يحبنى لأنى أبذل نفسى لأنالها ثانية ما من أحد ينتزعها منى ولكنى أبذلها برضاى . فلى أن أبذلها ولى أن انالها ثانية وهذا الأمر تلقيته من أبى » • فوقع الخلاف ثانية بين اليهود بسبب هذا الكلام ، فقال كثير منهم : « انه به مسا من الشيطان ، فهو يهذى ، فلماذا تصغون اليه ؟ » • وقال آخرون : « ليس هذا كلام من به مس من الشيطان • أيستطيع الشيطان أن يفتح أعين العميان ؟ » (يوحنا ٩ : ١ —) •

* * *

---

(٢٢) فى العهد القديم ، طبقت صورة « الراعى » الذى يقود القطيع ويحميه ، تارة على الله (مز ١/٢٣ وخر ١١/٤٠ وار ٩/٣١) ، وتارة على الملك المشيحى (مز ٧٠/٧٨ — ٧٢ وحز ٢٤/٣٧) ، وتارة على المسؤولين فى اسرائيل (ار ٨/٢ و ٢١/١٠ و ١/٢٣ — ٨ وحز ٣٤) . وهى ترد غالبا فى الأناجيل الازائية (مر ٣٤/٦ و ٢٧/١٤ ومتى ٣٦/٩ و ١٢/١٨ — ١٤ و ٣٢/٢٥ و ٣١/٢٦ ولو ٣/١٥ — ٧) . ويسوع يقوم بعمل الراعى على أتم وجه .

(٢٣) يشير بالخراف الأخرى الى انه سيدعو الأمم . وسيكون منهم من يستجيب له مع من استجاب له من بنى اسرائيل

(٢٤) تلميح الى جعل دعوته عالمية .

التعليق على قصة الأكمه :

١ ــ أظهر عيسى عليه السلام فى شفائه للأكمه : أنه رسول الله . فى قوله . « يجب علينا ما دام النهار ، أن نعمل أعمال الذى أرسلنى » .

٢ ــ وصرح الأكمه بأن عيسى عليه السلام نبى الله . فى قوله : « أنه نبى » مثل ما صرحت المرأة السامرية ، لما أنبأها بالغيب ، فانها قد قالت له : « أرى أنك نبى » (يو ٤:١٩)

المسيح = المسيا

٣ ــ قال والدا الأكمه لعلماء اليهود : « نحن نعلم : أن هذا ابننا . وأنه ولد أعمى . أما كيف أصبح يبصر الآن . فلا ندرى ، ومن فتح عينيه ، فنحن لا نعلم . اسألوه ، انه مكتمل السن . سيتكلم هو بنفسه عن أمره » .

لمــاذا ؟

لخوفهما من اليهود .

ولماذا خافا من اليهود ؟

« لأن اليهود كانوا قد اتفقوا على أن يفصل من المجمع من يعترف بأنه المسيح » .

وفى ترجمة : « لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا : أنه ان اعترف أحد بأنه المسيح ، يخرج من المجمع » نحن أمام مشكلة عويصة . لا يقدر النصارى على حلها .

وذلك لأن بنى اسرائيل من زمان سبى بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد قد اتفقوا على أن كل من يصرح بأن « المسيح » أى النبى المماثل لموسى سيظهر من بنى اسماعيل ، من « مكة » يفصل من جماعة بنى اسرائيل ،

ويحرم من الارث فى أرض فلسطين ، ولا يتولى عملا من أعمال الحكومة، وينبذ من قومه . ويضطهد ، ويقتل بعد هذا العذاب الأليم . هذا ما اتفقوا عليه وهم راجعون من سبى بابل ، ثم انهم اختلفوا فيه ، فقال العبرانيون : انه سيظهر من داود . وقال السامريون : انه سيظهر من سبط يوسف .

وعلى هذا الاتفاق . كان ائتمارهم على قتل المسيح عيسى عليه السلام . وقد صرح بذلك يوحنا كاتب الانجيل فى قوله . « فقال له تلاميذه : قبل قليل حاول اليهود أن يرجموك[٢٥] ، أفنعود الى هناك ؟ » قالوا له هذا ، لما قال لهم : « لنعد الى اليهودية » وقد أشار القرآن الكريم الى هذا فى قوله تعالى : « واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات »

وقد وضح يوحنا فى انجيله هو وبرنابا : أن اليهود قد ائتمروا على قتله ، من أجل تصريحه بأن النبى الآتى ، سيظهر من بنى اسماعيل عليه السلام .

قال يوحنا : أنه بعدما أحيا يسوع الميت الذى مكث فى القبر أربعة أيام ، عقد عظماء الكهنة والفريسيين مجلسا . وقالوا : ما نعمل ؟ فان هذا الرجل يأتى بآيات كثيرة . فاذا تركناه وشأنه ، آمنوا به جميعا ، ويأتى الرومانيون ، فيدمرون حرمنا وأمتنا فعزموا منذ ذلك اليوم على قتله .

تلك هى رواية يوحنا فى الأصحاح الحادى عشر . وانجيله مقدس عندهم . وفى ترجمة : « ان تركناه هكذا ، يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ، ويأخذون موضعنا ، وأمتنا » .

وقال برنابا مثل ما قال يوحنا سواء بسواء . الا أنه غير «الرومانيون» بـ « الاسماعيليون » فمن منهما الذى أصاب الحق ؟

---

(٢٥) راجع يوحنا ١٠: ٣١ و٥: ١٨ و٧: ١ و١٩–٢٠ و٢٥ و٨: ٣٧ و٤٠

(٢٦) قارن ههنا بين « البينات » التى قالها عيسى لبنى اسرائيل وبين « البينات » التى قالها يوسف لقوم فرعون . تجد أن يوسف حدث عن موسى وتجد أن عيسى حدث بمحمد .

من المؤكد : أنهما كتبا « اسماعيليون »[٢٧] فى البدء . ومحرفوا انجيل يوحنا ، رفعوا « الاسماعيليين » ووضعوا بدلها « الرومانيون » وذلك لأن الرومان يسيطرون على « أورشليم » بالقوة ، من عهد « بومبيوس » سنة ثلاث وستين من قبل الميلاد • وقيل بمائة عام •

فاذا كان الرومانيون يأخذون موضعهم الذى هو هيكل سليمان ، ــ حرمهم ــ ويأخذون أمتهم التى هى « أورشليم » من قبل ميلاد يسوع المسيح بمائة عام أو بثلاث وستين . فما هى الفائدة من مجيئهم للأخذ . وهم بالفعل مقيمون ، وبجنود لا قبل لليهود بها ؟

أما الاسماعيليون . فانهم موعودون بملك ونبوة ، مثل بركة اسحق فى الأمم . واذا ظهر النبى الآتى منهم ، المماثل لموسى • فانهم به سيفتحون بلاد الأمم . كما فتح بنو اسرائيل بلاد الأمم مع موسى . وسيكون كل نسل ابراهيم خاضع تحت رئاستهم كما كان كل نسل ابراهيم خاضع تحت رئاسة بنى اسرائيل فى أيام بركتهم •

---

(٢٧) يقول برنابا : أن الكتبة والفريسيين تشاوروا مع رئيس الكهنة فى شأن يسوع . بعد علمهم باحيائه ابن الارمله فى مدينه « نابين » قائلين :

« ماذا نفعل لو صار هذا الرجل ملكا ؟ حقا . ان ذلك يكون وبالا علينا فانه يريد ان يصلح عبادة الله على حسب السنة القديمه • لأنه لا يقدر ان يبطل تقاليدنا . فكيف يكون مصيرنا تحت سلطان رجل هكذا ؟ حقا . اننا نهلك نحن واولادنا ، لأننا اذا طردنا من وظيفتنا ، اضطررنا أن نستعطى خبزنا . أما الآن فالحمد لله . لنا ملك ووال أجنبيان عن شريعتنا ، ولا يباليين بشريعتنا ، كما لا نبالى نحن بشريعتهم . ولذلك نقدر ان نفعل كل ما نريد ، فان أخطأنا فان الهنا رحيم ، يمكن استرضاؤه بالضحية والصوم . ولكن اذا صار هذا الرجل ملكا ، فلن يسترضى الا اذا رأى عبادة الله ، كما كتب موسى .

وأنكى من ذلك انه يقول : ان مسيا ، لا يأتى من نسل داود ــ كما قال لنا أحد تلاميذه الأخصاء ــ بل يقول : انه يأتى من نسل اسماعيل ، وأن الموعد صنع باسماعيل ، لا باسحق .

فماذا يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش ؟ من المؤكد : ان الاسماعيليين يصيرون ذوى وجاهة عند الرومانيين • فيعطونهم بلادنا ملكا . وهكذا أيصير اسرائيل عرضة للعبودية ، كما كان قديما ... »
(برنابا : ٨ ــ) .

* * *

ولنعد الى قوله : « لأن اليهود كانوا قد اتفقوا على أن يفصل من المجمع من يعترف بأنه المسيح » .

ونقول : ان هذا القول محرف . وذلك لأن لقب « المسيح المنتظر » لم يوضع على عيسى عليه السلام الا فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بعد الميلاد .

ويقول علماء من النصارى ما نصه : « فى أيام يسوع كان الدين اليهودى ، يتخذ بعض التدابير لفصل فئة من المذنبين . ولم يظهر تحريم المسيحيين من الدخول الى المجمع الا فى أواخر القرن الأول »(١) اهـ .

وانه اذا كان تحريم المسيحيين من الدخول فى مساجد اليهود ، لم يكن الا فى أواخر القرن الأول . فان اتفاق اليهود على فصل من يعترف بأن يسوع المسيح لم يكن قد ظهر فى أيام يسوع نفسه .

وعلى هذا تكون عبارة يوحنا محرفة .

الا أن تكون العبارة فى البدء هكذا: « لأن اليهود كانوا قد اتفقوا على أن يفصل من المجمع من يعترف بأنه رسول المسيح » .

وانها اذا كانت هكذا فى البدء ، فانها تكون صحيحة . لأن يسوع المسيح هو رسول المسيح الآتى — الذى هو النبى الأمى المماثل لموسى — لا أنه هو « المسيح الرئيس » .

وكتب النبوءات تدل على ذلك . فان دانيال حدد سبعين أسبوعا لظهور « المسيح الرئيس » وهم أربعمائة وتسعون سنة . وقال أن ظهور « المسيح الرئيس » سيكون بعد مملكة الروم . وعلماء اليهود يعرفون كتبهم ، ويوحنا من العلماء . فكيف يخطىء فى تحديد الزمان ؟

---

(٢٨) تعليق ترجمة دار المشرق على انجيل يوحنا سنة ١٩٨٩ ببيروت .

نص قصـــة شفاء يســوع للأكمه
من انجـــل برنــابا

وسأكتب الآن ههنا قصة شفاء يسوع للأكمه من انجيل برنابا[١] . ليظهر منها لأهل العلم : أن « ابن الانسان » عند يوحنا ، هو نفسه محمد رسول الله عند برنابا .

النص :

« لما اجتاز[١] يسوع من الهيكل ، بعد أن صلى صلاة الظهيرة ، وجد أكمها . فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ في هــذا الانسان حتى ولد أعمى ؟ أبوه أم أمه ؟ أجاب يسوع : لا أبوه احطأ فيه ولا امه . ولكن الله خلقه هكذا ، شهادة للانجيل ، وبعد أن دعا الأكمه اليــه . تفل على الأرض ، وصنع طينا ، ووضعه على عينى الأكمه وقال له : اذهب الى بركة سلوام واغتسل ، فذهب الأكمه ولما اغتسل أبصر ، فبينما كان راجعـا الى البيت قال كثيرون من الذين التقوا به : لو ان هذا الرجل أعمى لقلنا بكل تأكيد انه ابصر وجلس على الباب الجميل من الهيكل ، وقال آخــرون : انه هو ، ولكن كيف أبصر ؟ فسألوه : هل أنت الأكمه الذى كان يجلس على الباب الجميل من الهيكل ؟ أجاب : انى أنا هو . ولماذا ؟

قالوا : كيف نلت بصرك ؟

أجاب : ان رجلا صنع طينا تافلا على الأرض ووضع هذا الطين على عينى ، وقال لى : أذهب واغتسل فى بركة سلوام . فذهبت واغتسلت ، فصرت الآن أبصر . تبارك اله اسرائيل .

ولما عاد الرجل الذى كان أكمه الى الباب الجميل من الهيكل ، امتلأت أورشليم كلها بالخبر ، لذلك أحضر الى رئيس الكهنة الذى كان يأتمر مع الكهنة والفريسيين على يسوع . فســأله رئيس الكهنة قائلا : هل ولدت

---

(١) برنابا = بفتح الباء الأولى .

أعمى أيها الرجل ؟ أجاب نعم • فقال رئيس الكهنة : ألا فأعط مجـدا لله ، وأخبرنا أي نبى ظهر لك فى الحلم وأنا لك نورا ؟ . أهو أبونا ابراهيم ، أم موسى خادم الله ام نبى آخر ؟ لأن غيرهم لا يقـدر أن يفعل شـيئا نظير هذا .

فأجاب الرجل الذى ولد أعمى : انى لم أر فى حلم ، ولم يشـفنى لا ابراهيم ولا موسى ولا نبى آخر ، ولكن بينما أنا جالس على باب الهيكل أدنانى رجل اليه ، وبعد أن صنع طينا من تراب بتفله ، وضع من ذلك الطين على عينى ، وأرسلنى الى بركة سلوام ، لأغتسل . فذهبت ، واغتسلت ، وعدت بنور عينى .

فسأله رئيس الكهنة عن اسم ذلك الرجل •

فأجاب الرجل الذى ولد أعمى : انه لم يذكر لى اسمه ولكن رجلا رآه ، نادانى وقال : اذهب واغتسل . كما قال ذلك الرجل ، لأنه يسوع الناصرى نبى اله اسرائيل ، وقدوسه .

فقال حينئذ رئيس الكهنة : لعله أبرأك اليوم — أى السبت —

أجاب الأعمى : انه أبرأنى اليوم •

فقال رئيس الكهنة : انظروا الآن • كيف ان هذا الرجل خاطىء لأنه لا يحفظ السبت .

وأجاب [1] الأعمى : لست أعلم أخاطىء هو أم لا انما أعلم هذا : وهو أنى كنت اعمى ، فأنارنى .

فلم يصدق الفريسيون هذا ، لذلك قالوا لرئيس الكهنة : أرسل وادع أباه وأمه ، لأنهما يقولان لنا الصدق ، فدعوا أبا الرجل الأكمه وأمه فلما حضرا ، سألهما رئيس الكهنة قائلا : هل هذا الرجل ابنكما ؟

أجابا : انه ابننا حقا .

---

(١) يو ٨ : ٢٥ — ٣٤ .

فقال حينئذ رئيس الكهنة : يقول : انه ولد أعمى ، والآن يبصر . فكيف حدث هذا الشئ ؟

أجاب أبو الرجل الذى ولد أعمى وأمه : انه ولد أعمى حقا . ولكن لا نعلم كيف نال النور . هو كامل السن اسألوه ، يقل لكم الصدق .

فصرفوهما وعاد الرئيس فقال للرجل الذى ولد أعمى : أعط مجدا لله وقل الصدق .

وكان أبو الرجل الأعمى وأمه خائفين أن يتكلما ، لأنه صدر أمر من مجلس الشيوخ الرومانى : أنه لا يجوز لانسان أن يتحزب ليسوع ، نبى اليهود ، والا فالعقاب الموت . وهو أمر استصدره الوالى . لذلك قالا هو كامل السن . اسألوه . فقال حينئذ رئيس الكهنة للرجل الذى ولد أعمى : أعط مجدا لله . قل الصدق لاننا نعلم : أن هذا الرجل الذى تقول انه شفاك ، خاطئ . أجاب الرجل الذى ولد أعمى : لست أعلم أخاطئ هو ام لا انما اعلم هذا . وهو أننى كنت لا أبصر ، فأنارنى . ومن المؤكد أنه منذ ابتداء العالم حتى هذه الساعة ، لم ينر أكمه . والله لا يصيخ السمع الى الخطاة .

قال الفريسيون : ماذا فعل لما أنارك ؟

حينئذ تعجب الرجل الذى ولد أعمى من عدم ايمانهم وقال : لقد أخبرتكم ، فلماذا تسألوننى أيضا ؟ أتريدون أنتم أن تصيروا تلاميذ له ؟

فوبخه حينئذ رئيس الكهنة قائلا : انك ولدت بجملتك فى الخطيئة . أفتريد أن تعلمنا ؟ أغرب ، وصر أنت تلميذا لهذا الرجل ، أما نحن فاننا تلاميذ موسى ، ونعلم أن الله كلم موسى ، وأما هذا الرجل فلا نعلم من أين هو . فأخرجوه من المجمع والهيكل ، ونهوه عن الصلاة مع الطاهرين بين بنى اسرائيل .

وذهب الرجل الذى ولد أعمى[١] ليجد يسوع فعزاه[٢] : انك لم تبارك فى زمن ما ، كما أنت الآن لأنك مبارك من الهنا الذى تكلم على لسان داود[٣] أبينا ونبيه فى اخلاء العالم قائلا : هم يلعنون وأنا أباركك ، وقال على لسان[٤] ميخا النبى : انى ألعن بركتك . لأن التراب لا يضاد الهواء ، ولا الماء النار ، ولا النور الظلام ، ولا البرد الحرارة ، ولا المحبة البغضاء ، كما تضاد ارادة الله ارادة العالم .

فسأله لذلك التلاميذ قائلين : ما أعظم كلامك أيها السيد . فقل لنا المعنى لأننا حتى الآن لم نفهم .

أجاب يسوع : متى عرفتم العالم ، ترون أنى قلت الحق . وهكذا ستعرفون الحق فى كل نبى .

فاعلموا اذا أن هنالك ثلاثة أنواع من العوالم متضمنة فى اسم واحد :

الأول : يشير الى السموات والأرض ، مع الماء والهواء والنار وكل الأشياء التى هى دون الانسان ، فيتبع هذا العالم فى كل شىء ارادة الله . كما يقول داود[٥] : لقد أعطاها الله أمرا لا تتعداه .

الثانى : يشير الى كل البشر ، كما أن بيت فلان لا يشير الى الجدران بل الى الأسرة . فهذا العالم يحب الله أيضا ، لأنهم بالطبيعة يتوقون الى الله قدر ما يستطيع كل أحد ، يتوق بحسب الطبيعة الى الله ، وان ضلوا فى طلب الله أفتعلمون لماذا يتوق الجميع الى الله ؟ لأنهم يتوقون جميعا الى صلاح غير متناه بدون أدنى شر . وهذا هو الله . وحده لذلك أرسل الله الرحيم أنبياءه الى هذا العالم ، لخلاصه .

أما الثالث : فهو حال سقوط الانسان فى الخطيئة ، التى تحولت الى شريعة [١] مضادة لله خالق العالم ، فهذا يصير الانسان نظير

---

(١) يو ٩ : ٣٥ (٢) أى قال يسوع للأعمى . انك لم تبارك ما . الخ
(٣) مز ١٠٩ : ٢٨ (٤) ملا ٢ : ٢ (٥) مز ١٤٨ : ٦

الشياطين أعداء لله . فماذا تظنون ــ وهذا العالم يكره الله كرها شديدا ــ هي مصير الأنبياء لو أحبوا هذا العالم ؟ . حقا أن الله ليأخذ منهم نبوتهم .

وماذا أقول ؟ لعمــر الله . الذي تقف نفسي في حضرته : لو خامر رسول الله حب هذا لعالم الشرير متى جاء اليه ، لأخذ الله منه بالتأكيد كل ما وهبه . عند خلقه ، وجعله منبوذا ، لأن الله بهذا المقدار مضاد للعالم .

وأجاب التلاميذ : يا معلم ان كلامك لعظيم جدا ، فارحمنا ، لأننا لا نفهمه .

قال يسوع : أيخيل لكم أن الله قد خلق رسوله ، ليكون ندا له ، يريد أن يجعل نفسه مساويا لله ؟ كلا ثم كلا ، بل عبده الصــالح الذي لا يريد ما لا يريده الله .

انكم لا تقدرون أن تفقهوا هذا لأنكم لا تعرفون ما هي الخطيئة . فأصيخوا السمع لكلامي . الحق الحق أقول لكم : ان الخطيئة لا يمكن أن تنشأ في انسان الا مضادة ، لله ، اذ ليست الخطيئة الا ما لا يريده الله فان كل ما يريده أجنبي عن الخطيئة . فلو اضطهدني رؤساء الكهنة والكتبة ، مع الفريسيين ، لأن شعب اسرائيل دعاني الها ، لفعلوا شيئا يرضى به الله ، ولكافأهم الله . ولكن لله مقتهم ، لأنهم يضطهدونني لسبب مضاد . وهو انهم لا يريدون أن أقول الحق . وكم قد أفسدوا بتقليدهم كتاب موسى وكتاب داود نبي الله وخليله .

وانهم لهذا يكرهونني ويودون موتي » (برنابا ١٥٧:١ــ) .

* * *

انه يتكلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « لو خامر رسول الله ... الخ » ويقول : « ان الله قد خلق رسوله .. الخ » .

---

(١) رو ٧ : ٢١ .

(٢) في القرآن الكريم عن محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين .. » .

الغرض من معجزات عيسى عليه السلام

ثانيا: الغرض من معجزة إحياء الموتى

تمهيـــد :

كتاب الأناجيل في بدء كتابتهم لها بينوا فيهـا : أن المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ بشر بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي مجمع نيقية رأى أهل الروم أن يجبروا النصارى على أن المسيح عيسى بن مريم بشر بنفسه ، لا بغيره . وهو لم يقم مملكة على الأرض ، لأنه يريد من الله ملكا روحيا لا أرضيا . وهو لم يظهر ديانة مستقلة عن ديانة موسى . لأنه ظن أن النصارى سيفهمون من تلقاء أنفسهم . لما يرونه مصلوبا ومقتولا . أنه رفع الخطايا .

هذا ما رآه أهل الروم . وطلبوا من أنصارهم في المجمع أن يعلنوه . وكيف يعلنوه . وفي الناس أناجيل تشهد عليهم لا لهم ؟ وكيف يعلنوه ، والتوراة تشهد عليهم لا لهم ؟

هذا أمر غير يسير . وقـد فعلوه في الأناجيل المنتخبة على النحـو التالي :

أولا : حذفوا أسم محمد ، ووضعوا بدله الألقاب التي تدل عليه . مثل لقب « ابن الانسان » ولقب « ابن الله » ولقب « المسـيح » ولقب « المسـيا » .

ثانيا : حذفوا مملكة بني اسماعيل عليه السلام ووضعوا بدلها مملكة الرومـان .

ثالثا : أخذوا نبوءات التوراة ، وأسفار الأنبياء المشهورة عن النبي الآتي . وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووضعوها على عيسى عليه السلام مثل نبوءة « العبد المتألم » و « ابن الانسان » و « ابن الله » .

رابعا : وما شاع فى النــاس عن « ملكوت السموات » وعن « بيراكليت » وعن دعــوة يوحنا المعمــدان بالآتى من بعده تركوه فى الأناجيل كما هو . ووضعوا تفسيرا له فى سفر أعمال الرسل . تفسيرا ملتويا يدل على يسوع المسيح .

وعلى هذا . ظهر فى الأناجيل المنتخبة ثلاثة أمور :

الأمر الأول : وضــع نبوءات التوراة التى هى عن النبى الآتى على يسوع المسيح .

والأمر الثانى : اظهار تبشير يسوع المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم بالألقاب التى هى له فى أسفار الأنبياء . لا باسمه الصريح .

الأمر الثالث : وضعوا بدل اسمه الصريح ، ما يدل عليه بحســاب الجمل ، وما يدل عليه بحسب اللغات لمن يفهم . مثل ايلياء ، وبيراكيت .

وبعدما فعلوا هذا . اتجهوا الى العلماء . فوضعوا لهم نصوصا فى الأناجيل المنتخبة ، تبين لهم : أن النبوءات ليست لعيسى عليه السلام ، وأن عيسى عليه السلام كان يبشر بغيره ، لا بنفسه .

ثم ألفوا أعمال الرسل ، ورسائل بولس . لغرض واحد . وهو ذكر نبوءات التوراة عن النبى الآتى . ووضعها على المســيح يسوع . وذكر نبوءات المعمدان ويسوع عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وضــعها على يسوع المسيح .

وكل هذا كان من فريقين : الفريق الأول : أهــل الروم . والفريق الثانى : اليهود العبرانيين لا السامريين .

فاليهود السامريون لم يشتركوا فى تحريف الأناجيل . والسبب فى ذلك : هو أن المسيح عيسى عليه السلام ليس منهم . فانه من الهارونيين ، من سبط لاوى من مدينة « حبرون » وولد فى « بيت لحم » التى تبعد عن « أورشليم » بنحو ستة كيلو مترات .

وتربى فى « هيكل سليمان » بأورشليم . وكان مع العلماء فيه يسمعهم ويسألهم . والعداء كان ظاهرا — وما يزال الى هذا اليوم — بين السامريين والعبرانيين . وتوراة السامريين تبين أن « المسيح الرئيس » لن يظهر من بنى اسرائيل . وذلك لأن من أوصافه : أن يكون مماثلا لموسى . والنص فيها واضح فى أنه « لن يقوم فى بنى اسرائيل كموسى » وحيث أن عيسى من بنى اسرائيل ، فانه ليس هو . والسامريون يرفضون تقديس أسفار الأنبياء . ولا يستدلون بها على أى أمر من الأمور . لكنهم مع ذلك يزعمون بأن « المسيح الرئيس » سيظهر من سبط يوسف . وهذا يواجهون به الأميين . لا العلماء .

واليهود العبرانيون اشتركوا فى تحريف الأناجيل . والسبب فى ذلك: هو أن المسيح عيسى عليه السلام منهم ، وعاش بينهم ، وقرأ توراتهم ، ولما شرع فى التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم . استدل بنصوصها على مجيئه . ولم يستدل بتوراة موسى فقط . بل استدل أيضا بأسفار الأنبياء ، وقدر بالأدلة على افحام العلماء .

فزبور داود عليه السلام مقدس عند العبرانيين ؛ وغير مقدس عند السامريين . وفيه أدلة على النبى المنتظر . فأخرجها من الزبور . واستدل بها ، وأفحم بها . مثل استدلاله بالمزمور الثانى الذى هو نبوءة عن النبى المنتظر بلقب « ابن الله » واستدلاله بالمزمور المئة والعاشر الذى هو نبوءة عن النبى المنتظر بلقب « سيد داود » .

وسفر اشعياء مقدس عند العبرانيين . وغير مقدس عند السامريين — الذين لا يقدسون الا توراة موسى فقط — وفيه أدلة على النبى المنتظر . فاستدل بها .

ومن أعجب العجب : أن فى انجيل يوحنا نبوءة لم تحذف منه حال تحريف الأناجيل فى نيقية . هى نص من سفر اشعياء عن ظهور بركة اسماعيل فى الأمم بملك ونبوة . واستدل بها عيسى عليه السلام على ظهور بركة اسماعيل من بعده فى شخص محمد صلى الله عليه وسلم . فانه تكلم

عن « ابن الانسان » ولما أظهر اليهود استياءهم من كلامه ، قال : لمـاذا استياؤكم ؟ « كتب فى أسفار الأنبياء : وسيكونون كلهم تلامذة الله » (يو ٦:٤٥) انظر الى قوله عليه السلام « كتب فى أسفار الأنبياء » تجد أنه يشير بقوله « وسيكونون كلهم تلامذة الله » الى الأصحاح الرابع والخميس الآية الثالثة عشر من سفر اشعياء والآية الثالثة والثلاثين من سفر ارمياء .

والنص فى سفر اشعياء يتكلم عن مجـد الكعبة المعظمة ، ومكـة المكرمة .

ونفس النص قد أخذه بولس واستدل به على ان يسوع هو « ابن الانسان » فعيسى يستدل بالنص على غيره ، وهم يستدلون بنفس النص عليه هو .

وأثناء التحريف . كتب المحرفون للعلماء كل ما يدل على الحق فى شأن عيسى عليه السلام وكل ما يدل على الحق فى شأن النبى الذى يبشر به . وعلى ذلك فالأناجيل الأربعة فيها الحق ، وفيها الباطل . ولا يعـرف الحق فيها الا العلماء . ولا يعرف الباطل فيها الا العلماء .

وهذه أمثلة على ما نقول :

أولا : يزعم اليهود العبرانيون بأن النبى الآتى سيكون من نسـل داود ، فكتاب الأناجيل لكى يوهموا الناس أن يسوع هو النبى الآتى ، كتبوا للاميين فى موضع : انه من نسل داود . وكتبوا للعلماء فى موضع : أنه من نسل هرون . فالأمى يفهم كما يفهم . وهذا يرضى أهل الروم . فانهم لا يريدون اذاعة خبر أن النبى الآتى سيأتى ليزيل مملكة الروم . لئلا يتجرأ الناس على هيبة الحكام . والعالم يفهم : أن النبى الآتى ليس هو يسوع ، ويجب عليه أن يسكت مجاملة لأهل الروم . وهم قد أعطوه حجة للسكوت . واذا زال نفوذهم ، فعنده الحجة على عدم السكوت .

ويصرح اليهود فى كتبهم بأن عيسى ليس من نسل داود عليه السلام

وانما هو من نسل هرون . ويصرح القرآن الكريم بما يصرحون هم به . وكذلك كاتب انجيل لوقا . فى الأصحاح الأول .

هذا مثال على ما كتبوه للاميين وللعلماء . ومثال آخر . وهو : أن من أوصاف النبى الآتى أن يكون ملكا ورئيسا يطاع . كما قال داود عنه : « ويملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى أقاصى الأرض . أمامه تجثو أهل البرية ، وأعداؤه يلحسون التراب » — « ويسجد له كل الملوك . كل الأمم له » يكون اسمه الى الدهر . قدام الشمس يمتد اسمه . ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوبونه » (مرمور ٧٢) وفى انجيل يوحنا : أن الناس لما رأوا معجزة لعيسى عليه السلام « قالوا : حقا . هذا هو النبى الآتى الى العالم » ذلك النبى المذكور فى سفر التثنية ، الذى سيرسله الله الى العالم ليتزعم حركة تحرير قومى ، ويقيم سلطان اسرائيل. ولذلك هموا باعلانه ملكا .

يقول يوحنا : « وعلم يسوع أنهم يهمون باختطافه ، ليقيموه ملكا . فانصرف وعاد وحده الى الجبل » (يو ٦:١٤—١٥) .

فهذا الذى يرفض الملك — كما كتب العلماء للعلماء — ليس هو النبى الآتى الذى يستفتحون به على الذين كفروا . ليس هو الذى قال عنه داود: « ويملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى أقاصى الأرض » .

ثانيا : محرفو الأناجيل . أخذوا نبوءات أسفار الأنبياء عن محمد صلى الله عليه وسلم ووضعوها على عيسى عليه السلام . وذلك منهم قد كتبوه عقب ذكرهم معجزاته ، وأثناء ذكرها . فمتى بعدما ذكر شفاء يسوع للذين بهم شياطين ، قال : « ليتم ما قيل على لسان النبى اشعياء : هو الذى أخذ أسقامنا ، وحمل أمراضنا » (متى ٨:١٧ اش ٥٣:٤) وفى اشعياء هو نبوءة عن «العبد المتألم» — وهو محمد صلى الله عليه وسلم — الذى يريح الناس بالتعاليم التى يلقيها عليهم فكأنه أخذ أسقامهم ، وحمل أوجاعهم . لأنه هو أخذ أسقاما ، وحمل أتعابا فى سبيلهم من الكفار ، والمشركين والمنافقين . كل ذلك نيابة عنهم .

وفى معجزة احياء ميت . اسمه « لعازر » وضع المحرفون لقب محمد فى ثنايا القصة ، بدل اسمه الصريح .

ان يسوع قال لمرثا أخت الميت : « سيقوم أخوك . قالت له مرثا : أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » قال لها : « كل من كان حيا ، وآمن بى فلن يموت الى الأبد » يعنى : أن من يتبع تعالبمه يحيا حياة طيبة فى الدنيا ، وحياة طيبة فى الآخرة .

وذلك لأن اليهـود يعبرون عن الشريعة بكلمات الحياه . ثم قال : « أتؤمنين بهذا ؟ » قالت له : نعم . يا سـيد . أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ، ابن الله ، الآتى الى العالم » .

ان المحرف أزاد من عنده : « أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ، ابن الله الآتى الى العالم » ووضع الزيادة فى وسط القصـة . ليوهم الأميين أن يسوع : هو « المسيح المنتظر » ولكن من يفهم معنى هذه الزيادة ؟ هـل يفهم الأمى المعنى ، أم العالم ؟ ان العالم يفهم أن يسوع ليس هو «المسيح» الذى يلقب بلقب « ابن الله » ويلقب أيضا بلقب « النبى الآتى الى العالم » .

ففى يو ٦ : ١٤ : « هذا هو النبى الآتى الى العـالم » وفى يو ١ : ٩ « كان النور الحق الذى ينير كل انسان آتيا الى العالم » وفى متى ١١ : ٣ سألوا عيسى عليه السلام : « أأنت الآتى أم آخـر ننتظر ؟ » فلآتى لقب مشيحى . وقال المعمدان عنه : « ذاك الآتى بعدى » (يو ١ : ٢٧) أيضا : مر ١ : ٧ و ١١ : ٩ ومتى ٢٣ : ٣٩ ولو ١٣ : ٣٥ « تبارك الآتى باسم الرب » . وأيضا : مزمور ١١٨ : ٢٥ـ٢٦ وفيـه يقـول داود عن محمـد صلى الله عليه وسلم : « مبارك الآتى باسم الرب » .

وفى القصة أيضا معنى غامض على الأميين وهـو : أن أختى الميت أرسلتا الى يسوع تخبرانه بمرضه « فلما سمع يسوع . قال : هذا المرض لا يؤول الى الموت ، بل الى مجد الله ، ليمجد به ابن الله » (يو ١١ : ٤) ما هو معنى : « ليمجد به ابن الله » ؟

ان « ابن الله » لقب من ألقاب « النبى الآتى الى العالم » ويسوع المسيح يبشر به . فاذا عمل معجزة ، وقال بعدها : آنا أبشر به . فمعناه : أن الله يمجده ويعظمه بهذه المعجزة . وقد جعل يسوع المسيح سببا لاظهارها . فالله يمجد يسوع الذى هو السبب المباشر لاجراء المعجزة ، ويمجد أيضا النبى الآتى الذى تعمل المعجزات من أجله . وقد وضح عيسى عليه السلام هذا المعنى قبل حديثه عن « بيرآكليت » بقوله : « الآن مجد ابن الانسان ،ومجد الله فيه . واذا كان الله قد مجد فيه ، فسيمجده الله فى ذاته ، وبعد قليل يمجده »[1] (يو ١٣:٣١—٣٢)

وفى ترجمة : « قال يسوع : الآن تمجد ابن الانسان ، وتمجد الله فيه ، ان كان الله قد تمجد فيه ، فان الله سيمجده فى ذاته ، ويمجده سريعا » .

* * *

والآن بعد هذا التمهيد ، الى نص القصة .

« وكان رجل مريض وهو لعازر من بيت عنيا ، من قرية مريم وأختها مرثا — ومريم هى التى دهنت الرب بالطيب ومسحت قدميه بشعرها — وكان

---

(١) قال عيسى عليه السلام : « لا أتلقى المجد من عند الناس » (يو ٥:٤١) وقال لليهود : « وأما المجد الذى يأتى من الله وحده ، فلا تطلبو » (يو ٥:٤٤ يو ١٢:٤٣ تث ٣١:٢٦) وقال لليهود : « فالذى يتكلم من عند نفسه يطلب المجد لنفسه . أما من يطلب المجد للذى أرسله ، فهو صادق فيه » (يو ٧:١٨) « أنا لا أطلب مجدى ، فهناك من يطلبه ويحكم » (يو ٨:٥٠) « لو مجدت نفسى ، لكان مجدى باطلا . ولكن أبى هو الذى يمجدنى » (يو ٨:٥٤) « يا أبت مجد اسمك . فانطلق صوت من السماء يقول : قد مجدته ، وسأمجده أيضا » (يو ١٢:٢٨) « ففضلوا المجد الآتى من الناس على المجد الآتى من الله » (يو ١٢:٤٣) « الا ان ما يمجد به أبى ، ان تثمروا ثمرا كثيرا ، وتكونوا لى تلاميذ » (يو ١٥:٨) .

وقال عيسى عليه السلام ان النبى الآتى « سيمجدنى ، لأنه يأخذ مما لى ، ويخبركم به » (يو ١٦:١٤) .

وقال عن النبى الآتى الملقب بلقب الابن : « يا أبت قد أتت الساعة . مجد ابنك . ليمجدك ابنك ، بما وليته من سلطان على جميع البشر ، ليهبهم الحياة الأبدية لجميع الذين وهبتهم له ... الخ » (يو ١٧:١ —)

المريض أخاها لعازر . فارسلت أختاه تقولان ليسوع : « يا رب ، ان الذى تحبه مريض » . فلما سمع يسوع قال : « هذا المرض لا يؤول الى الموت ، بل الى مجد الله ، ليمجد به ابن الله » .

وكان يسوع يحب مرتا وأختها ولعازر ، ومع ذلك فلما سمع أنه مريض ، بقى فى مكانه يومين . ثم قال للتلاميذ بعد ذلك : « لنعد الى اليهودية » . فقال له تلاميذه : « رابى ، قبل قليل حاول اليهود أن يرجموك أفتعود الى هناك ؟ » أجاب يسوع : « أليس النهار أثنتى عشرة ساعة ؟ ، فمن سار فى النهار لا يعثر ، لأنه يرى نور هذا العالم . ومن سار فى الليل يعثر لأن النور ليس فيه » .

وقال لهم بعد ذلك : « ان صديقنا لعازر راقد ، ولكنى ذاهب لأوقظه » . فقال له تلاميذه : « يا رب ، اذا كان راقدا فسينجو » . وكان يسوع يتكلم على موته ، فظنوا أنه يتكلم على رقاد النوم . فقال لهم يسوع عندئذ صراحة : « قد مات لعازر ، ويسرنى ، من أجلكم كى تؤمنوا ، انى لم أكن هناك . فلنمض اليه ! » فقال توما ، الذى يقال له التوأم ، لسائر التلاميذ : « فلنمض نحن أيضا لنموت معه ! » .

فلما وصل يسوع وجد أنه فى القبر منذ أربعة أيام . وبيت عنيا قريبة من أورشليم ، على نحو خمس عشرة غلوة ، فكان كثير من اليهود قد جاؤوا الى مرتا ومريم يعزونها عن أخيهما . فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لاستقباله ، فى حين أن مريم ظلت جالسة فى البيت . فقالت مرتا ليسوع : « يا رب ، لو كنت ههنا لما مات أخى . ولكنى ما زلت أعلم أن كل ما تسأل الله ، فالله يعطيك اياه » . فقال لها يسوع : « سيقوم أخوك » قالت له مرتا : « أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » فقال لها يسوع :

« أنا القيامة والحياة .

من آمن بى ، وان مات ، فسيحيا .

وكل من يحيا ويؤمن بى لن يموت للابد » .

أتؤمنين بهذا ؟ »

قالت له : « نعم ، يا رب ، انى أؤمن بانك المسيح ابن الله الآتى الى العالم »[1] . قالت ذلك ثم ذهبت الى أختها مريم تدعوها ، فأسرت اليها « المعلم ههنا ، وهو يدعوك » . وما ان سمعت مريم ذلك حتى قامت على عجل وذهبت اليه • ولم يكن يسوع قد وصل الى القرية ، بل كان حيث استقبلته مرتا . فلما رأى اليهود الذين كانوا فى البيت مع مريم يعزونها أنها قامت على عجل وخرجت ، لحقوا بها وهم يظنون أنها ذاهبة الى القبر لتبكى هناك . فما ان وصلت مريم الى حيث كان يسوع ورأته ، حتى ارتمت على قدميه وقالت له : « يا رب ، لو كنت ههنا لما مات أخى » . فلما رآها يسوع تبكى ويبكى معها اليهود الذين رافقوها ، جاش صدره واضطربت نفسه . وقال : « أين وضعتموه ؟ » قالوا له : « يا رب ، تعال فانظر » • فدمعت عينا يسوع . فقال اليهود : « انظروا أى محبة كان يحبه » . على أن بعضهم قالوا : « أما كان بامكان هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يرد الموت عنه ؟ » فجاش صدر يسوع ثانية وذهب الى القبر . وكان مغارة وضع على مدخلها حجر . فقال يسوع : « ارفعوا الحجر ! » قالت مرتا ، أخت الميت : « يا رب ، لقد أنتن ، فهذا يومه الرابع » .

قال لها يسوع : « ألم أقل لك انك ان آمنت ترين مجد الله ؟ » . فرفعوا الحجر ورفع يسوع عينيه وقال :

« شكرا لك ، يا أبت

على انك استجبت لى

وقد علمت

انك تستجيب لى دائما أبدا

ولكنى قلت هذا

من أجل الجمع المحيط بى

---

(١) المسيح ابن الله ، الآتى الى العالم . ليس هو عيسى عليه السلام ، والنص ههنا مقحم . للبس الحق بالباطل .

لكى يؤمنوا أنك أنت أرسلتنى »

قال هذا ثم صاح بأعلى صوته : « يا لعازر . هلم فاخرج » . فخرج الميت مشدود اليدين والرجلين بالعصائب ، ملفوف الوجه فى منديل . فقال لهم يسوع : « حلوه ودعوه يذهب » . فآمن به كثير من اليهود الذين جاؤوا الى مريم ورأوا ما صنع .

على أن أناسا منهم مضوا الى الفريسيين فأخبروهم بما صنع يسوع . فعقد عظماء الكهنة والفريسيون مجلسا ، وقالوا : « ماذا نعمل ؟ فان هذا الرجل يأتى بآيات كثيرة ، فاذا تركناه وشأنه آمنوا به جميعا ، فيأتى الرومانيون فيدمرون حرمنا وأمتنا » . فقال أحدهم قيافا ، وكان فى تلك السنة عظيم الكهنة : « أنتم تدركون شيئا ، ولا تفطنون أنه خير لكم أن يموت رجل واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة بأسرها » (يوحنا ١١ : ١—)

* * *

نص معجزة احياة « لعازر » من انجيل برنابا :

« ولبث يسوع يومين[1] فى بيت نيقوديموس ومضى فى اليوم الثالث الى بيت عنيا ولما قرب من المدينة أرسل أمامه[2] اثنين من تلاميذه ، ليخبروا مريم بقدومه فخرجت مسرعة من المدينة ولما وجدت يسوع قالت باكية : لقد قلت يا سيد : ان أخى لا يموت وقد صار له الآن أربعة أيام وهو دفين . ياليتك جئت قبل أن أدعوك ، لأنك لو فعلت : لما مات وأجاب يسوع : ان أخاك ليس بميت ، بل هو راقد . لذلك جئت لأوقظه ، أجابت مريم باكية : « يا سيد انه يستيقظ من هذا الرقاد يوم الدينونة ، متى نفخ ملاك الله ببوقه .

أجاب يسوع : صدقينى يا مريم انه سيقوم قبل ذلك ، لأن الله قد أعطانى قوة على رقاده ، والحق أقول لك : انه ليس بميت . فان الميت انما هو من يموت دون أن يجد رحمة من الله .

---

(١) يو ١١ : ٦ .　　(٢) مت ٢١ : ١ .

(٣) يو ١١ : ٢١—٢٦ .　　(٤) يو ١١ : ١١ .

فرجعت مريم مسرعة لتخبر أختها مرثا بمجى يسوع . وكان قد اجتمع عند موت « لعازر » جم غفير من اليهود ، من أورشليم ، وكثيرون من الكتبة والفريسيين ، فلما سمعت مرثا من اختها مريم ، عن مجىء يسوع قامت على عجل ، وأسرعت الى الخارج . فتبعها جمهور من اليهود والكتبة والفريسيين ، ليعزوها ، لأنهم حسبوا أنها ذاهبة الى القبر ، لتبكى أخاها . فلما بلغت مرثا المكان الذى كان قد كلم فيه يسوع مريم ، قالت باكية : يا سيد ليتك كنت هنا لأنك لو كنت ، لم يمت أخى .

ثم وصلت مريم باكية . فسكب من ثم يسوع العبرات ، وقال متنهدا : أين وضعتموه ؟ أجابوا : تعال وانظر ، فقال الفريسيون فيما بينهم : ولماذا سمح الرجل الذى أحيا ابن الأرملة فى نايين ، أن يموت هذا الرجل بعد أن قال انه لا يموت ؟

ولما وصل يسوع القبر حيث كان كل أحد يبكى قال : . لا تبكوا ، لأن لعازر راقد ، وقد أتيت لأوقظه . فقال الفريسيون فيما بينهم : ليتك ترقد أنت هذا الرقاد ، حينئذ قال يسوع ان ساعتى لما تأت ، ولكن متى جاءت ، أرقد كذلك . ثم أوقظ سريعا . ثم قال يسوع أيضا : ارفعوا الحجر عن القبر . قالت مرثا : يا سيد لقد أنتن ، لأن له أربعة أيام ، وهو ميت قال يسوع : اذا لماذا جئت الى هنا يا مرثا ؟ الا تؤمنين بأنى أوقظه ، قالت مرثا : أعلم أنك قدوس الله ، الذى أرسلك الى هذا العالم . ثم رفع يسوع يديه الى السماء ، وقال : أيها الرب انه ابراهيم واله اسماعيل واسحق واله آبائنا أرحم مصاب هاتين المرأتين وأعط مجدا لاسمك المقدس ولما أجاب كل واحد : آمين ، قال يسوع بصوت عال :

لعازر هلم خارجا .

فقام على اثر ذلك الميت ، وقال يسوع لتلاميذه : حلوه لأنه كان مربوطا بثياب القبر ، مع منديل على وجهه كما اعتاد آباؤنا أن يدفنوا

---

(١) ا ع ٢٤:٥ .

موتاهم . فآمن بيسوع جم غفير من اليهود ، وبعض الفريسيين ، لأن الآية كانت عظيمة .

وانصرف الذين لبثوا بدون ايمان ، وذهبوا الى أورشليم ، وأخبروا رئيس الكهنة بقيامة لعازر ، وأن كثيرين صاروا ناصريين[١] . لأنهم هكذا كان يدعون الذين حملوا على التوبة ، بواسطة كلمة الله التى بشر بها يسوع .

فتشاور الكتبة والفريسيون مع رئيس الكهنة ، ليقتلوا لعازر ، لأن كثيرين رفضوا تقاليدهم وآمنوا بكلمة يسوع لأن آية لعازر ، كانت عظيمة اذ أن لعازر حدث الشعب وأكل وشرب ، ولكن لما كان قويا ، وله أتباع فى أورشليم وممتلكا مع أختيه المجدل وبيت عنيا ، لم يعرفوا مـاذا يفعلون .

ودخل يسوع بيت لعازر فى بيت عنيا ، فخدمته مرثا ومريم وكانت مريم ذات يوم جالسة عند قدمى يسوع ، مصغية الى كلامه ، فقالت مرثا ليسوع : ألا ترى يا سيدى أن أختى لا تهتم بك ولا تحضر ما يجب أن تأكله أنت وتلاميذك ؟ ، أجاب يسوع : مرثا مرثا . تبصرى فى ما يجب أن تفعلى، لأن مريم قد اختارت نصيبا لن ينزع منها الى الأبد .

وجلس يسوع على المائدة مع جم غفير من الذين آمنوا به . وتكلم قائلا : أيها الاخوة لم يبق لى معكم سوى هنيهة من الزمن ، لأنه اقترب الزمن الذى يجب فيه أن أنصرف من العالم[٣] لذلك أذكركم بكلام اللـه الذى كلم به حزقيال[٤] النبى قائلا : « لعمرى أنا الهكم الأبدى : أن النفس التى تخطىء تموت ولكن اذا تاب الخاطىء لا يموت ، بل يحيا » وعليه فان الموت الحاضر ليس بموت ، بل نهاية موت طويل ، كما ان الجسد متى انفصل عن الحس فى غيبوبة ، فليس له ميزة على الميت والمدفون — وان

---

(١) يو ١٢ :١٠ .
(٢) ١٠ :٣٨—٤٢ .
(٣) يو ٢٣ :٣٢ .
(٤) حز ١٨ :٢٠ الخ

كانت فيه النفس — سوى أن المدفون ينتظر الله ليقيمه أيضاً . والفاقد الشعور ينتظر عود الحس فانظروا اذا الحياة الحاضرة التي هي موت اذ لا شعور لها بالله .

من يؤمن بي لا يموت أبديا لأنهم بواسطة كانوا يعرفون الله فيهم . ولذلك يتممون خلاصهم .

ما الموت سوى عمل تعمله الطبيعة بأمر الله ، كما لو كان أحد ممسكا عصفورا مربوطا وأمسك الخيط في يده ، فاذا أراد الرأس انفلات العصفور فماذا يفعل ؟ من المؤكد : أنه بالطبع يأمر اليد بالانفتاح ، فيفلت العصفور توا ، ان نفسنا ما لبث الانسان تحت حماية الله هي — كما يقول النبي داود — كعصفور أفلت من شرك الصياد ، وحياتنا كخيط تربط النفس الى جسد الانسان وحسه . متى اراد الله وأمر الطبيعة أن تنفتح ، انتهت الحياة وانفلتت النفس الى أيدي الملائكة ، الذين عينهم الله لقبض النفوس .

لذلك لا يجب على الأصدقاء أن يبكوا متى مات صديق ، لأن الهنا أراد ذلك ، بل ليبك بدون انقطاع متى أخطأ ، لأن النفس تموت اذ تنفصل عن الله ، وهو الحياة الحقيقية ، فاذا كان الجسد بدون اتحاده مع النفس هائلا ، فان النفس تكون أشد هولا بدون اتحادها مع الله ، الذي يجملها ويحميها بنعمته ورحمته ، ولما قال يسوع هذا ، شكر الله .

فقال حينئذ لعازر : يا سيد هذا البيت لله خالقي ، مع كل ما أعطى لعهدتي ، لأجل خدمة الفقراء ، فاذا كنت فقيرا وكان لك عدد كثير من التلاميذ ، تعال واسكن هنا متى شئت وما شئت . فان خادم الله يخدمك كما يجب ، حبا في الله .

لما سمع يسوع هذا ، سر وقال : انظروا الآن ما أطيب الموت . ان لعازر مات مرة فقط ، وقد تعلم تعليما لا يعرفه أحكم البشر في العالم ،

---

(١) يو ١١:٢٦ .
(٢) فيلبي ٣:١٢ .
(٣) مز ١٢٤:٧

الذين شاخوا بين الكتب ، ياليت كل انسان يموت مرة فقط ، ويعود ليتعلم مثل لعازر ، ليتعلموا كيف يحيون ، أجاب يوحنا : يا معلم أيؤذن لى أن أتكلم كلمة ؟ أجاب يسوع : قل ألفا لأنه كما يجب على الانسان أن يصرف أمواله فى خدمة الله ، هكذا يجب عليه أن يصرف فى التعليم ، بل يكون هذا أشد وجوبا عليه ، لأن للكلمة قوة على أن تحمل نفسا على التوبة على حين أن الأموال لا تقدر أن ترد الحياة للميت ، وعليه فان من له قدرة على مساعدة فقير ، ثم لم يساعده حتى مات الفقير جوعا فهو قاتل . ولكن القاتل الأكبر هو من يقدر بكلمة الله على تحويل الخاطىء للتوبة . ولم يحوله ، بل يقف كما يقول الله . ككلب أبكم . ففى مثل هؤلاء يقول الله : « أيها العبد الخائن إمنك أطلب نفس الخاطىء ، الذى يهلك ، لأنك كتمت كلمتى عنه »[1] .

فعلى أية حال اذا يكون الكتبة والفريسيون . الذين معهم المفتاح ولا يدخلون ، بل يمنعون الذين يريدون الدخول فى الحياة الأبدية ؟ ستأذننى يا يوحنا أن تتكلم كلمة وأنت قد أصغيت الى مئة ألف كلمة من كلامى . الحق أقول لك : انه يجب على أن اصغى الك عشرة أضعاف ما أصغيت الى . وكل من يصغى الى غيره ، فهو يخطىء . كلما تكلم ، لأنه يجب أن نعامل الآخرين بما نرغب فيه لأنفسنا ، وأن لا نعمل للآخرين ما لا نود وصوله الينا .

* * *

حينئذ قال يوحنا : يا معلم لماذا لم ينعم الله على الناس بأن يموتوا مرة ، ثم يرجعوا ، كما فعل لعازر ليتعلموا أن يعرفوا أنفسهم وخالقهم ؟ .

أجاب يسوع : ما قولك يا يوحنا فى رب بيت اعطى أحد خدمه فأسا صحيحة ليقطع غابة حجبت منظر بيته ، ولكن الفاعل نسى الفأس ، وقال : لو أعطانى السيد فأسا قديمة ، لقطعت الغابة بسهولة ؟ قل لى يا يوحنا ماذا قال السيد ؟ حقا انه حنق ، وأخذ الفأس القديمة ، وضربه على الرأس

(١) اش ٥٦ : ١٠ .

قائلا : أيها الغبى الخبيث لقد أعطيتك فأسا تقطع بها الغابة ، بدون كد . افتطلب الآن هذه الفأس التى يضطر معها المرء الى كد عظيم ، و تل ما يقطع بها يذهب سدى ولا ينفع لشيء ؟ انى أريد أن تقطع الخشب على طريقة يكون معها عملك حسنا . أليس هذا صحيح ؟

أجاب يوحنا : انه لصحيح كل الصحة حينئذ قال يسوع : يقول الله لعمرى أنا الأبدى انى أعطيت فأسا جيدة لكل انسان . وهى منظر دفن الميت ، فمن استعمل هذه الفأس جيدا ازالوا غاية الخطيئة من قلوبهم بدون ألم . فهم لذلك ينالون نعمتى ورحمتى وأجزيهم الحياة الأبدية ، بأعمالهم الصالحة . ولكن من ينسى أنه فان ، مع أنه يرى المرة بعد المرة غيره يموت، فيقول : لو اتيح لى رؤية الحياة الأخرى لعملت أعمالا صالحة ، فان غضبى يحل عليه ، ولأضربنه بالموت حتى لا ينال خيرا فيما بعد .

ثم قال يسوع : يا يوحنا ما أعظم مزية من يتعلم من سقوط الآخرين كيف يقف على رجليه ؟

* * *

حينئذ قال لعازر : يا معلم الحق أقول لك : انى لا أقدر أن أدرك العقوبة التى يستحقها من يرى المرة بعد المرة الموتى ، تحمل الى القبر ، ولا يخاف الله خالقنا . فان مثل هذا لأجل الأشياء العالمية التى يجب عليه تركها المرء ، يغضب خالقه الذى منحه كل شيء .

فقال حينئذ يسوع لتلاميذه : تدعوننى معلما . وتعملون حسنا لأن الله يعلمكم بلسانى ، ولكن كيف تدعون لعازر ؟ حقا انه هنا لمعلم كل المعلمين الذين يبثون تعليما فى هذا العالم . نعم اننى علمتكم كيف يجب أن تعيشوا حسنا . وأما لعازر فيعلمكم كيف تموتون حسنا . لعمر الله . انه قد نال موهبة النبوة . فاصغوا اذا لكلامه الذى هو حق . ويجب أن تكونوا أشد اصغاء اليه بالأحرى ، لأن المعيشة الجيدة عبث ، اذا مات الانسان ميتة . رديئة .

* * *

قال لعازر : يا معلم أشكر لك أنك تجعل الحق يقدر قدره ، لذلك يعطيك الله أجرا عظيما .

حينئذ قال الذى يكتب هذا : يا معلم كيف تقول لعازر انحق بقوله لك : سننال أجرا ، مع أنك قلت لنيقوديموس : ان الانسان لا يستحق شيئا سوى العقوبة ؟ أفيقاصك الله اذا ؟

أجاب يسوع : عسانى أن أنال من الله قصاصا فى هذا العالم ، لأنى لم أخدمه باخلاص كما كان يجب على أن أفعل ولكن الله أحبنى برحمته حتى أن كل عقوبة رفعت عنى ، بحيث أنى اعـذب فى شخص آخر فانى كنت أهلا للقصاص ، لأن البشر دعونى الها .

ولكن لما كنت قد اعترفت . لا بأنى لست الها فقط ـ كما هو الحـق ـ بل اعترفت أيضا : انى لست مسيا .

فقد رفع الله لذلك العقوبة عنى . وسيجعل شريرا يكابدها ، باسمى ، حتى لا يبقى منها لى سوى العار .

* * *

لذلك أقول لك يا برنابا : أنه متى تكلم انسان عما سيعطيه الله . نقريبه ، فليقل : ان قريبه يستأهله . ولكن لينظر متى تكلم عما سيعطيه الله اياه ، أن يقول : ان الله سيهب لى . ولينظر جيدا ان لا يقول : انى أستأهل . لأن الله يسر أن يمنـح رحمتـه لعبيده ، متى اعترفوا انهم يستأهلون الجحيم ، لأجل خطاياهم .

ان الله لغنى برحمته . حتى أن دمعة واحدة ممن ينوح لاغضابه الله ، تطفىء الجحيم كله ، بالرحمة العظيمة ، التى يمده الله بها ، على ان ميـاه ألف بحر ـ لو وجدت ـ لا تكفى لاطفاء شرارة من لهب الجحيم ، فلذلك يريد الله ـ خذلا للشيطان ، واظهارا لجـوده هـو ـ أن يحسب فى حضرة رحمته كل عمل صالح ، أجرا لعبده المخلص . ويجب منه أن يعامل غيره هكذا . اما الانسان فى خاصة نفسه . فعليه أن يحذر من قـول : لى أجر . لأنه يدان » (برنابا ١٩٣ :١ـ) .

* * *

الفرق بين رواية يوحنا ورواية برنابا فى معجـزة شـفاء الأكمه

فى نهاية حديث برنابا عن هذه المعجزة ، روى اعتراف عيسى عليه السلام بأنه ليس هو « المسيا » الآتى الى العالم . فقد حكى على لسانه عليه السلام : « ولما كنت قد اعترفت . لا بأنى ... انها فقط — كما هو الحق — بل اعترفت أيضا : أني لست مسيا » .

وفى نهاية حديث يوحنا . قال المحرفون : ان يسوع قال للأكمة : « أتؤمن بابن الله ؟ أجاب ذاك ، وقال : من هو يا سيد ، لأؤمن به ؟ فقال له يسوع : قد رأيته . والذى يتكلم معك هو هو » وفى ترجمة : « أتؤمن أنت بابن الانسان ؟ أجاب : ومن هو يارب ، فأؤمن به ؟ قال له يسوع : قد رأيته . هو الذى يكلمك » .

فبرنابا أثبت : أن يسوع ليس هو النبى الآتى الى العالم . ويوحنا للعوام — حسب المكتوب — أثبت : أن يسوع هو النبى الآتى الى العالم . وأثبت للعلماء أن لقب « ابن الانسان » هو نفسه لقب « ابن الله » وهو نفسه لقب « المسيح » وهو نفسه لقب « النبى الآتى الى العالم » ونفى صفة الملك عن « يسوع » ليبين للعلماء أنه ليس هو النبى الآتى الى العالم .

* * *

ورواية برنابا لا لبس فيها . وذلك لأن من أوصـاف « ابن الله » فى المزمور الثانى أن يكون ملكا ، ومن أوصافه عند دانيال : أنه يأتى بعد مملكة الروم . وهى المملكة الرابعة فى نبوءة دانيال . ومن كلام داود عنه : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف ، تكسرهم » .

« أما أنا فقد مسحت ملكى » .

وعيسى عليه السلام لم يكن ملكا ، ولم يحارب ، ولم ينتصر . فقد روى يوحنا : « وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ، ويختطفوه ، ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا الى الجبل وحده » (يو ٦:١٥) فضلا عن

أنه هو من بنى اسرائيل ، والنبى الآتى لن يقـــوم فى بنى اسرائيل (تث ١٨: ١٥ــ٢٢ تث ٢٤: ١٠ــ١٢) .

* * *

ومن ذلك تعلم : أن الأناجيل الأربعة محرفة من أجل محمد رســول الله صلى الله عليه وسلم فعيسى عليه السلام بشر به ، وكتب عنه . والمحرفون لبسوا الحق بالباطل .

فانهم حذفوا اسمه الصريح ، ووضعوا بدل اسمه ، الألقاب الدالة عليه وهى :

ــ « ابن الله »

ــ « الكلمـة »

ــ « عبد الرب »

ــ « المسـيا »

ــ « المسيح »

ــ « البـار »

ــ « سيد الحياة »

ــ « ابن داود »

ــ « المعزى » ... الخ .

وبعد ذلك لبسوا الحق بالباطل فى الألقــاب . أى أنهم عملوا ثلاثة أشـياء :

١ ــ حذفوا الاسم الصريح ووضعوا بدله كلمة تدل عليه . وقد تدل على آخر ، أو صفة .

٢ ــ عبروا عن محمد بألقاب التوراة عنه .

٣ ــ ثم لبسوا الحق بالباطل فى الألقاب .

وتحريفهم لكتاب ربهم هو دليل على ارتدادهم عن الدين . والمرتد ــ بحكم كتابهم ــ جزاؤه القتل .

---

(١) راجع كتابنا المسيا المنتظر ــ نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة . وكتاب الاعلام بما فى دين النصــارى من الفساد والأوهام المنسوب للقرطبى ــ نشر دار الثقافة العربية .

رد على كتاب مسيحى يطعن فى القرآن الكريم

الفرق بين النصرانية والمسيحية

القسيس صموئيل مشرقى رزق .

دخل فى زمرة الطاعنين[١] فى القرآن ، من النصارى . وهأنذا أرد عليه طعنه .

أولا : الفــرق بين النصرانى والمسيحى

يقول : « انه من نكد الدنيا على المسيحيين : أن أطلقوا عليهم منذ الفتح العربى اسم « نصارى » على خــلاف الحقيقة » وقال : ان اســم « نصارى » يطلق على فرقة من اليهود ، آمنت بعيسى على السلام على أنه رسول المسيح المنتظر ، لا أنه هو المسيح المنتظر[٢] وعملت بشريعة التوراة وذابت فى المسلمين . وان اســم « مسيحيين » يطلق على كل من يؤمن بعيسى على أنه الاله ، أو اله ، ويؤمن بأنه لا يصح العمل بشريعة التوراة ، ويؤمن أيضا مع ذلك بأن عيسى هو النبى الذى أنبأت التوراة عن ظهوره عوضا عن موسى عليه السلام . النبى الأمى المماثل لموسى . المعروف فى العالم بالمســيا المنتظر ، أو المسيح الرئيس .

الــرد عليــه :

ان لقب نصارى . حمله عيسى عليه السلام وتفاخر به ، وحمــله أتباعه فى حياته ، وتفاخروا به . وما يزال النصارى ــ الذين يلقبون زورا بالمسيحيين ــ يحملونه ويتفاخرون به الى هذا اليوم .

---

(١) صدر عن الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى ــ ٨ شـــارع أحمد باشا كمال بجزيرة بدران ــ شبرا ــ القاهرة ــ الكتاب الثانى والثمانون

(٢) سيذكر القسيس : أن من كتب فرقة النصارى انجيل برنابا .

وذلك لأن كلمة « هانصرى » العبرانية . هى لقب محتقر . يطلقه علماء بنى اسرائيل على الخارج على آرائهم • وقد أطلقوه على عيسى عليه السلام فافتخر به ، نكاية فيهم • وقد ورد هذا فى كتب تفسير الأنجيل[٣] اليوم على مذهبه • فكيف يقال : ان المسيحيين غير النصارى[٤] ؟

ولقب « يسوع الهانصرى » تحرف الى « يســوع الناصرى » ففى سفر الأعمال : « وأنتم تعلمون الأمر الذى جرى فى اليهودية كلها ، وكان بدؤه فى الجليل ، بعد المعمودية التى نادى بها يوحنا ، فى شــأن يسوع الناصرى ، كيف أن الله مسحه بالروح القدس والقدرة فمضى من مكان الى آخر ، يعمل الخير ، ويبرىء جميع الذين استولى عليهم ابليس ، لأن الله كان معه » (أع ١٠ :٣٧ــ٣٨) .

وفى سفر الأعمال ورد اتهام لبولس . وهو : « وجدنا هذا الرجل آفة من الآفات . يثير الفتن بين اليهود كافة فى العالم أجمع ، وأحد أئمة شيعة النصارى » (أع ٢٤ :٥) هذه ترجمة دار المشرق ببيروت . وأمــا ترجمة البروتستانت فهى : « فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ، ومهيج فتنة بين جميع اليهــود الذين فى المسكونة ، ومقدام شيعة الناصريين » فقوله فى ترجمة « شيعة النصارى » هو نفسه المراد من « شيعة الناصريين » وقد افتخر بولس بأنه أحد أئمة النصارى . والمسيحيون كلهم الى هــذا اليوم على مذهبه . فكيف يقال: ان المسيحيين غير النصارى »[٤] ؟

يقول بولس : « على أنى أقر : بأنى أعبد اله آبائى ، على الطريقة التى يزعمون أنها شيعه ، وأؤمن بكل ما جاء فى الشريعة وكتب الأنبياء » (أع ٢٤ :١٤) . فقد أقر « بولس » بأنه يعبد الله تعالى على الطـريقة التى يقال عنها انها « شيعة » وأقر بأن « شيعة » هى الناصريين ، وليست للفريسيين ، أو الصدوقيين . فقد ورد فى الكتب : أن « شيعة » معناها :

(٣) راجع كتاب البشارة ــ وأيضا تفسير متى ، لمتى هنرى . وتعليق ترجمة دار المشرق فى بيروت على سفر الأعمال ٢٤ : ١٤ .

(٤) تقدر أن تقول : ان : المسيحيين غــير النصارى اذا قرأت كتابنا « المسيا المنتظر » .

مذهب فى تفسير الدين ، عليه طائفة من الناس . وأن طائفة الفريسين ، أطلق عليها « شيعة » من شيع اليهود (أعمال ٥:١٥) وأن طائفة الصدوقيين أطلق عليها « شيعة » من شيع اليهود (أعمال ١٧:٥) والذين اتبعوا عيسى عليه السلام أطلق عليهم « شيعة » من شيع اليهود . يقول المعلقون على ترجمة دار المشرق سنة ١٩٨٩ تحت كلمة « وأحد أئمة شيعة النصارى » ما نصه : « تسمية جديدة للمسيحيين (راجع أع ٢٦:١١) والكلمة التى ترجمها بـ « شيعة » (راجع الآية ١٤) تستعمل فى شأن الصدوقيين (أع ١٧:٥) والفريسيين (أع ٥:١٥) والمراد بها هنا : هو التحقير . هذه هى المرة الوحيدة التى يسمى فيها المسيحيون « نصارى » على مثال يسوع » أ.هـ .

ومذهب الفريسيين هو التظاهر بالغيرة على التوراة ، والتصريح ببعث الأموات الى حياة فيها مجازاة على الأعمال . ومذهب الصدوقيين هو انكار البعث والملائكة . ومذهب النصارى هو قولهم بأن النبى المنتظر هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن العمل بالتوراة واجب الى حين ظهوره ، وبعد أربعمائة سنة تقريبا تحرف لقبهم الى « المسيحيين » أى أن النبى المنتظر هو المسيح عيسى بن مريم ، وأن العمل بالتوراة كعدمه .

ثانيا : الجذور التاريخية المشتركة للديانة الكتابية

يقول : « هناك اجماع بأن الدين لابد من أن يكون واحدا » هذا قوله . وأبينه له ، فأقول : الدين يتكون من جزأين . الأول : العقائد . والآخر : التشريعات . والعقائد تختلف عن التشريعات فالتشريعات تقبل النسخ والتبديل . والعقائد لا تقبل النسخ والتبديل . فالاعلان عن أن خالق العالم هو الله وحده بدأ من آدم عليه السلام ، وقال به نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم السلام ـ وهذا الاعلان لم ينسخ ولم يبدل . فنكاح الأخت كان مباحا فى زمان آدم ونوح وابراهيم .

وصار محرما فى شريعة موسى ومن أتى من بعده . وهذا تشريع قد قبل النسخ والتبديل .

وقال هذا القسيس : ان الاعلان عن الله الواحد . قد بدأ باليهودية وأن موسى كليم الله هو الذى أعطى التوحيد شكله القانونى .

ولو كان قوله صحيحا ، لكان الأنبياء من قبل موسى ساكتين عن بيانه . وهذا لا تصرح به التوراة ، ولا الآثار المكتشفة فى العالم . فان « ملكى صادق » قال : « مبارك أبرام ، من الله العلى ، مالك السموات والأرض » (تك ١٤ : ١٩) وأن أبرام — الذى هو ابراهيم عليه السلام — « دعا باسم الرب » (تك ١٢ : ٨) .

* * *

وقال هذا القسيس : « ان فى اعلان المسيح بأنه لم يأت لكى ينقض الناموس أو الأنبياء تأكيدا بأن المسيحية لم تكن ناسخة أو مبطلة لليهودية ، وانما هى مكملة لها » .

قوله بأن المسيحية(٥) لم تكن ناسخة أو مبطلة لليهودية . فيه نظر . وليسأل أولا : ماذا تعنى بالمسيحية ؟ ان كنت تعنى النصرانية الى زمان مجمع نيقية . فالنصرانية لم تكن ناسخة ولا مبطلة . ولا مكملة . وانما هى مفسرة ومصححة وداعية الى مجىء المكمل بقولها «حتى يكون الكل»

ونصوص الأناجيل تدل على ذلك . وإن كنت تعنى المسيحية التى عليها النصارى من نيقية سنة ٣٢٥ م الى هذا اليوم . فهل أنتم تعملون بالتوراة ؟ ان المنسوب الى بطرس أنه أقر العمل بأحكام أربعة منها . وان المنسوب الى بولس أنه ألغى أحكامها كلها . وجعل التبرير بالايمان بدم يسوع ، لا بالعمل بأحكام الناموس . وأنتم أيها المسلمون

---

(٥) لقب المسيحيين ، شاع فى العالم على طائفة النصارى . الذين زعموا بأن النبى المماثل لموسى هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . فليعد العالم النظر فى نصوص التوراة التى تدل على النبى المماثل لموسى . وانه يلقب بالمسيح ، وبالمسيا ، وبالنبى ، ليعرف من هو ؟

وبالتالى ، ليعرف أتباعه من هم ؟

بالمسيحيين ، أنتم مقيمون على آراء بولس • وهو نسـخها وابطلها • فلمـاذا الخداع ؟••

وقولكم بأن المسيحية مكملة ، هو قول باطل • وذلك لأنه اذا كان الانجيل مكملا للتوراة ، فان تكميله يكون فى الشرائع لا فى العقائد • والحال أنه ليس فى الانجيل شرائع حتى يقال انها مكملة • والذى فيه : هو أن النبى المنتظر المكتوب عنه فى سفر التثنية • يجتهد عيسى مع يوحنا المعمدان فى ايضاح صفاته ، وبيان علامات زمانه ، واظهار حقيقة ملكوته • وان كان قوالكم فى التكميل صحيحا • فأرونا أعمالكم على وفق التوراة أولا • ثم أرونا أعمالكم بالتشريعـات المكملة • وأنتم لن تعملوا ، ولن تظهروا •

ثالثا : التـدرج فى الأديـان

يقول القسيس : « ولقد كان من الطبيعى : أن يجىء اعلان الوحى المكتوب متدرجا — أى على مراحل يكمل بعضها بعضا » (اش ٢٨:١٠) — وذلك كان أمرا منتظرا ؛ لأن البشرية لم تنضج نضوجا تاما دفعة واحـدة ، فكان من المنتظر مرور وقت كاف ، الى أن ينضج عقل البشر ، فيتم حينئذ الاعلان ، ويهتدى البشر بنور الوحى كاملا •

واذ قد تم ذلك ، فاننا نجد أجزاء ذلك الاعلان الالهى قد تكاملت الآن ، وأصبح يتكون منها دين الوحى — وهو اعلان الوحى المكتوب فى التوراة والانجيل — والذى لا مجال فيه لتطور مزعوم ، يلحق به ؛ تمشيا مع نظرية تعاقب الأديان ، الأمر الواضح البطلان فى ضوء « الاعـلان التدريجى » لدين واحد • والا لمـا ثبتت شريعة الوحى ، ولامتنع على البشر التحقق من الهداية ، مما يظهر معه بطلان الادعاء بتـأخير هـذه الهداية الى ما بعد عصر التوراة والانجيل • مما يقال فيه : انه جاء لينسخهما ويبطلهما • وهذا ادعاء لا يقوم على أساس • اذ أنه فى ضوء ما ذكرناه ، يفتقر الى أى دليل أو برهان ، ليثبته » اهـ بنصه •

الـرد عليـه :

١ ــ ما المراد باعلان الوحى المكتوب ؟ وما معنى التدرج ؟ هل هو فى الشريعة الواحدة ، أم فى الشرائع كلها الى ان تتم ؟

الوحى المكتوب يشتمل على (أ) عقـائد (ب) وتشريعات . فهـل التدرج يكون فى العقائد أم يكون فى التشريعات ؟ لا يمكن أن يكون فى العقائد ؛ لأنهـا موروثة من الأب الأول والأم الأولى . وهمـا آدم وحواء . ومكتوبة فى صحف ابراهيم وموسى . وفى هـذا المعنى يقول ملاخى : « أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس اله واحد خلقنا ؟ » (ملا ٢:١٠) والذى قال به آدم ونوح وابراهيم هو نفسه الذى قال به موسى وعيسى ومحمد ــ عليهم السلام ــ .

وهل التدرج فى التشريعات ؟ ثابت من التوراة : أنه كان لنوح شريعة فيها حل جميع الأطعمة ماعدا لحم الانسان . وان شريعـة التوراة قـد نسختها . والانجيل ليس بناسخ للتوراة . فقد قال عيسى عليه السلام : « لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لانقض ، بل لاكمل » أى لأصحح . كما هو فى الأصل اليونانى .

وعلى هذا يكون التدرج من خفيف الى ثقيل . خفيف عند نوح عليه السلام كما هو مبين فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين ، وثقيل عند موسى عليه السلام كما هو مبين فى رسائل بولس . وفى القرآن أيضا . فما هو المـانع من عودة الثقيل الى الخفيف ؟ ليس من مانع . وليس من الحق أن يقال : ان العقل البشرى لم يكن ناضجا فى عهد نوح . واكتمل نضجه فى عهد موسى . ولهذا الاكتمال كانت التوراة « موعظة وتفصيلا لكل شىء » وذلك لأن العقل البشرى هو هو من آدم الى هذا اليوم . ففى المجتمع الواحد عالم وجاهـل وذكى وغبى ، وباحث عن العلم ، ومعرض عنه ، وقابل للحق ، ورافض له . وشريعة موسى لم تكن لبنى اسرائيل من دون الناس حتى يقال : ان ثقلها كان لهم من دون الناس . وانما كانت لهم

وللأمم . كانت لليهود وللساكنين بينهم • أو على حد تعبير الانجيل : لليهود والدخلاء •

وقد حرم الله أشياء لم ينزل فى تحريمها نص • وذلك لأنهم لما ظلموا أنفسهم ، سلط عليهم علماءهم ، فشددوا عليهم بآرائهم أحكام الشريعة • مثل قولهم : لا يصح الأكل الا بأيادى مغسولة . ولا يعمل انسان عملا ما فى يوم السبت ، حتى ولو كان عمل خير •

وانما من الحق أن يقال : ان الله أراد للناس من زمان نوح كذا ، وأراد للناس من زمان موسى كذا ، وأراد للناس من زمان محمد كذا • لأمر هو يعلمه . فيه صلحة للمكلفين ، وهو قادر على أن يجعل ليسير عسيرا فى زمان الشريعة الواحدة • للمكلف الواحد • فالذى يطلب الشدة فى الدين • من السهل أن تلقى الوسوسة فى قلبه ، فيصبح اليسير عنده عسيرا . وفى هذا المعنى يقال : ان بنى اسرائيل شددوا فشدد الله عليهم • ويقال : فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى •

وقول هذا القسيس : ان الاعلان الالهى قد تكامل فى التوراة فى الانجيل ، هو قول باطل ، وذلك لأن الانجيل غير مكمل للتوراة لا فى عقائد ، ولا فى تشريعات ، والاعلان الالهى عن العقائد متكامل وواضح من قبل موسى ، وفى حياته . ففى التوراة : « أنا الرب الهك • لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » (خر ٢٠ : ٢ ــ ٣) وهذا يدل على نفى الشريك عن الله • وفى التوراة « لا مثل لله » (تث ٣٣ : ٢٦) وهذا يدل على نفى الشبه عن الله . وفى التوراة : أن الله لا يقدر أحد على رؤيته (خر ٣٣ : ٢٠) وهذا يدل على كمال التنزيه لله • فليسأل النصارى عن عقائدهم • وليحكم العالم بعد معرفتها عن صلتها بالتكميل . هل هى تكميل أم ابطال ؟ انهم يعتقدون فى التثليث ويصرحون به • ويعتقدون بأن الله له مثل ، وهو تجسده فى شكل المسيح ، ويعتقدون أن الله هو المسيح وقد قدر الناس على رؤيته • أليس هذا ابطال ؟ •

وقول هذا القسيس : « مما يظهر معه بطلان الادعاء بتأخير هـذه الهداية الى ما بعد عصر التوراة والانجيل .. الخ » يعنى به : أن دين الاسلام غير ناسخ للتوراة ، وليس هو من عند الله[٦] ، وقوله : « اذ أنه فى ضوء ما ذكرناه يفتقر الى أى دليل ، أو برهان ، ليثبته » يدل على جهله بالانجيل . فان فيه : أن عيسى والمعمـدان كانا يدعوان معـا الى اقتراب ملكوت السموات . وهـو ملك يتأسس على الأرض بعـد زوال الممالك الأربعة : بابل وفارس واليونان وأهل الروم . كما فى الاصحاح السابع من سفر دانيال .

---

(٦) من عدل الله تعالى فى اظهار التساوى بين بركة اسحق ، وبركة اسماعيل : أن جعل ممهدين لكل واحد من قبل ظهور بركته . وذلك ليسهل على الناس الدخول فى البركة . فابراهيم عليه السلام أخبر أبناءه بالبركة فى ولديه الكريمين اسماعيل واسحق . واسماعيل وبنوه وهم فى مكة كانوا يخبرون حجاج بيت الله الحرام من أهل العراق واليمن والشام ومصر وغيرهم بخبر البركة فى اسماعيل واسحق ، ويخبرون بأن بركة اسـحق ستبدأ أولا . وأبناء ابراهيم من قطورة ـ وهم سـتة ـ كانوا يخبرون فى ناحية الأردن . ونسل اسحق كانوا يخبرون فى أرض كنعان . ولذلك عرف العالم كله بقيام ملك الهى فى المستقبل . فى نسل اسرائيل ، وفى نسـل اسماعيل . ومن قبل ظهور موسى عليه السلام بنحو خمسمائة عام مهد الله لملكه ونبوته . فانه من ابراهيم الى اسرائيل نحـو مائتان وخمسـون . ومن اسرائيل الى موسى نحو مائتان وخمسون . وبنـو اسرائيل وهم فى مصر كانوا يخبرون المصريين بأن لهم ملك الهى ، سيظهر عما قريب . وكان كل نسل ابراهيم يخبرون بأن بنى اسرائيل لهم ملك الهى ، سـيظهر عما قريب . ويوسف عليه السلام كان أيضا يخبر « بالبينات » فى أرض مصر .

كما أخبر عيسى « بالبينات » عن محمد فى أرض فلسطين .

ونفس الحال من قبل محمد عليه السلام بما يقرب من خمسمائة عام . فان الله مهد له فى جميع الأمم عن طـريق يحيى وعيسى واتباعهما ، وعن طريق بنى اسماعيل الذين يتوارثون العـلم بملكهم ونبـوتهم من آبائهم وأجدادهم ، وعن طريق الأمم واليهود العارفين بالتوراة والخاشعين لله .

رابعا : الجذور التاريخية المشتركة فيما بين اليهودية والمسيحية

يقول القسيس : ان الجذور التاريخية المشتركة فيما بين اليهودية والمسيحية هى :

١ ـ التوحيد الالهى .

٢ ـ انتظار المسيا .

٣ ـ تقديس التوراة .

٤ ـ تقويم الأخلاق .

* * *

يقول : ان اليهودية اعلنت التوحيد لله . وأن المسيحية كشفت عن « سر الثالوث » هذا هو قوله .

الرد عليه :

١ ـ التوحيد الالهى :

كيف يكون التثليث مكملا للتوحيد ؟ وكيف يكون « سر الثالوث » مفسرا للتوحيد ؟ وكيف يكون التوحيد والتثليث من الجذور التاريخية المشتركة . وموسى قبل عيسى بسنين طويلة ؟ وما واحد منهما صرح بالتثليث ؟ وهل الذين ماتوا وقبروا من موسى الى عيسى كانوا على ضلال وكفر ؟ وما قاله موسى هو نفسه ما قاله عيسى . ففى انجيل مرقس : « فأجابه يسوع : ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد » (مرقس ١٢ : ٢٩) .

وان الارثوذكس يزعمون : أن « الله » انقلب الى « المسيح » فالمسيح هو نفسه الله ، والله هو نفسه المسيح . فأين التثليث ؟ انه واحد منقلب ـ على حد زعمهم ـ والواحد المنقلب هو توحيد ، وليس بتنزيه ، فالله

لا كفء له ولا مثل له . كما تصرح التوراة . فى سفر التثنية . ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « ليس مثل الله » .

وان الكاثوليك يزعمون : أن « الله » غير « المسيح » وهما معا غير « الروح » ومعلوم : أن الثلاثة هم غير الواحد . فأين التكميل ؟ أو أين التفسير ؟ انه لتناقض ، وليس بتكميل ، وليس بتفسير .

٢ — انتظار المسيا :

بينت التوراة : أن نبيا واحدا ، سيظهر من بعد موسى — عليه السلام — وله يسمع بنو اسرائيل ويطيعون فى كل ما يكلمهم به . وهذا النبى . يطلق عليه علماء بنى اسرائيل لقب « النبى » ولقب « المسيح » والمسيح فى بعض اللغات ، تنطق « المسيا » والمسيح أصله من المسح بدهن مقدس . وصار يعنى المصطفى من الله لأداء رسالة سامية . ولقب المسيح لقب معظم — عندهم — يطلقونه على « النبى » أو « العالم » أو « الملك » فكل نبى عندهم يأخذ لقب « مسيح » أو « مسيا » ولكن لا يأخذ لقب « المسيح » أو « المسيا » وذلك لأن « المسيح » أو « المسيا » لا يطلق الا على النبى الذى سيظهر من بعد موسى — عليه السلام — فالألف واللام للعهد . أى النبى المعروف بصفاته .

وعيسى عليه السلام نبى ومسيح أو مسيا . وليس هو « النبى المنتظر » الذى سيظهر من بعد موسى — عليه السلام — وهو نفسه — حسبما ورد فى الأناجيل — لم يعترف بأنه هو « المسيح المنتظر » وبين لليهود العبرانيين الذين يزعمون بأن المسيح سيأتى من نسل داود عليه السلام بأنه لن يأتى من نسل داود . لأن داود قال عنه فى سفر المزامير : أنه سيده ، والابن لا يكون سيدا لأبيه . وذكر أمثلة لملكوت السموات الآتى من بعده ، وبين علامات اذا حدثت فى العالم ، يأتى المسيح بعدها . منها قيام حروب بين الأمم وحدوث مجاعات وأوبئة وزلازل فى اماكن ، واضطهاد الأمم للنصارى ، وقيام أنبياء كذبة لاضلال الناس ، وانتشار الانجيل فى العالم . ثم تحدث رجسة خراب دانيال فى المكان المقدس . فى

« أورشليم » وعندئذ يتأسس ملكوت « ابن الانسان » الذى هو المسيح المنتظر نفسه .

وذلك قد بيناه ودللنا عليه فى كتاب « البشارة » .

* * *

والفرق كبير فى موضوع « المسيح المنتظر » الذى هو المسـيا . بين (أ) اليهود (ب) والنصارى الذين آمنوا بدعوة عيسى عليه السلام الى زمان مجمع نيقية (جـ) والنصارى من مجمع نيقية الى هـذا اليوم ــ النصارى الذين أخذوا لقب مسيحيين ــ .

وبيـان ذلك :

(أ) رأى اليهود فى المسيح المنتظر :

فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : « يقيم لك الرب الهك : نبيا ، من سطك ، من اخوتك ، مثلى ، له تسمعون » « أقيم لهم : نبيا ، من وسط اخوتهم مثلك ، واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه بـه » .

هذا هو النص على مجىء « النبى المنتظر » الذى يلقب عندهم بلقب « المسـيح » أو « المسيا » وهـذا النبى ــ حسب النص العبرى للتوراة ــ الى سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م . لم يكن قد ظهر ، لقوله : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى » ومن سبى بابل الى زمان المعمدان ويسوع ، لم يكن قد ظهر . ففى الأصحاح الأول من انجيل يوحنـا : ان علماء بنى اسرائيل ارسلوا وفدا منهم الى يوحنا ليسألوه : هل أنت النبى المنتظر ؟ وأجاب بقوله : لست أنا اياه . يأتى بعدى من هو أقوى منى ؛ الذى لست أهلا ، لأن انحنى واحل سيور حذائه . وفى انجيل برنابا : أن الوفد كان لعيسى عليه السلام وأجاب باجابة يوحنا . ومن كلامه : « أجاب يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يدى ، تظهر انى اتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست أهلا

أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله . الذى تسمونه مسيا » (بر ٤٢ : ١ ت) .

وعيسى ويوحنا المعمدان . قالا : انه سيظهر من بعدنا . وقد ظهر وهو محمد رسول الله عليه وسلم .

واليهود كفروا به . وهم الى اليوم فى انتظاره ، ويزعم العبرانيون منهم : أنه سيأتى من نسل داود عليه السلام ويزعم السامريون منهم بأنه سيأتى من سبط يوسف عليه السلام . وهم الى هذا اليوم يتمسكون بالتوراة ويتظاهرون بتقديسها ، والعمل بها ، ويصرحون فى ارجاء العالم باننا ننتظر « المسيح » كما كانوا يصرخون من قبل ، ويستفتحون به على الذين كفروا ، قائلين : انه اذا ظهر سيكون ملكا ، وبه سنفتح بلاد الأمم ، ونرث أرضهم وديارهم . يقول القسيس صموئيل مشرقى : « كان انتظار المسيا هو أعظم أمنية لدى اليهود — وقد أضحى هذا الأمل المسيانى شائعا ، فى ارجاء العالم الرومانى — فى زمان ما قبل مجىء يسوع المسيح ، بفضل اعلان اليهود عنه باصرار وثبات » .

(ب) رأى النصارى فى المسيح المنتظر الى زمان مجمع نيقية :

وقد فسر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نص التوراة عن النبى الآتى ، المماثل لموسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ببيانه : أن الله لما عاهد ابراهيم بالسير أمامه ، والتزم بالعهد وسار . وحطم الأوثان وبنى لله مساجد . طلب منه أن يسير نسل اسماعيل ابنه أمامه بين الناس ، كما سار هو ، فاستجاب له . واستجاب له فى اسحق ايضا . ففى سفر التكوين : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه » وكما سار نسل اسحق امامه من نبى صاحب شريعة ، يسير نسل اسماعيل أمامه من نبى صاحب شريعة .

وأخذ عيسى عليه السلام نبوءات أسفار الأنبياء عن النبى الآتى ،

المماثل لموسى ، وطبقها على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك واضح من دعوته الى اقتراب ملكوت السموات ، فان أصله من سفر دانيال ، ومن حديثه عن المبارك الآتى باسم الرب ، فان أصله من سفر الزبور • ومن تطبيقه نبوءة العبد المتألم المذكورة فى سفر اشعياء على النبى الآتى . كما هو مبين فى انجيل يوحنا عند قوله : « انه مكتوب فى الأنبياء : ويكون الجميع متعلمين من الله » •

ومن بعد رفع المسيح عيسى الى السماء ، كان اتباعه ينتظرون المملكة المسيانية على الأرض (أعمال ١ : ٦) •

فالفرق بين اليهود وبين اتباع عيسى الأمناء هو فى « النبى المنتظر » فقط • فاليهود يعظمون التوراة ويعملون بها وينتظرون « المسيح » على أنه منهم • واتباع عيسى الأمناء يعظمون التوراة ويعملون بها ، وينتظرون « المسيح » على أنه من نسل اسماعيل عليه السلام • واتباع عيسى — عليه السلام — كانوا من اليهود ، ومن الدخلاء فى دين اليهود من الأمم •

(ج) رأى النصارى(٧) فى « المسيح المنتظر » من زمان مجمع نيقية الى هذا اليوم :

والاتباع الأمناء لعيسى عليه السلام من اليهود • كانوا يسمون بالنصارى • ولا يسمون بالمسيحيين • وذلك لأن « المسيح » لقب للنبى المنتظر ، وهو لم يظهر بعد • وليس هو عيسى — عليه السلام — بل محمد صلى الله عليه وسلم • يدل على ذلك :

(أ) ما رواه متى فى انجيله هو وغيره من أن عيسى عليه السلام قال فى آخر حديثه عنه : « حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا ، أو هناك ، فلا تصدقوا ، لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة » —

---

(٧) نعنى بالنصارى من زمان مجمع نيقية . نعنى بهم : النصارى الذين تسموا باسم المسيحيين زورا .

« ولا تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد : المسيح » أى تمسكوا بكتاب موسى ، ولا تضعوا من عندكم تشريعات ، لأن المعلم هو النبى الآتى ، الملقب بالمسيح . وفى لوقا بعد ذكر علامات تظهر فى العالم : « هكذا أنتم ايضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا : أن ملكوت الله قريب » وحكى كتاب الأناجيل : أن عيسى عليه السلام سأل علماء الفريسيين : « ماذا تظنون فى المسيح ؟ » أى النبى الآتى ، من أى نسل سيأتى ؟ « ابن من هو ؟ » أى من أى نسل سيظهر ؟ فأجابوا بقولهم : من نسل داود . أى من اليهود العبرانيين . فقال لهم : انه لن يأتى من نسل داود ، وذلك لأن داود نفسه قال عنه : انه سيكون سيده . والابن لا يكون سيدا لأبيه ، ثم قال فى رواية برنابا فى الفصل الثالث والأربعين : واذ هو لن يظهر فى بنى اسرائيل ، فانه يظهر فى بنى اسماعيل ، لأن له بركة مساوية لبركة اسحق أخيه ، الذى جاء منه موسى ، صاحب الشريعة .

(ب) أن النصارى لم يطلق عليهم لقب « المسيحيين » الا فى مدينة « انطاكية » بعد تحريف معانى النبوءات عن النبى المنتظر لتصدق على يسوع الذى يدعى المسيح ، ففى سفر أعمال الرسل : « وفى انطاكية سمى التلاميذ أول مرة مسيحيين » (أع ١١ : ٢٦) وكلمة « المسيحى » ترجمة الاسم اليونانى المشتق من « المسيح » واشتقاق كلمة « المسيحى » من اتباع المسيح ، هى من صنع غير المسيحيين . ويدل ظهور هذا اللفظ ، على أن كنيسة انطاكية ، كان ينظر اليها ، لا كما ينظر الى شيعة يهودية (أع ٢٤ : ٥) بل الى جماعة دينية جديدة تنتمى الى المسيح (أع ٢٦ : ٢٨ و ابط ٤ : ١٦) .

(ج) أن بولس — كما هو منسوب اليه — هو الذى كان يبث فى الناس بأن « يسوع » هو « المسيح » ففى سفر الأعمال : « على أن شاول كان يزداد قوة ، ويفحم اليهود المقيمين فى دمشق ، مبينا : أن يسوع هو المسيح » (أع ٩ : ٢٢) .

(د) ونهى عيسى أتباعه أن يقولوا : انه هو المسيح « وأوصاهم كثيرا : أن لا يظهروه » (مرقس ٣ : ١٢) .

سـؤال لأهل العـالم :

ان التوراة تنبىء عن ظهور نبى ممـاثل لموسى • يزعم اليهـود الى زمانى هذا بأنه لم يأت بعد • ويلقبونه بلقب « المسيح » ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : « يقيم لك الرب الهك : نبيا من وسطك ، من اخوتك ، مثلى ، له تسمعون ••• أقيم لهم : نبيا ، من وسط اخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامى فى فمه • فيكلمهم بكل ما أوصيه به •• الخ » •

وعلماء اليهود ، وعلماء النصارى ، وعلماء المسلمين • يصرحون بأن « المسيح المنتظر » هو نفســه « النبى الأمى » الذى قال عنــه موسى : « يقيم لك الرب الهك : نبيا •• الخ » •

وذلك لأنك اذا سألت اليهودى : ما هو دليلك من التوراة على مجىء « المسيح المنتظر » ؟ لأجاب بقوله : دليلى : هو قول موسى : « يقيم لك الرب الهك : نبيــا ••• الخ » واذا ســألت النصرانى : ما هو دليلك من التوراة على مجىء « المسيح المنتظر » ؟ لأجاب بقوله : دليلى : هــو قول موسى : « يقيم لك الرب الهك : نبيا •• الخ » •

فلنترك الكلام فى الألقاب الآن • ونتحدث فى الصفات المذكورة فى نص الدليل • وهى : نبى ــ أمى ــ مثل موسى ــ أمين على الوحى ــ لا يقتل ــ ينبىء بغيوب ــ ملك ••• الخ ، ثم نقول : ان الأوصاف اذا دلت على « محمد » صلى الله عليه وسلم فانه يكون هو المراد • ولا تهم الألقاب المتغيرة بتغير اللهجات ، والبيئات • فالبطيخ ، والحبحب ، والرقى • ثلاثة أسماء لمسمى واحد • المصريون يقولون بطيخ • وأهل الحجاز يقولون : حبحب ، وأهل الكويت يقولون : رقى ، أو رجىء • وهكذا فى كثير من المسميات • ولذلك يقول علماء الأصول : ان اختلاف الأسماء والألقاب للشىء الواحد • لا يبعث على الشك فى هــذا الشىء • ويقولون : ان اختلاف الألسنة لا يصرف عن فهم المعنى ، ولا يضيع الحق •

وذلك واضح فى كتــاب « الاقتصــاد فى الاعتقــاد » لأبى حامد الغزالى • المتوفى ٥٠٥ هـ •

والصفات المذكورة فى نص الدليل • وهى : نبى ــ أمى •• الخ ، اذا انطبقت كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فان أتباعه يكونون هم المسيحيون • واذا انطبقت كلها على عيسى عليه السلام فان أتباعه يكونون هم المسيحيون • فمن هم المسيحيون ؟

من هم المسيحيون ؟ هذا سؤال أوجهه الى أهل العالم • وليقوموا هم بدور القضاة فى هذه القضية بين الطوائف الثلاث • وليضعوا أمام أعينهم قبل الحكم ، نص نبوءة موسى عن النبى الآتى[٨] •

٣ ــ تقديس التوراة :

يقول القسيس : ان التوراة من الجذور التاريخية المشتركة بين اليهودية والمسيحية • وذلك لأن المسيحيين يقدسون التوراة كتقديس اليهود لها •

الرد عليه :

نحن نعلم بأن النصارى يقدسون التوراة • كتقديس اليهود لها • ونعلم أنه يوجد فرق بين اليهود والنصارى فى تقديس التوراة • فاليهود يقدسونها ، ليعملوا بها • والنصارى[١٠] يقدسونها ، لا ليعملوا بها ، ولكن لانها فى نظرهم تشهد بأن يسوع هو « المسيح المنتظر » والمسيح عيسى عليه السلام قد أمر أتباعه بأن يعملوا بها • والنصارى[١١] خالفوا أمره ،

---

(٨) النص مشروح فى كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل ــ طبعة دار البيان العربى بالقاهرة .

(٩) النصارى الى مجمع نيقية يقدسونها ويعملون بها . والنصارى الذين أخذوا لقب مسيحيين يقدسونها ولا يعملون بها .

(١٠) المقصود بالنصارى هنا ، هم المسمون بالمسيحيين ، والمسيحيون أيضا يسمون بالنصارى .

(١١) المعنى السابق .

وأبطلوا العمل بها . فأين هو التقديس ؟ انه تظاهر بالتقديس . وليس هو تقديس . وذلك واضح من كلامنا فى هذا الكتاب .

٤ ـ تقويم الأخلاق :

يقول القسيس : ان مكارم الأخلاق ، التى نصت التوراة عليها . يلتزم بها النصارى[١٢] . كما يلتزم بها اليهود وذلك لأن يسوع المسيح قد أقر دعوة موسى الى مكارم الأخلاق ، فى موعظته الشهيرة على جبل الزيتون . واستشهد فى كلامه بآيات من الوصايا العشر المأثورة عن موسى عليه السلام .

الرد عليه :

ان موسى وعيسى والنبيون . قد دعوا كلهم الى مكارم الأخلاق . ولكن المسيحيين النصارى قد أبطلوا كلاما كثيرا حسنا أثر عن عيسى عليه السلام . ومن ذلك قصة المرأة التى أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل . فان موسى فى سفر اللاويين أوصى برجمها ٢٠:١٠ وكذلك فى التثنية ٢٢:٢٢ ـ٢٤ وهو ـ حسب المكتوب ـ أوصى بالعفو عنها وقال لها : « اذهبى ، ولا تعودى بعد الآن ، الى الخطيئة » (يو ٨:١١) ومعلوم : أن العفو عن الخاطئين والخاطئات ، يسهل على الناس ارتكاب المعاصى والآثام .

خامسا : ملكوت الله
فى
معناه المطلق

يقول القسيس : ان يسوع بشر باقتراب « ملكوت الله » الذى هو « ملكوت السموات » وهو حكم الله فى الأرض . لا حكم الناس على الناس . وأن الله ذاته كان محتجبا عن الحواس البشرية . فرأى هو نفسه

---

(١٢) يقصد المسيحيين .

أن يظهر فى هيئة جسدية ليقيم ملكوته بنفسه على الأرض ، فلذلك أتخذ جسد يسوع ، وظهر به .

الـرد عليـه :

يقول ارمياء : « الرب هو اله حى ، وملك أبدى » (ار ١٠:١٠) وهم يزعمون بأن يسوع قد صلب وقتل ومات . فكيف تقول التوراة انه اله حى لا يموت . وكيف يقولون : انه قد فنى ومات ؟

ويصرح الانجيل بأن الله غير يسوع ويسوع غير الله . وأن اللـه خالق ، ويسوع مخلوق . وأن الله مرسل ويسوع رسوله . فكيف مع هذا التصريح يزعمون أن الله هو يسوع ، ويسوع هو الله ؟ يقول يسوع لله تعالى : « وأن الكلام الذى بلغتنيه ، بلغتهم اياه ، فقبلوه ، وعـرفوا حقا : أنى من لدنك خرجت ، وآمنوا بأنك أنت ارسلتنى » (يو ٨:١٧) « كما أرسلتنى الى العالم ، فكذلك أنا ارسلتهم الى العالم » (يو ١٨:١٧) « يا أبت البار . ان العالم لم يعرفك . أما أنا فقـد عرفتك ، وعـرف هؤلاء أنك أنت أرسلتنى » (يو ٢٥:١٧) .

سادسا : المجىء الثانى للمسيح يسوع

يقول القسيس : ان المسيح يسوع لم يظهر ملكوت السموات الى هذا اليوم . وانه سوف يأتى فى نهاية الزمان ليظهر الملكوت . لأن تلاميذه قابلوه بعد ظهوره عقب الصلب ، وسألوه : « يا رب أفى هذا الزمن تعيد

---

(١٣) تعبر كلمة « بار » المطلقة ألله ههنا ، عن استقامة حكمه ونزاهته (مزمور ١١٩ : ١٣٧ وتثنية ٣٢ : ٤) وقد تشير أيضا الى أمانته ورحمته (مزمور ٧ : ١٨ و٩ : ٥ و٩٦ : ١٣ و١١٦ : ٥ و١٢٩ : ٤ و١٤٥ : ٧) ومن الراجح : أن هذا المعنى هو الذى نجده هنا (راجع برومية ٣ : ٢٦ ورؤية ١٦ : ٥) .

الملك الى اسرائيل[١٤] ؟ فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى حددها الآب بذات سلطانه » (أع ١:٦ـ٧) .

الـرد عليـه :

ان عيسى عليه السلام لن يظهر فى آخر الزمان . بأدلة من الأناجيل الأربعة ، وبأدلة من القرآن الكريم .

أولا ـ أدلة من الأناجيل الأربعة تدل على عدم نزول عيسى فى آخر الزمان :

(أ) يقول عيسى عليه السلام لله تعالى : « لست بعد اليوم فى العالم ، وأما هم فلا يزالون فى العالم . وأنا ذاهب اليك » (يو ١٧:١١).

يقول : اننى بعد يومى هذا ، وقد بلغتهم برسالتك . سأموت . وهم أيضا سيموتون . ونحن جميعا سنرجع اليك . ولكنه يوجد فرق بينى وبينهم وهو فى « الكلام المكتوب » فكلامى المكتوب ، هم نقلوه فى كتبهم ، ونسبوه اليهم والناس سيقولون ـ مثلا ـ شهادة يوحنا ، أو بشارة يوحنا ، أو انجيل يوحنا . وتداول كتبهم للشهادة على أهل العالم ، يدل على أنهم لا يزالون فى العالم . أما أنا فلن يكون لى كتاب يحمل شهادتى باسمى . وكتبهم تنوب عن كتابى . والتوراة تشهد لكتبهم .

(ب) يقول عيسى عليه السلام لله تعالى : « أما الآن فانى ذاهب اليك . ولكنى أقول هـذه الأشياء وأنا فى العالم » (يو ١٧:١٣) .

يقول : اننى وأنا فى العالم قلت هذه الأشياء . وها أنا أترك العالم

---

(١٤) ان بنى اسرائيل كانوا يعلمون ان النبى الآتى الى العالم سيقوم ملكا كبيرا على الأرض ، وسيحارب أعداءه وينتصر عليهم مما هو مكتوب عندهم وعلى سبيل المثال : فى سفر ملاخى ٣ : ٣٣ وتث ٣٦ : ١ـ١٧ ومر ٩ : ١٢ لو ١٩ : ١ ـ و٢١ : ٨) وكاتب سفر الأعمال يواجه هذه المشكلة ، لما أراد ان يجعل يسوع هو النبى الآتى الى العالم .

كما تركه الذين كانوا من قبلى . ولن أعود اليه ، كما لم يعد اليه الذين كانوا ما قبلى .

(ج) بقول عيسى عليه السلام للحواريين عن محمد عليه السلام المكتوب عنه « بيراكليت الروح القدس » وبيراكليت مكتوب بدلها فى ترجمة دار المشرق « المؤيد » — بكسر الياء مشددة — يقول : « انه خير لكم أن أذهب . فان لم أذهب ، لا يأتيكم المؤيد . أما اذا ذهبت فأرسله اليكم ، وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والدينونه . أما على الخطيئة ، فلانهم لا يؤمنون بى . وأما على البر فلانى ذاهب الى الآب . فلن ترونى .. » (يو ١٦ : ٧ — ١٠) .

انظر الى قوله « فلن ترونى » بعد ذهابه الى الله تعالى . وفى ترجمة « وأما على بر ، فلانى ذاهب الى أبى ، ولا تروننى أيضا » .

(د) « وأما الآن . فأنا ماض الى الذى أرسلنى .. » (يو ١٦ : ٨) وفى ترجمة : « أما الآن فانى ذاهب الى الذى أرسلنى . وما من أحد منكم يسألنى الى أين تذهب » .

(هـ) « يا بنى . لست باقيا معكم الا وقتا قليلا » (يو ١٣ : ٣٣) .

ومع هذا حشر النصارى[١٥] فى الأناجيل : « انى ذاهب لأعد لكم مقاما . واذا ذهبت وأعددت لكم مقاما ، أرجع فآخذكم الى ، لتكونوا

---

(١٥) النصرانى . ليس من الانتساب الى قرية « الناصرة » وذلك لأنها من قرى السامريين . وعيسى عليه السلام من العبرانيين . وليس من « أنصار الله » فان كل مستسلم لله هو من أنصاره . وانما هو من الكلمة العبرانية « هانصرى » وهى تعنى المحتقر فى نظر علماء بنى اسرائيل . وتعنى « النذير لله » أى الراهب المتبتل من الصغر . وكان فى بنى اسرائيل نذيرون كثيرون من الرجال والنساء . شأن « أنصار الله » فى كل البلاد . ويقول مفسرو النصارى : أن اليهود أطلقوا لقب « هانصرى » بمعنى المحتقر على عيسى عليه السلام فقبل اللقب وتفاخر به نكاية فيهم .

وكان عيسى عليه السلام منذورا لله من صغره . أى كان راهبا من الرهبان . وأمه كانت مثله من الراهبات . واليهود لم يطلقوا عليه لقب هانصرى لأنه راهب . فانهم لو أطلقوه عليه لأنه راهب ، لدل ذلك على تعظيمهم له وثنائهم عليه ، وهم لا يريدون له التكريم .

أنتم أيضا ، حيث أنا أكون » (يو ١٤: ٢-٣) — مقاما — بضم الميم — تقول مفسرو النصارى : « ستكون عودة يسوع هذه ، لاشراك اخوته فى حالته المجيدة ، فى آخر الأزمنة ولكنها تستبق — بضم التاء الأولى وفتح الثانية والباء — منذ زمن الكنيسة . وفى الحديث كله اشارة مزدوجة الى وقت مجئ المسيح : قيامته ، ومجيئه الثانى ، ومن هنا استعمال صيغة الحاضر ، وصيغة المستقبل » أ هـ .

والرد عليهم :

هو أن التعابير مجازية عن رؤيته لهم فى الآخرة وهم سعداء به . واذا كانت على الحقيقة . فالواقع لا يشهد ، لأنه لم يأت اليهم . مع أنه قال : ان ملكوت الله قريب .

وهل هو يقصد الحواريين فقط ، أم هم وجميع المؤمنين به ؟ وهو لم يرجع لأخذ الحواريين فقط ، ولو أنه نزل لاقامة الملكوت . فنزوله سيكون للمكث فى الملكوت ، لا للاخذ والرجوع .

على أن النصارى الأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون بمجئ روحى ، وملكوت روحى ، على هيئة الأحلام . ونصوص النبوءات تدل على أن الملكوت أرضى لا روحى ، ويتأسس على الأرض بعد مملكة الروم حسب كلام النبى المعظم دانيال .

والقرآن الكريم أطلق « نصارى » ولم يطلق « مسيحيين » لماذا ؟ لأن عيسى عليه السلام ليس هو « المسيح المنتظر » — الذى تفسيره « المسيا » — ولم يطلق النصارى على أنفسهم لقب « مسيحيين » الا تحت ضغط الرومان . وهم قد كتبوا فى سفر الأعمال : انهم دعوا « مسيحيين » فى « انطاكية » وعلى ذلك . فاتباع عيسى اليوم ، ومن زمان مجمع نيقية والى قيام الساعة ، يطلق عليهم « نصارى » وهو اللقب الأصلى ، ويطلق عليهم أيضا لقب « مسيحيين » وهو اللقب المزور . واتباع عيسى من زمانه الى زمان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م يطلق عليهم « نصارى » ولا يطلق عليهم « مسيحيون » فالمسيح المنتظر كان يدعو عيسى الى مجيئه من بعده . وهذا مبين فى انجيل برنابا . وفى كتابنا « المسيا المنتظر نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم » نشر مكتبة الثقافة الدينية بشارع الجيش بالقاهرة .

ثانيا ـ أدلة من القرآن الكريم تدل على عدم نزول عيسى فى آخر الزمان :

يعتقد الراسخون فى العلم من المسلمين بأن يوم القيامة يأتى بغتة ، بلا علامات ومقدمات • وذلك لقوله تعالى : « ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون • فلا يستطيعون توصية . ولا الى أهلهم يرجعون» ومجىء هذا اليوم العظيم بغتة ، يمنع من الاعتقاد بعلامات ومقدمات له . وعلى ذلك فان اعتقاد الأميين من المسلمين وهو أن للساعة علامات . منها ظهور المسيح هو اعتقاد باطل . قد بثه النصارى فى المسلمين . للغو فى ملكوت السموات ، الذى هو ملكوت محمد صلى الله عليه وسلم •

والله تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فى شخصه: « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفان مت ، فهم الخالدون ؟ كل نفس ذائقة الموت » واذ عيسى بشر ، فانه يكون قد مات ، كما أن محمدا قد مات . وتعبر التوراة عن فناء الناس بمثل هذا النص :

« الانسان مثل العشب أيامه . كزهر الحقل ، كذلك يزهر . لأن ريحا تعبر عليه ، فلا يكون ، ولا يعرفه موضعه بعد » (مز ١٠٣ : ١٥ ـ ١٦)

ويقول الله تعالى عن مساواة عيسى بالبشر فى الموت : « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد » ويقول عن موته : « يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى » •

وعبر بالوفاة التى تدل على أمرين أولهما : المـوت ، وثانيهما : استحقاق الأجر . ويدل استحقاق الأجر على الأعمال . على اكتمال الأعمال بالموت . فكأنه يقـول : اننى احصيت أعماله كلها بعد موته ، وأعطيته ووفيته جزاء أعماله .

ويقول عن موقف أهل الكتاب من الانجيل : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » أى كل كتابى من الراسـخين فى العلم • لن يموت حتى يؤمن بأن عيسى عليه السـلام بشر بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسـلم وايمانه يأتيه من أمرين : أولهما : قراءة الأناجيل الأربعة • وثانيهما : قراءة نصوص التوراة عن النبى المنتظر • فالأناجيل الأربعة هى تفسير لنصوص التوراة عن النبى المنتظر •

ونصوص التوراة يعرفهـا العلمـاء وهى تدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يقرأوا أى انجيل . والانجيل يساعد الأميين على تفسير نصوص التوراة عنه . ولذلك يعرف اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وهم لا يقدسون الأناجيل • كمعرفة النصارى له وهم يقدسونها .

ولسوف يشهد عيسى يوم القيامة عليهم بأنه بلغ وفسر ووضح وجادل وأفحم . يشهد على المعاصرين له بكلامه فيهم ، ويشهد على كل من يأتى من بعدهم بكلامه ، الذى نقله عنه أتباعه فى بشـاراتهم ، أى أناجيلهم ولذلك قال لهم :

« لم تختارونى أنتم ، بل أنا اخترتكم وأقمتكم ، لتذهبوا فتثمروا • ويبقى ثمركم » (يو ١٥:١٦) .

وقال لله عنهم :

« لا أدعو لهم وحدهم ، بل أدعو أيضا للذين يؤمنون بى عن كلامهم» (يو ١٧:٢٠ •

سـابعا : الانجيـل

يقول القسيس : ان الانجيل هو البشرى بخبر سار . والخبر : هو قتل يسوع المسيح وصلبه ، ليكفر عن خطايا آدم ونسله .

والرد عليـه :

الانجيل : فى الأصل اليونانى « ايفانجليون » وهى كلمـة تدل على البشرى •

لكن المسيح عيسى عليه السلام لم يقل : ان البشرى هى قتلى على الصليب • وحيث هو قد بين أن كل امرىء مرتهن بأعماله . تكون البشرى شيئا غير قتله وصلبه .

انه يقول فى انجيل متى : « ان كل كلمة بطالة يقولها الناس ، يحاسبون عليها يوم الدينونة ، لأنك تزكى بكلامك ، وبكلامك يحكم عليك » (متى ١٢ : ٣٦ — ٣٧) وروى يعقوب هذا المعنى فقال : « لا يكثرن فيكم يا اخواتى عدد المعلمين . فأنتم تعلمون أننا سنلقى فى ذلك أشد دينونة » (يع ٣ : ١ —) .

والبشرى هى : أن موسى — عليه السلام — أخبر فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية بأن الله سيرسل الى العالم نبيا على مثاله ، يقيم الدين ، عوضا عنه . ودانيال لقب مملكة هذا النبى بملكوت السموات . وكان بنو اسرائيل فى شوق عظيم الى ظهوره ليمنع عنهم ذل الأجانب . فأرسل الله عيسى عليه السلام هو والمعمدان ليبشرا بنى اسرائيل باقتراب زمان هذا الخبر . ولذلك قال مرقس : « وبعد اعتقال يوحنا ، جاء يسوع الى الجليل ، يعلن بشارة الله . فيقول : حان الوقت ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا ، وآمنوا بالبشارة » (مر ٢ : ١٤ — ١٥) أى حان وقت ظهور المسيا — النبى الآتى — واقترب ملكوته . فاستعدوا للدخول فى دينه اذا جاء .

ومن أوصاف النبى الآتى

١ — أن يظهر له أعداء .

٢ — وأن يأتوا لمحاربته بجيوش .

٣ — وأن ينتصر عليهم .

٤ — وأن يملك على مدنهم .

ذلك كله فى النبوءات الواردة عنه فى التوراة ، وفى الأناجيل الأربعة .

وقد رأى أهل الروم مع اليهود العبرانيين أن ينكروا النبى الآتى من قبل مجيئـه • فائتمـروا على أن يقولوا : ان النبى الآتى الذى بشر به المعمدان ويسوع ليس محمدا • وانما هو يسوع المسيح نفسه •

فكيف يتفادوا النبوءات التى تصرح بأن النبى الآتى سيكون له أعداء يأتونه بجيوش جرارة لمحاربته ، وينتصر عليهم ويملك على بلادهم ؟ كيف وهم قد رأوا أن عيسى عليه السلام لم يزد أمره عن اعلان تحقيق خبر ؟ وقد احتالوا على النبوءات بأن قالوا :

١ ــ الأعداء هم اليهود •

٢ ــ وقد أتوا بجنود يحملون العصى ، وضربوه ، وقتلوه •

٣ ــ وانتصر عليهم بقيامته من الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال •

٤ ــ وملك على العالم بالملك الروحى ، كولاء التلاميذ لمعلمهم •

فليعد العلماء النظر فى نصوص النبوءات ، ليدفعوا هذه الحيلة • واضع أمامهم للتذكرة ما يلى :

أولا : صرحت الأناجيل الأربعة بأن عيسى عليه السلام ظهر لاتبـاعه بعد الحادثة ، وأكل معهم وشرب ، وحدثهم عن ملكوت الله • وهذا يدل على أنه لم يقتل ولم يصلب •

ثانيا : نصوص النبوءات الدالة على تألم الآتى من أعـدائه • هى أيضا تدل على أن الله نصره عليهم ، وملكه على مدنهم ملكا أرضيا ، لا ملكا روحيـا •

ومن هذه النبوءات ، النبوءة التى نسب الى بطرس الاستدلال بها فى الاصحاح الثانى من سفر الأعمال • وفيها يقول داود عن النبى الآتى : « احفظنى يا الله لأنى عليك توكلت • قلت للرب : أنت سـيدى • خيرى

لا شىء غيرك » الى أن قال : « جعلت الرب أمامى فى كل حين • لأنه عن يمينى ، فلا اتزعزع • لذلك فرح قلبى ، وابتهجت روحى • جسدى أيضا يسكن مطمئنا • لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية • لن تدع تقيك يرى فسادا • تعرفنى سبل الحياة • أمامك شبع وسرور • فى يمينك نعم الى الأبد » (مزمور ١٦) •

انه يقول : ان الله عن يمينه • فلذلك لا يتزعزع أى لا يهزمه أعداؤه ويؤكد على نصرته بقوله : « لذلك فرح قلبى ، وابتهجت روحى » ثم يقول : انك لن تترك نفسى فى الهاوية ، أى لن تتركنى وحدى حتى يغلبنى أعدائى ، ولن تدع تقيك يرى فسادا • أى ستظل معى بقوتك حتى لا أرى فساد أعمالى • وأشار بقوله « فى يمينك نعم الى الأبد » الى الملك الدائم •

ويشرح هذا بوضوح : المزمور الثانى الذى نسب الى بطرس الاستدلال به أيضا وأوله : « لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل • قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء على الرب وعلى مسيحه • قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما » فأمم الأرض ، لا أمة اليهود ، وشعوب الأرض ، لا شعب اليهود ، وملوك الأرض ورؤساء العالم كلهم يتآمرون على النبى المنتظر ، الملقب بلقب المسيح • ويعدون الجيوش الجرارة لاهلاكه هو واتباعه •

والله تعالى يرد بقوله : « الساكن فى السموات يضحك ، الرب يستهزىء بهم » والمعنى : أن الله سينصر نبيه على أعدائه • ثم يملكه أرضهم وديارهم • ذلك قوله : « أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون ، جبل قدسى » •

ثم تحدث عن سعة ملكه فقال : « فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك » •

فهل هذه النبوءة تنطبق على عيسى عليه السلام ؟

ومع ذلك احتالوا على تطبيقها عليه بقولهم: انه قتل وصلب وقبر وانتصر على الموت ، وملك ملكا روحيا •

فالمسيح عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، وهم قد قالوا بقتله وصلبه لتطبيق نبوءات التوراة عليه قسرا • والتشويش على محمد نبى الاسلام من قبل ظهوره •

نبوءة يهوذا الاسخريوطى

وفى سفر الزبور نبوءتان عن محمد صلى الله عليه وسلم فى الزبور التاسع والستين ، والزبور المائة والتاسع • لغا فيهما المحرفون لئلا يدلا بوضوح على محمد صلى الله عليه وسلم •

وهذا اللغو هو زعمهم : ان المقصود بهما : هو يهوذا الاسخريوطى الذى دل اليهود والرومان على مكان المسيح عيسى عليه السلام للقبض عليه •

والصحيح : أنهما يدلان على اليهود الأشرار كلهم • لأن النصوص بصيغة الجمع ، لا بصيغة المفرد •

والمسيح عيسى عليه السلام كان فى هيكل سليمان ليل نهار • وكان يخطب مرارا كثيرة فى الشعب ، وكان يسخر من العلماء ، ويستهزىء بهم علانية • ومن كان هذا حاله ، لا يحتاج الى من يدل عليه •

ففى الأصحاح الأول من سفر الأعمال يجاهر بطرس بقوله عن يهوذا : كتب فى سفر المزامير : « لتصر داره مقفرة ، ولا يكن فيها ساكن » (مزمور ٦٩ : ٢٦) وكتب أيضا : « ليتول منصبه آخر » (مزمور ١٠٩ : ٨) •

أما عن النص الأول فهو فى سفر المزامير بصيغة الجمع : « لتصر دارهم خرابا ، وفى خيامهم لا يكن ساكن » • والمعنى : أن النبى الآتى يدعو بظهر الغيب على اليهود كلهم بالهلاك والدمار • ويستجيب الله له فيقول : « ونسل عبيده يملكونها ، ومحبو اسمه يسكنون فيها » •

وأما عن النص الثانى . فانه عن اليهود كلهم بصيغة الجمع ، لقوله : « وأنا صرت عارا عندهم ، ينظرون الى ، وينغضون رءوسهم » ثم طلب النصر من الله فقال : « أعنى يارب الهى . خلصنى حسب رحمتك . وليعلموا : أن هذه هى يدك . أنت يارب فعلت هذا ، أما هم يلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح » .

وفى القرآن الكريم : « فسينغضون اليك رءوسهم . ويقولون : متى هو ؟ قل : عسى أن يكون قريبا » وقد استدل عيسى عليه السلام بهذا المزمور فى شفائه للأكمه باذن الله تعالى .

والغرض منه : هو انتقال وظائف الكهنوت الى أمة أخرى ، تعمل آثماره .

وعلى ذلك فقوله : « لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر » كتبه بصيغة المفرد ، مثل : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » وهو يعنى عموم بنى اسرائيل . بدليل : « بكلام بغض أحاطوا بى ، وقاتلونى بلا سبب ، بدل محبتى يخاصموننى . أما أنا فصلاة . وضعوا على شرا بدل خير ، وبغضا بدل حبى . فأقم أنت عليه شريرا . وليقف شيطان عن يمينه ، اذا حوكم فليخرج مذنبا . وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما ، وامرأته أرملة » الى أن قال عن اليهود كلهم : « فى الجيل القادم ليمح اسمهم » — « وليقرض من الأرض ذكرهم » .

فهذا المزمور والذى قبله لا صلة لهما البتة بيهوذا الاسخريوطى ، كما كتبوا على لسان بطرس .

والغرض منه : أن الجيل الآتى — وهم أمة بنى اسماعيل — لن يكون للاشرار من اليهود ، نصيب معهم فى الملك .

* * *

معنى قوله تعالى : « ولكن شبه لهم » :

وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « وما قتلوه وما صلبوه .

ولكن شبه لهم . وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه . ما لهم به من علم الا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه . وكان الله عزيزا حكيما » .

لقد شبه لهم نبي بنبي :

١ ـ نبي ذكر أوصافه موسى صاحب التوراة ، وذكرت أوصافه أسفار الأنبياء ، وتحدث عيسى عن ملكوته .

٢ ـ ونبي ليس هو المنبأ عنه . وأرادوا أن يجعلوه هو المنبأ عنه . والأول هو محمد . والثاني هو عيسى ـ عليهما السلام ـ ومثل ذلك مثل من يأخذ تاج الملك ، ويضعه على رأس انسان لم ير الملك من قبل . فان قيل عنه من انسان : هذا هو الملك . وقيل عنه من انسان آخر : ليس هو . فان السامع يشك ويظن ، ولا ينفي ولا يثبت . وأهل الروم أميون ويجهلون الشريعة والأنبياء . وقد قيل لهم من اليهود الأمناء الذين آمنوا بكلام عيسى عليه السلام : ان عيسى ليس هو النبي الآتي ، بل رسوله . وقيل لهم من اليهود الأشرار : انه هو . فمن يحسم الخلاف ، ويرفع النزاع ؟

ليس الا الشريعة والأنبياء . وهم يشكون فيهم . لعلمهم بأن اليهود غير أمناء عليهم . وعن هذا الشك يقول تعالى : « وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم . لفي شك منه مريب » أي النصارى الذين ورثوا التوراة من بعد اليهود ، هم يشكون فيها .

فأهل الروم الذين نصروا المسيحيين ، وآزروا للملك والسياسة . يشكون في الكتاب ، ويشكون في النبوءات ، ويشكون في ألفاظ الكتاب هل هي على الحقيقة في هذا الموضع ، أم هي على المجاز ؟ وهم الى الآن في شك .

والقتل يدل على الاهانة . والمقابل لها الرفع . فكأنه يقول : وما أهانوه . فاننا رفعنا درجته ، وأعلينا من شأنه « وكان الله عزيزا حكيما » .

* * *

وانه الى زمانى هذا ، لا يعرف أحد من العجم والعرب ، ولا أحد من المسلمين — الا أن يكون من أهل الكتاب واسلم — مدلول نبوءات الشريعة والأنبياء عن النبى الأمى الآتى • وكيفية تحويلها منهم على المسيح عيسى عليه السلام • فكيف يعرفه أهل الروم والأميون ؟ وأهل الكتاب الذين أسلموا لم يبينوا •

بل ان الذين كانوا من قبلى يكتبون فى هذا العلم ، لم يكونوا على علم باقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة • فكيف بأهل الروم والأميين ؟

* * *

واذكر أنه فى يوم من الأيام قرأ أمامى طالب من نصارى البرونستانت هذا النص : « لأنه مكتوب فى سفر المزامير : لتصر داره خرابا ، ولا يسكن فيها ساكن ، وليأخذ وظيفته آخر » (أع ١ : ٢٠) فقلت له : أعد قراءة النص •فأعاد القراءة • فقلت له : وهو يعنى مزمورا واحدا ، أم يعنى مزمورين اثنين ؟ فسكت • وأعاد القراءة • ونظر الى متحيرا • فقلت له : هو يعنى اثنين من مزامير المسيا • فنظر فى الكتاب وأعاد القراءة • ثم قام ليحضر كتاب الشواهد •

وبحث وقال : انهما اثنان • فقلت له : اقرأ المزمور الأول كله • فقرأه • وقال : انى قرأته • فقلت له : بصيغة المفرد أم بصيغة الجمع ؟ فتحير • فقلت له : اقرأ الثانى . فقرأه ، وقال : انى قرأته • فقلت له : بصيغة المفرد أم بصيغة الجمع ؟ فقال : هو مثل الأول • فاكتفيت منه بهذا وسكت ، ولملمت أوراقى وانصرفت •

* * *

وهذه أفضل طريقة لمناقشة العلماء . وقد اتبعها المسيح عيسى عليه السلام فى حواره مع الفريسيين ، لما قال لهم : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ••• الخ واتبعها أهل الحديث من المسلمين . فان أبا هريرة رضى الله عنه . لما كان يروى المعنى الذى يبعث على الاستنكار • يسارع فيقول : اقرأوا ان شئتم • ويذكر نصا قرآنيا ، لعلمه بأن النص هو الذى يفتح باب النقاش ، ويغلقه •

ثامنا : ظهور الملكوت فى شخص يسوع
« المســـيا المنتظـــر »

يقول القسيس تحت هذا العنوان ما نصه : « اتفقت جميع العقائد القديمة على انتظار ظهور مبعوث من الســماء ، يقوم بانقــاذ البشرية ، وتخليصها من هوة السقوط التى تردت فيهــا • وكانت اليهودية بالذات تنتظر ظهوره . وكان يعرف لديها بـ « المسيا المنتظر » اذ آمن اليهود ، على توالى الزمن ، بأنه فى وقت الحاجة القصوى ، سيرسل اليهم « يهوه » ـ الله ـ مخلصا ، يغلب أعداءهم ، ويحضر لهم بركات العدل والسلام ف الأبديين ، يدعى « المسيا » ـ الذين تفسيره «المسيح» ـ وكانوا يستندون فى ذلك الى أقوال الأنبياء القدامى ، وخاصة دانيال »[16] ا . هـ •

هذا نص كلامه •

ثم قال : ان « يسوع الناصرى » هو « المسيح » الذى أنبأت بــه التوراة ، ولمــا أعلن بشارة الملكوت ، عرف بالناصرى • وأما « المسيح » فهو لقبه الوظيفى •

وقد آمن بأنه « المسيح المنتظر » عدد كبير من اليهود ، ومن الدخلاء المتدينين ، وتكونت منهم الفرقة التى آمنت به من بنى اسرائيــل أما قادة الشعب فقد وجهوا باقى اليهود الى عدم الايمان بيسوع على أنه « المسيح المنتظر » .

الرد عليــــه :

أولا : يجب الاحتكام الى نصوص دانيآل عن ملكوت السموات • وهى تدل على أن « المسيح المنتظر » يظهر بعد مملكة الروم •

---

(١٦) ص ١٤ النصرانية المذهب الوسط ما بين اليهودية والمسيحية ـ تأليف القس صموئيل مشرقى ـ الكتاب ٨٢ صــدر عن الكنيســة المركزية لمجمع الله الخمسينى بالقاهرة .

ثانيا : ان الذين آمنوا بدعوة عيسى عليه السلام . من اليهود والدخلاء آمنوا بها على أنه رسول المسيح المنتظر ، لا أنه هو المسيح المنتظر . لأن التوراة ليس فيها أى نص على عيسى عليه السلام ، ولأنها تحدد زمان ظهور « المسيح » بزوال مملكة روما من فلسطين ، بقوة السلاح . والمسيح عيسى عليه السلام لم يحارب ولم يملك على شبر من الأرض . فلا يكون هو « المسيح المنتظر » .

فضلا : على أنه من بنى اسرائيل . ولن يقوم نبى فى اسرائيل كموسى (تث ١٨: ١٥—٢٢ و٣٤: ١٠—١٢) .

تاسعا : الناصريون هم الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية

يقول القسيس : ان اليهود كانوا ينتظرون « المسيا ، الذى تفسيره المسيح » ولما ظهر عيسى عليه السلام آمنت به طائفة منهم . وكفرت به طائفة .

والطائفة التى آمنت به منهم . آمنت على أن يسوع هو « المسيا الذى تفسيره المسيح » وعظمت التوراة وعملت بأحكامها . وتسمت باسم طائفة « النصارى » .

وهذه الطائفة أخطأت فى عملها بأحكام التوراة . ولذلك ظهر عوضا عنها طائفة أخرى من اليهود والدخلاء . آمنت على أن يسوع هو « المسيا الذى تفسيره المسيح » وعظمت التوراة ولم تعمل بأحكامها . وتسمت باسم طائفة « المسيحيين » وهى الموجودة الى هذا اليوم والى أن تقوم القيامة .

فعندنا ثلاث طوائف :

الأولى : طائفة اليهود . والثانية : طائفة النصارى . والثالثة : طائفة المسيحيين .

الرد عليـــه :

الطائفة الأولى — وهى طائفة اليهود — رفضت الايمان بيسوع الذى يدعى المسيح . ليس لأنه « المسيح » فهم يعلمون مثله بأنه ليس هو . وليس لأنه صرح بأنه هو رسول المسيح . فهم يعلمون معه بأنه رسوله . ولكن لأنه صرح بأن المسيح سيأتى من بنى اسماعيل ، ولن يأتى من نسل داود . لقول داود عنه : بانه سيده .

والطائفة الثانية — وهى طائفة النصارى — آمنت بيسوع على أنه رسول المسيح . وعلى أن المسيح سيأتى من بنى اسماعيل عليه السلام وعظمت التوراة وعملت بها — وهى الطائفة التى كانت على الحق — .

والطائفة الثالثة — وهى طائفة المسيحيين — آمنت بيسوع على أنه هو المسيح ، وصرحت بنبذ أحكام التوراة . وهى الطائفة التى نشأت فى مجمع نيقية ، وبقيت الى هذا اليوم .

وقد ذكرنا الأدلة التى تدل على أنها على الباطل . وها نحن نذكر نص كلام القسيس فى هذا الشأن لتظهر المذاهب على جليتها .

يقول القسيس ما نصه :

« كان للمسيا صورتان — فى التوراة — .

احداهما : كالملك المنتصر .

والأخرى : كالعبد الوضيع المتألم .

كان ذلك عقدة محيرة بالنسبة لليهود ، جعلتهم يترددون فى قبول الصورة الثانية عنه ، وقد سبب لهم ذلك : عثرة فى يسوع المسيح ، جعلتهم يرفضونه كالمسيا ، لأنهم فضلوا أن يكون لهم كالمسيا « الملك » لذلك فانهم لم يستطيعوا قبوله ، لأنهم لم يجدوه كما انتظروا . فأنكروا

أن يسوع هو المسيح ، الأمر الذى دعا الرسول يوحنا الى القول الوارد فى رسالته الأولى ٢ : ٢٢ ونصه : « من هو الكذاب الا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح . هذا هو ضد المسيح » .

كانوا ينتظرون منه أن يسيطر على الموقف بتحديه وهزيمته للرومان ، وأن يقوم بهذا الحل السياسى بخلع نير الرومان عنهم ، وجعلهم دولة مستقلة ذات سيادة ترتقى وتتسامى على جميع الدول . فان لم يفعل ذلك فلا يكون هو « المسيح » أما هو فأراد أن يبين لهم : أن ملكوته يجب أن يقوم أولا على الاصلاح الروحى والأدبى . ولذلك بدأ فى تقديم رسالته للبشر على هذا النحو ، لذلك اشعب العنيد ، بتعليمهم أرقى ما فى الوجود من دروس الآداب والأخلاق ! أما هم فقد أخفقوا فى ادراك أن مثل هذا الاصلاح العظيم هو الأساس الحقيقى للملكوت ، اذ كان قد أبان لهم بأن ملكوته يجب أن يكون أولا روحيا لا حرفيا !!

وكانت النتيجة : أن اليهودية انقلبت عليه بعد أن بدأت تؤمن بأنه هو « المسيا » . فئة قليلة منهم قبلت ذلك ، أما الأمة بأسرها فقد تحول اعتبارها له الى اتهام ، وجهوه اليه بأنه ينـاوىء « قيصر » بل وقامت بالافتراء عليه ووصمته « بالمضل » أى أنه يدعى باطلا بأنه « المسيا » وهو ليس كذلك ، فقاموا وتخلصوا منه بالصلب ، لكنه سرعان ما قام ، وكانت الكرازة بقيامته صاعقة على معاصريه المنكرين ، اذ أكدت على الملأ : بأنه هو بعينه « المسيا » وبهذا تم تكـذيب افترائهم ضده : وهكذا تثبت الاعتراف بأن يسوع هو المسيا بعينه ، وملأت هذه الشهادة الدنيا بأسرها !!

ظهور الناصريين كالأمة الوسط :

على هذا الأساس ــ أى قيامة يسوع الناصرى من بين الأموات ــ أخذت الشيعة التى كانت تتبعه من اليهود مكانها على التوالى ، وكانت تزداد حتى صارت عدة ربوات ، ومع تميزها بايمانها بأن يسوع هو المسيح ، الا أنها بحكم وضعها الطبيعى كانت هى « الأمة الوسط » بين اليهودية

والمسيحية ، فكانت تقيم التوراة والانجيل معا ، ولم تفارق الهيكل فى البداية . بل كانت تحفظ الأعياد اليهودية وطقوسها ، مما كان يدل على احتفاظهم بعلاقتهم باليهودية ، حتى أنهم كانوا يعتبرون مجرد فرقة يهودية ، تميزت بكونها الطائفة من بنى اسرائيل التى آمنت بالمسيح !!

ولكنهم مع ذلك كانوا نواة المسيحية ، وخاصة بعد انسلاخهم من أمتهم اليهودية . اذ كانت قد رفضت « الناصرى » الذى كانوا قد آمنوا به ، وازاء ذلك قام اليهود باضطهاد هذه الفرقة ، لأنها تمسكت بالناصرى ، واعتبرته المسيا ، مع مخالفة الدعوة التى أرادوا نشرها لما كان مألوفا عند اليهود ، ولمناداتهم بأن المسيح المنتظر هو يسوع الناصرى بعينه ، حتى أن اليهود أطلقوا عليهم « شيعة الناصريين » وجعلوا بولس مقدام هذه الشيعة ، وواضح أن « بولس » عندما بدأ كرازته فى دمشق محققا أن هذا (أى يسوع الناصرى) هو المسيح ، قيل عنه : انه كان يحير اليهود الساكنين فيها ، وهكذا كان يفعل الى أن رفض اليهود الرسالة ... فلزم الحال أن يتوجه بها الى الأمم (أع ١٣ : ٤٦) .

ويتضح مما سلف ذكره : أن كلمة « المسيا » قد وردت فى التوراة . ولا يزال اليهود الى اليوم ينتظرونه ، ويرونه ملكا عظيما سيأتى ليجعل لهم السلطان على الأرض ، ويجعلهم سادة العالم ، وأما موقفهم من جهة « يسوع الناصرى » الذى أراد أن يوجههم وجهة روحية ، فانهم لم يعتبروه « المسيح » الموعود به . وثاروا عليه ، وتآمروا على قتله »[١٧] (انتهى كلامه بنصه) وقد ذكرته للعلم .

والرد عليه : قد سبق .

---

(١٧) ص ١٨ ــ ٢٠ النصرانية ــ صموئيل مشرقى

عاشرا : فترة الانتقال على مدى أربعين عاما

يقول القسيس : انه بعد صلب يسوع المسيح وقتله انتظر الله أربعين سنة على اليهود ليتوبوا ويقبلوا الدخول فى دعوة يسوع المسيح . من قبل أن يهلكهم . ولما لم يتوبوا ويقبلوا ، أرسل عليهم « تيطوس » قائد جند الرومان . فخرب أورشليم ، وهدم الهيكل . كما أعطى التوهان فى الأرض أربعين سنة لبنى اسرائيل وهم فى برية سيناء ، لما جبنوا عن دخول الأرض المقدسة ، التى كتب الله لهم .

الرد عليـــه :

ان بنى اسرائيل لمـا جبنوا وخافوا ، عاقبهم الله بالتية أربعين سنة ، وبنوا اسرائيل لمـا رفضوا الايمان بيسوع على أنه رسول المسيح المنتظر ، أرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب . ليؤمنوا بأن يسوع هو رسول المسيح ، لا المسيح نفسه . وكان ذلك من قبل مجمع نيقية بزمان طويل .

وحينما ظهر دين الاسلام بعد مجمع نيقية بزمان طويل ، تقدم جند المسلمين الى فلسطين ، وخربوا أورشليم ، وهـدموا الهيـكل . فالذين خربوا وهدموا هم المسلمون . والذين أدبوا العصاة هم أهـل الروم . والفرق كبير بين التأديب وبين الخراب والهدم . وذلك لأن الخراب والهدم قد اعقبهما دين جديد من الله . والتأديب قد ترك اليهود فى الأرض على دينهم .

وهذا عليه دليل من كلام عيسى عليه السلام فانه لم يحدد أربعين سنة من بعده لهدم المدينة المقدسة[١٨] عندهم ، وخراب الهيكل . وانمـا

---

(١٨) قال الله تعالى فى سورة المنافقين ــ المنافقون هم اليهود ــ : « يقولون : لئن رجعنا الى المدينة ، ليخرجن الأعز منها الأذل » يعنون : انهم يعلمون من كتبهم المقدسة أنهم سيخرجون من مدينة « اورشـليم » وانهم

حدد زمنا تحدث فيـه علامات هى قيـام حروب بين الأمم ، ومجاعات وزلازل ، واضطهادات لأتباعه ، وظهور أنبياء كذبة ، وانتشار الانجيل فى العالم ، وحدوث رجسة خراب دانيال . وهذا كله لم يتم فى مدة أربعين سنة . فكلام النصارى بأربعين سنة ، قياسا على توهان بنى اسرائيل فى زمان موسى . هو منهم تضليل فى العلامات التى قال يسوع نفسه انها ستحدث من قبل محمد صلى الله عليه وسلم صاحب ملكوت السموات ، ففى انجيل متى : « وخرج يسوع من الهيكل فدنا اليـه تلاميذه . وهو سـائر ، ستوقفون نظره على أبنية الهيكل . فأجابهم : أترون هـذا كله ؟ الحق أقول لكم : لن يترك هنا حجر على حجر ، من غير ان ينقض ، وبينما هو جالس فى جبل الزيتون ، دنا منه تلاميذه فانفردوا به ، وسألوه : قل لنا : متى تكون هذه الأمور ؟ » .

اليها بعد ظهور « المسيح الرئيس » رجعتان . للافساد وللعلو الكبير ، كما فى الأصحاح الثامن والثانى عشر من دانيال ، وكما فى سورة الاسراء من القرآن الكريم . وقد رجعوا فى سنة ١٩٦٧ ميلادية . وهى المرة الأولى من المرتين . وقال الله عن المرة الثانية : « فاذا جاء وعد الآخرة » اى مـرة الافساد الثانية « جئنا بكم لفيفا » الى « أورشليم » .

وقال فى سورة التوبة : انهم اتخذوا « هيكل سليمان » قبلة بدون دليل . وسماه باصطلاح المسلمين « مسجدا » وقال : انهم اتخذوه للاضرار بالمسـلمين . وقال : انه سـيظل موجـودا زمانا طويلا من بعـد الاسـلام فى قلوبهـم وكتبهـم ، وقـلوب النصـارى وكتبهـم . قـال : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » فقوله « لا يزال » يدل على زمان طويل . وقال : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » يعنى به « الكعبـة المعظمـة » التى اسسـها نوح وجـددها ابراهيم وعبر الله عن اليهود بأنهم « أهل المدينة » اى اورشليم ، المدينة المعروفة فى العالم ، فقال : « ومن أهل المدينـة مردوا على النفـاق لا تعلمهم . نحن نعلمهم . سنعذبهم مرتين » وهما مرتا الافسـاد والعلو الكبير . اذ انهم فى كل مرة يأتون . ليمكثوا زمنا يتحسرون فيه على مجدهم الضائع ، ثم يخرجون بعذاب أليم من أهل الاسلام . وحكى الله عن « نابلس » قرية السامريين ، وعن « أورشليم » قرية العبرانيين . أن بنى اسرائيل قالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم » اى هـلا كان النبى الأمى الآتى الى العالم من السامريين ، أو من العبرانيين ؟

هذا هو السؤال . وأما الاجابة فهى : أن هذه الأمور تكون بعد علامات . قال : « وستسمعون بالحروب ، وباشاعات عن الحروب ، فاياكم أن تفزعوا ، فلابد من حدوثها » لاحظ قوله : « فلابد من حدوثها » طبقا لما أنبأ دانيال فى الأصحاح الثانى الآية الثامنة والعشرين . وما أنبأ به دانيال لم يحدث فى مدة الأربعين . فان رجسة الخراب التى قال عنها دانيال فى الأصحاح التاسع ، الآية السابعة والعشرين و ١١ : ٣١ و ١٢ : ١١ تتم بعد أربعمائة وتسعين سنة . لا فى مدة الأربعين . والأنبياء الكذبة لم يظهروا قبل خراب تيطوس ، ـ كما يزعمون فى مدة الأربعين . فان « عقيبة » حكيم اليهود ومعلم المجمع أعلن فى نهاية الحرب اليهودية الثانية فى السنة ١٣٥ بعد الميلاد أنه هو « المسيح المنتظر » .

حادى عشر : صراع الناصريين المزدوج مع اليهودية والمسيحية

يعترف القسيس بصراع مرير بين الطوائف الثلاثة : اليهود ، والنصارى ـ الذين يسمون أيضا بالناصريين ـ ، والمسيحيون . ويقول : ان الطائفة الوسط سخرت من اليهود ، وسخرت من المسيحيين . وأظهرت لهما العداوة والبغضاء . غير أنه يكذب[١٩] ويقول : ان الطائفة الوسط آمنت بيسوع على أنه هو « المسيح » والمسيحيون آمنوا بيسوع على أنه هو « المسيح » والفرق هو فى التوراة . فالمسيحيون لا يعملون بها والنصارى بها يعملون . هذا كلامه .

وهو يلغو به فى الحق . وذلك لأن النصارى آمنت بأنه رسول المسيح ، لا المسيح نفسه . وآمنت بالعمل بالتوراة الى أن يظهر « المسيح الرئيس » نفسه .

---

(١٩) ذكر القسيس فى كتابه ان طائفة النصارى كان لها أناجيل خاصة بها . منها انجيل برنابا الذى فيه اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

والدليل على ذلك :

هو أن الوثائق التى ظهرت من قبل القرن الرابع أظهرت أن يسوع هو رسول المسيح ، لا المسيح نفسه . وكذلك تظهر التوراة والأناجيل الأربعة . وأظهرت أن الذين آمنوا به ، عملوا بالتوراة ولم يهملوها .

وقد بينا الكلام فى **الأمرين وهما :**

١ ــ نبوءات التوراة عن النبى الآتى . **على من تدل ؟**

٢ ــ ومن هو الناسخ للتوراة ؟

وهذان الأمران هما قوام الكلام فى نقد المسيحية وبيان حقيقتها على وجهها .

* * *

ونذكر ههنا لبيان أن طائفة المسيحيين هى التى على الباطل ، لا طائفة النصارى الأولى التى كانت قبل مجمع نيقية :

١ ــ أن بطرس توجه الى بيت « كرنيليوس » الأممى ، وأكل عنده . وطعام الأميين نجس فى عرف اليهود .

وأن اليهود المتنصرين خاصموه بقولهم : « لقد دخلت الى أناس غلف ، واكلت معهم » أى دخلت بيوت قوم غير مختونين على سنة موسى ، وأكلت معهم طعاما نجسا . ورد عليهم : أن الله قد أمرنى بذلك اذ أنزل على ملاءة فى الحلم ، وأنا فى جذب . فيها من جميع الأطعمة وسمعت صوتا ، يقول : « ما طهره الله لا تنجسه أنت » كما هو مبين فى الأصحاح العاشر من سفر الأعمال . وهل بطرس نبى ، حتى يأمره الله بتحليل وتحريم ؟

٢ ــ أن يعقوب أخا عيسى عليه السلام كان مركزه عظيما فى مجمع أورشليم . وله أتباع . وكان لبطرس أتباع . وحدث صراع بين يعقوب وأتباعه وبين بطرس وأتباعه . بشأن « شريعة موسى » هل يعمل بها أم لا ؟

وكان من رأى جماعة : أن اليهودى اذا دخل فى النصرانية يلتزم بشريعة موسى . وأن الأممى اذا دخل فى النصرانية يلتزم بشريعة موسى. وكان من رأى جماعة : أن الأممى لا يلتزم بها . وانما الذى يلتزم بها هو اليهودى .

وقد اجتمع مجمع أورشليم الأول سنة خمسين من بعد الميلاد لبحث هذا الموضوع . وقد انقسم المجتمعون الى ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى : هى طائفة بطرس وشيعته . وهى تصرح بأن لا يعمل الأمميون المتنصرون بالتوراة .

والطائفة الثانية : هى طائفة اليهود المتنصرون . وهى تصرح بأن يعمل المتنصرون بالتوراة من اليهود والأمم .

والطائفة الثالثة : هى طائفة يعقوب وهى تصرح بأن يعمل الأمميون بأحكام قليلة من التوراة .

وهى : أن يمتنعوا عما ذبح باسم الأصنام [٢٠] وعن الزنا ، وعن الدم، وعن المخنوق .

وهذا كله مبين فى الأصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال .

٣ ــ فى نهاية القرن الأول كان هناك عدد غفير من « الأسينيين » من وادى قمران ، قد انضم للنصرانية وأمروا بالعمل بشريعة موسى . وسموا النصارى بالابيونيين ، أى الفقراء والمساكين ، وانكروا التثليث والتجسد والفداء .

---

(٢٠) فى سورة الكهف « فلينظر ايها ازكى طعاما » اى طعاما لم يذبح باسم الاصنام ــ كما ورد فى قصتهم المكتوبة فى كتب السريان (راجع اعجاز القرآن ــ رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم » نشر الانجلو المصرية بالقاهرة) .

٤ — يقول القسيس : « ومع أن النصارى بعد خراب أورشليم ، انعزلوا عن المسيحيين تماما ، ورجعوا الى أورشليم واليهودية ، وازدادوا تمسكا باقامة التوراة مع الانجيل برغم تحذير رسالة العبرانيين لهم الا أنه نحو عام ثمانين ميلادية حرم السهندريم اليهودى « النصارى » من مخالطة اليهود في صلاتهم بتأثير « ربي غمالائيل » الثاني مضار « النصارى » — فصار النصارى ومعهم المسيحيون بالطبع — بدعة كافرة ، فى نظر اليهود ، أدخلوها فى حرم اللعنة ، الذى يكررونه كل يوم على المشركين وكان ضمن ما جاء فيه : « لا يكن للمرتدين رجاء ، ولتستأصل دولة الظلم سريعا على أيامنا ، وليضمحل فى لحظة ، النصارى والمشركون »[٢١] .

٥ — ويذكر أوسابيوس ، جامع التاريخ المسيحى فى تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ : « أن النصارى يقيمون التوراة والانجيل ، ويؤمنون بمولد المسيح المعجز من بتول . ويقولون : انه ابن الله وكلمة الله وحكمة الله . ولكن ذلك عندهم على المجاز ، لأنهم لا يعترفون بأزليته . أى بألهيته » .

* * *

نماذج من احاديث النصارى

٦ — يقول مؤرخو[٢٢] المسيحيين ان طائفة النصارى كان لها أناجيل .

١ — انجيل العبرانيين وهو انجيل من أناجيل النصارى . أخذته طائفة المسيحيين وسموه بانجيل متى . ويقول المؤرخون : ان العبرانيين هم اليهود المتنصرون . وهم حرفوا انجيل العبرانيين . ولم لا يقال : ان انجيل متى الآن محرف عن انجيل العبرانيين ؟ والتحريف فيه ظاهر بأمثلة ملكوت السموات التى هى فيه ، فانها تدل على تأسيسه بعد مملكة الروم .

---

(٢١) ص ٤٥ الكتاب الثانى والثمانون — القس صموئيل مشرقى .

(٢٢) نقلا عن المرجع السابق .

٢ ــ انجيل الطفولة . وفيه: أن يسوع وهو فى سن الخامسة أبدع من الطين فى يوم سبت اثنى عشر عصفورا حيا .

٣ ــ انجيل باسم يوحنا ــ هو غير الانجيل الموجود بيد المسيحيين اليوم ــ وفيه : أن أحد الفريسيين وبخ يوحنا على أتباعه يسوع ، وانحرافه مع سائر التلاميذ عن تقليد الآباء وسننهم .

٤ ــ انجيل اندراوس وبرثلماوس ويعقوب ابن زبدى ونيقوديموس، ومريم ، ويهوذا الاسخريوطى ــ الذى يقولون انه خان عيسى عليه السلام ــ فيهم : أن يسوع كلم مريم وهو فى المهد .

٥ ــ انجيل برنابا . فيه أن يسوع تكلم في المهد . وأنه بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

الثاني عشر : اعتراف القسيس علنا بان الاسلام دين باطل وان القرآن من تاليف اليهود والنصارى ، لا المسيحيين

يقول القسيس ما نصه :

« **المسيحية دين الدولة الرومانية وأثر ذلك على النصارى :**

سيطرت المسيحية على الدولة الرومانية مع قسطنطين الكبير ، ومن المجمع المسكونى الأول عام ٣٢٥ الى الرابع عام ٤٥١ ، وقع هذا المذهب الوسيط « النصارى » بين نارين : نار بنى قومهم « اليهود » ، ونار بنى دينهم « المسيحيين » وكان عددهم يتضاءل بانكماشهم على أنفسهم . ولكن ماذا حل بهم بعدئذ ؟ هل ذابوا فى المسيحية ، أو فى اليهودية ، أم فى غيرهما ؟

يقول بعضهم ان قسما منهم عاد الى اليهودية ، وقسما اندمج فى المسيحية . على أن الكنيسة المسيحية نفسها ، كانت كلما تزدهر ، تبتعد

عن مهدها بتحررها من « النصرانية » ــ المذهب الوسط ــ كتحررها من اليهودية نفسها .

ولكن من الباحثين المدققين من يرى بأن النصارى من بنى اسرائيل لم يذوبوا فى اليهودية ولا فى المسيحية ، وانما هاجروا من دولة الروم الى الحجاز ــ الحاجز بصحاريه بين دولتى الروم والفرس ــ لأن أطراف الجزيرة العربية كانت قد دانت بالمسيحية ــ اذ كان ضمن اليهود الموجودين فى يوم الخمسين يهود عرب ممن آمنوا بالمسيح ــ ومن هنا كان وجود النصارى فى الحجاز .

وقد استوطنوا مكة ، لأن اليهود كانوا قد تغلغلوا الى « الطائف » و « يثرب » .

وقد ظهر بين النصارى أساقفة . كأسقف « نجران » وقساوسة . منهم « قس ابن ساعدة » و « ورقة ابن نوفل » قس مكة النصرانى .

تلك « الأمة الوسط » بين اليهودية والمسيحية ، كانت تعتبر نفسها أمة يسوع الناصرى وتتسمى « النصرانية » باسمه ، وقد نشرت دعوتها فى الجزيرة كلها ، فكانت بذلك الدافع الخلفى الذى مهد لظهور الاسلام[٢٣] .

ولقد ظل اختفاء « النصارى » من اسرائيل من العالم المسيحى ، بدولة الروم ، لغزا تاريخيا . حير المؤرخين ، حتى كشفت عنه المصادر الاسلامية . ومن الأوصاف التى وردت عنهم والعقائد التى تمسكوا بها . تحقق : أنهم ذابوا فى الاسلام الذى دعوا اليه . وهذا هو لغز اختفائهم

---

(٢٣) لاحظ قول القسيس : « فكانت بذلك الدافع الخلفى الذى مهد لظهور الاسلام » وهو يعنى به : أن محمد تلقى تعاليمه المناوئه للمسيحية من النصارى . وأن ما فى القرآن عنهم هو منهم ، لا من الله .

فى العالم الاسلامى بالذات ، لذوبانهم فيه . فأصبحوا بذلك مصدر ولادة الاســلام !

يدل على ذلك : موقف « النصارى » من الأناجيل ، فقد اعتمدوا الانجيل بحسب متى وحــــده . لأنه كتب لهم أولا ونزل بلغتهم ودون بحرفهم انعبرانى ولغتهم الأرامية .. ولكنهم أهملوا الأناجيـــــل الثلاثة الأخرى لأنها موجهة لغيرهم وبلغة الأميين ، وأهملوا حتى الرسائل الجامعة الموجهة اليهم مع الرسالة الى العبرانيين ... كانت هذه هى حقيقة الانجيل عندهم وأضافوا اليها التمسك بالتوراة .

وقد حملت « النصرانية » هاتين الظاهرتين عند هجرتها الى الحجاز فهى لم تعرف الا « الانجيل » على المفرد المطلق ، كما أنها كانت تتميـــز بالجمع بين موسى وعيسى على صعيد واحد ، واقامة التوراة والانجيل معا !!

وقد صار المسيح فى نظرهم بشرا محضا .

وفيما سردناه من تاريخ « النصرانية » رأينا ما انتهى اليه أمرها من عودتها الى الظهور فيما بعد[1] فى شكل عام هو الذى ظهر فى أعقاب المسيحية » (انتهى كلامه بنصه)

التعـــليق :

لقد جاهر القسيس بعداوته للمسلمين . بقوله : ان النصارى الذين كانوا من قبل مجمع نيقية هم « الدافع الخلفى الذى مهد لظهور الاسلام » أى أنهم هم الذين علموا محمدا صلى الله عليه وسلم ما يخالف الذى عليه المسيحيون الآن . وغمز ولمز فى القرآن بذكره أسـقف « نجران » فى « اليمن » وقسيس « مكة » .

وقال : ان النصارى دخلوا فى دين الاسلام . الذى دعوا اليه .

---

(١) يعنى عودتها فى شخص الاسلام .

وهذا اعتراف منه بأن المسيح عيسى عليه السلام وأتباعه كانوا يدعون الى الاسلام .

وكرر الغمز واللمز فى القرآن بقوله : « فأصبحوا بذلك مصدر ولادة الاسلام » .

أى أنهم هم الذين أوحوا الى محمد صلى الله عليه وسلم كل ما ذكره عن اليهود والمسيحيين والنصارى . لا الله نفسه .

* * *

وقد علم الله أنهم سيقولون ذلك . فقال : « ولقد نعلم أنهم يقولون: انما يعلمه بشر » هذا قولهم . ورد عليه بقوله : « لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين » .

أى الانجيل بلغة اليونان ، وباللغة الآرامية ـ التى هى السريانية ـ والتوراة بالعبرانية واليونانية والآرامية . ومحمد صلى الله عليه وسلم وقومه يتكلمون بلسان عربى مبين .

* * *

وقال القسيس : ان ما يدل على تأثير النصارى فى القرآن : أنه قال انجيل . ولم يقل أربعة أناجيل . وحيث ان النصارى كان لهم واحد . والقرآن قال واحد . فانه يكون قد أخذ من النصارى لا من المسيحيين[٢٤] والقسيس يغالط . فان مرقس ولوقا هما شبه متى . فالثلاثة واحد . ولذلك يسمون بالأناجيل الازائية . أى المتشابهة . وهم كلهم قد نقلوا عن واحد . يسميه المسيحيون « الانجيل الذى يقف خلف الأناجيل » . ثم حرفوا المنقول بوضعهم فيه ما يلبس الحق بالباطل .

وقال القسيس : ان النصرانية عادت اليا لظهور فى شكل دين عام هو الذى ظهر فى أعقاب المسيحية . يريد أن يقول : ان المسلمين هم طائفة النصارى ، الذين كانوا فى الزمان من قبل مجمع نيقية سنه ٣٢٥ م وقوله

---

(٢٤) كل مسيحى نصرانى . وليس كل نصرانى مسيحى .

مقتبس من قول الناس للمسيحيين : ان الوثنيين عباد الأصنام هم طائفة المسيحيين التى أنشأها « قسطنطين » لتحل محلهم فى مملكته .

وقول القسيس : « سيطرت المسيحية على الدولة الرومانية مع قسطنطين الكبير » صحته : سيطرت الدولة الرومانية على المسيحيين بقوة « قسطنطين الكبير » وأجبرتهم على تحريف أقوال يسوع ، وكتب الشريعة والأنبياء .

* * *

الثالث عشر :

« ولما ضرب ابن مريم مثلا »

يقول القسيس : ان النصارى ــ ويعنى هو بهم اليهود المتنصرين قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ــ قالوا لمحمد : ان ابن مريم ضرب مثلا فى الشهادة ، لا فى الفداء . والحق[٢٥] أنه ضرب مثلا فى الفداء لا فى الشهادة . يقول ما نصه : « أن الردة عن « المسيح »[٢٦] كانت بالنسبة لهم : الكفر بألوهيته ، بانكارهم أنه « ابن الله »[٢٧] والكفر بصلبه ، ومعنى الفداء فى تضحيته . وهذا الكفر المزدوج هو ما يميز شيعة النصرانية ، من سنة المسيحية ، فابتدأوا يرون فى رسالته ، شهادة ، لا فداء ــ مثلا لبنى اسرائيل ــ لا فداء للعالمين »[٢٨] .

البيــان :

يقول الله فى القرآن الكريم :

« ولما ضرب ابن مريم مثلا . اذا قومك منه يصدون . وقالوا :

---

(٢٥) والحق : فى نظر القسيس .

(٢٦) يعني بالمسيح : عيسى عليه السلام .

(٢٧) ابن الله : هو لقب من القاب « المسيا الذى تفسيره المسيح » والمعنى : انهم انكروا أنه النبى الأمى المماثل لموسى (تث ١٨ : ١٥ ــ ٢٢) .

(٢٨) ص ٥٧ النصرانية ــ المذهب الوسط .

أآلهتنا خير ، أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا . بل هم قوم خصمون . ان هو الا عبد ، أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل »[٢٩] .

ويفرق القسيس بين كون ابن مريم مثلا ، بمعنى :

١ — شهادة .

٢ — أو فداء . ويقول : ان المراد بالمثل : الفداء للبشرية من الخطايا والآثام . ويقول : ان المرتدين عن الايمان بعيسى عليه السلام ارتدوا لأنه فى نظرهم ليس هو النبى الآتى الى العالم ، الملقب بالمسيا ، أو المسيح ، أو ابن الله ، أو ابن الانسان .

الرد عليـــه :

نصوص الأناجيل تبين : أن « المسيح عيسى بن مريم » عليه السلام

(أ) ليس فـداء .

(ب) وانما هو شهادة .

أي : دلاله وبرهانا وحجة على قدرة الله ، على ما يشاء ، وقد أظهر الحقيقة لبنى اسرائيل وللعـالم ، عن « النبى الأمى الآتى » ، عوضا عن موسى بن عمران — عليه السـلام — وصرح فى بدء دعـــوته باقتراب « ملكوت السموات » الذى سيتأسس فى الأرض بعد مملكة الروم — المرموز اليها فى سفر دانيال بالمملكة الرابعة — وقد صرح علماء التلمود بأن ملكوت السموات ، سيظهر عقب مملكة الروم . وصرحوا بأن خلاص بنى اسرائيل من ذل الكفار ، سيكون على يد النبى الأمى الآتى . وأنه اذا فنت دولة الروم ، سيتحقق الخلاص .

يقول الربى دافيد كيمشى : « أيتها الشعوب لتسمعى ، لأنه حينما

---

(٢٩) الزخرف ٥٧ — ٥٩ .

تحطم روما ، سوف تستعيد اسرائيل الحياة » ويقول الربى أبراهام في كتابه « تسبيرور هامور » : « فور سقوط روما ، سوف نستعيد الحياة »[٣٠] .

والذى أزال دولة الروم هو « محمد رسول الله » لا « المسيح عيسى بن مريم » فخلاص بنى اسرائيل من الكفار وفتح المؤمنين منهم ومن بنى اسماعيل لبلاد الأمم ، لنشر الدين بالحرب والقتال ، كان على يد محمد رسول الله ولم يكن على يد المسيح عيسى بن مريم فانه قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مر ١٢:١٧) .

وقد غير المسيحيون معنى الخلاص من الخلاص من الكفار بالحرب ، الى الخلاص من الخطايا والذنوب .

وذلك منهم للغو فى أوصاف النبى الأمى الآتى الى العالم ، لما رأوا أن المسيح عيسى بن مريم لم يملك ولم يحارب ولم ينتصر .

* * *

والآن الى ذكر نصوص من الأناجيل تبين أن « مثلا » هى شهادة عن النبى الأمى الآتى الى العالم :

أولا : شهد عيسى عليه السلام بأنه على دين موسى . فانه لما شفى الأبرص باذن الله ، قال له : « اذهب الى الكاهن ، فأره نفسك ، ثم قرب عن برئك ما أمر به موسى ، شهادة لديهم » (لو ٥ : ١٤ ، مر ١ : ٢٤ ، متى ٨ : ٤) وهى شهادة تبين طاعته للشريعة .

ثانيا : سمى عيسى عليه السلام انجيله بأنه شهادة حسنة منه عن النبى الآتى ، للأمم ، ولبنى اسرائيل . فقال : « وستعلن بشارة الملكوت هذه ، فى المعمور كله ، شهادة لدى الوثنيين أجمعين . وحينئذ تأتى النهاية »

---

(٣٠) ص ١٤٥ فضح التلمود ـ الاب آى بى برانايتس ـ اعداد زهدى الفاتح ـ دار النفائس بيروت .

(متى ٢٤ : ١٤) والمراد بالنهاية عند مفسرى الانجيل : نهاية التدبير الالهى الحاضر ، واقامة « ملكوت الله » على وجه نهائى •

وقال لتلاميذه : « وحيثما دخلتم بيتا • فأقيموا فيه الى أن ترحلوا ، وان لم يقبلكم مكان ، ولم يستمع فيه الناس اليكم ، فارحلوا عنه نافضين الغبار ، من تحت أقدامكم ، شهادة عليهم » (مر ٦ : ١٠ — ١١ لوقا ٩ : ٤ — ٥) « وقال لهم : اذهبوا فى العالم كله ، وأعلنوا البشارة الى الخلق أجمعين » (مر ١٦ : ١٥) •

« يجب على أن أبشر سائر المدن أيضا بملكوت الله ، فانى لهذا أرسلت ، وأخذ يبشر فى مجامع اليهودية » (لو ٤ : ٤٣) •

وقال كتاب الأناجيل : ان المسيح عيسى عليه السلام نهى التلاميذ أن يشهدوا بأنه هو النبى الأمى الآتى الى العالم : ومن ذلك : « فنهاهم بشدة أن يخبروا أحدا بذلك » (لو ٩ : ٢١) •

وفى حديث عيسى عليه السلام عن « بيراكليت • الروح القدس » أى أحمد المصطفى من الله الطاهر ، لأداء رسالة مقدسة • قال : « ومتى جاء المؤيد ، الذى أرسله اليكم ، من لدن الآب ، روح الحق ، المنبثق من الآب ، فهو يشهد لى ، وأنتم أيضا تشهدون ، لأنكم معى منذ البدء » (يو ١٥ : ٢٦ — ٢٧) والمؤيد — فى ترجمة دار المشرق — هو « المعزى » — فى ترجمة البروتستانت — وهى فى الأصل اليونانى « بيركليتوس » والمعنى : انكم يا تلاميذى تشهدون أنى بشرت به وتكلمت عنه كلاما حسنا • فان أناجيلكم على طول الزمان تنوب عنكم فى أداء الشهادة • وهو اذا جاء يدل مجيئه على أننى كنت صادقا فيما قلته عنه •

وقال فى نهاية أيامه لله عز وجل : « كما أرسلتنى الى العالم ، فكذلك أنا أرسلتهم الى العالم » (يو ١٧ : ١٨) وقال لبيلاطس : « وأنا ما ولدت ، وأتيت للعالم ، الا لأشهد للحق » (يو ١٨ : ٣٧) •

* * *

وبعد ما ذكرنا نصوصا تدل على أن « مثلا » هى شهادة لافداء .

نذكر نصوصا تدل على أن المسيح عيسى ابن مريم صرح بأنه ليس عند الله محاباة ، ولن يكون هو شفيعا للفجار ، وفاعلى الاثم :

(أ) يقول مفسرو الانجيل : « عرف الكتاب المقدس والدين اليهودى طريقتين لتقديس الله أو اسمه :

١ — يدعو علماء الشريعة والربانيون فى الارشادات التى يلقونها على المؤمنين الى تقديس الله بطاعته لوصاياه والى الاعتراف بسلطته عليهم (اح ٢٢ : ٣٢ وعد ٢٧ : ١٤ و تث ٣٢ : ٢١ و اش ٨ : ١٣ و ٢٩ :١٣) .

٢ — ويعلن الأنبياء فى أقوالهم فى الخلاص الآتى : أن الله سيكشف عن قداسته بظهوره كالديان العادل والمخلص على عيون جميع كل الأمم (اش ٥ : ١٦ حز ٢٠ : ٤١ و ٢٨ : ٢٢ و ٢٥ و ٣٦ : ٢٣ و ٣٨ : ١٦ و ٢٣ و ٣٩ : ٢٧) .

* * *

هذا هو اعتراف مفسرى الانجيل . ومنه يظهر استشهادهم بنصوص التوراة التى تبين أن العمل بالشريعة عليه مدار النجاة فى الدار الآخرة ففى سفر الأحبار : « فاحفظوا وصاياى ، واعملوا بها . أنا الرب . ولا تدنسوا اسمى القدوس » (اح ٢٢ : ٣١ — ٣٢) وفى سفر العدد ، يعلن الله عن ايذائه لبنى اسرائيل بقوله : « لانكما عصيتما أمرى » (عد ٢٧ : ١٤) .

(ب) قال عيسى عليه السلام : « لا تدينو لئلا تدانوا . فكما تدينون تدانون ، ويكال لكم بما تكيلون » (متى ٧ : ١ — ٢) .

(ج) وقال المسيح : « ليس من يقول لى : يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل من يعمل بمشيئة أبى الذى فى السماوات . فسوف يقول لى كثيرا من الناس فى ذلك اليوم : يارب يارب أما باسمك تنبأنا ؟ وباسمك

طردنا الشياطين ؟ وباسمك أتينا بالمعجزات الكثيرة ؟ فاقول لهم علانية : ما عرفتكم قط ، اليكم عنى أيها الأثمة • فمثل من يسمع كلامى هــذا فيعمــل به • كمثــل رجــل عاقــل بنى بيتــه على الصــخر •• الخ » (متى ٧ : ٢١ —) •

وأما عن خلاص بنى اسرائيل من أعدائهم على يد النبى المنتظر :

فان موسى عليه الســلام قال عن النبى المنتظر : انه سيكون ملكا ، ورئيسا مطاعا • ليس على بنى اسرائيل من دون الناس ، بل على كل من يؤمن به من الأمم والشعوب • ومن لا يؤمن به من الأمم والشعوب ، فانه سيحاربهم ، ويفتح بلادهم ، ففى سفر التثنية يقول الله تعالى : انه سيحاسب من لا يسمع لكلام الله الذى سيبلغه له النبى•وهذا الحساب هو عقاب له على عدم السماع • ذلك قوله : « وأى رجل لم يسمع كلامى الذى يتكلم به ، باسمى ، فانى أحاسبه عليه » (تث ١٨ : ١٩) ويضع مفسرو الانجيل رمز (خـــر ٣ : ١٩) امام ذلك القول ونصـــه : « وقد علمت : أن ملك مصر ، لن يدعكم تذهبون ، حتى ولا بيد قوية ، فأمد يدى ، وأضرب مصر ، بجميع عجائبى ، التى أصنعها فى وسطها • وبعد ذلك يطلقكم » (خر ٣ : ١٩) يعنون بالرمز : أنه كما أهلك الله الذين قاوموا موسى ، كذلك يهلك الذين يقاومون النبى الآتى على مثاله •

وفى نص التوراة عن بركة اسحق : « وأباركها • فتصير أمما ، وملوك شعوب منها ، يكونون » (تك ١٧ : ١٦) واسماعيل مبارك فيه • وذلك لقوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه • وهاءنذا أباركه ، وأنميه ، وأكثره جــدا جــدا ، ويلد اثنى عشر رئيســا ، واجعله أمة عظيمــة » (تك ١٧ : ٢٠) والمبارك فيه ، يصير أمما ، وملوك شعوب منه ، يكونون • وقد بدأت بركة اسحق من موسى • وتبدأ بركة اسماعيل من النبى الأمى الآتى على مثاله • ومن عادة الملوك فتح البلاد ، ومحاسبة المخالفين ، ومنع تسلطهم على شعوبهم •

ويعبر بنو اسرائيل عن منع تسلط الكفار عليهم فى زمان النبى الآتى — الذى يلقبونه بالمسيا ، أى المسيح — بالخلاص من أعدائهم ، ومن جميع مبغضيهم . ويقولون : ان المخلص هو الله تعالى . لا أنه سينزل بنفسه الى الأرض ، وهو ممسك بسيف فى يده ليحارب الأعداء وحده ، فان الله لا مثل له ، ولا كفء له . وانما بواسطة جنوده فى السموات ، وفى الأرض ، سيخلص المؤمنين بالنبى الآتى من أعدائهم ، ومن جميع مبغضيهم . وأحيانا يعبرون عن النبى الآتى بالمخلص وبالمنقذ . وذلك لأنه هو واتباعه ، سيبدأ بهم زمن الخلاص من الأعداء . وقد عبر لوقا عن الخلاص بقوله :

« كما قال بلسان أنبياءه الأطهار فى الزمن القديم : يخلصنا من أعدائنا ، وأيدى جميع مبغضينا » (لو ١ : ٧٠ — ٧١) .

وقد اقتبس قوله من المزمور المائة والحادى عشر « أرسل الفداء لشعبه . أوصى للابد بعهده » (١١٠ : ٩) .

وقد صرح لوقا بأن النبى اشعياء بين أن الخلاص على يد النبى الآتى ، هو خلاص من الأعداء بالحرب والقتال . فقال فى الأصحاح الثالث : « على ما كتب فى سفر أقوال النبى اشعياء : صوت مناد فى البرية : أعدوا طريق الرب ، واجعلوا سبله قويمة . كل واد يردم ، وكل جبل وتل يخفض . والطرق المنعرجة تقوم ، والوعرة تسهل . وكل بشر يرى خلاص الله » .

وقوله : « وكل جبل وتل يخفض » هو استعارة فى نظر اشعياء على أن الله سيذل عظماء هذا العالم الكافرين (اش ٢ : ٢ — ١٤ وخر ٦٨ : ١٦ — ١٧) ولا شك أن لوقا يضفى عليها المعنى نفسه (راجع : لو ١ : ٥٢ و ١٤ : ١١ و ١٨ : ١٤) .

هذا نص كلام مفسرى انجيل لوقا . وهو يدل على أن الخلاص على يد النبى الآتى ، سيكون خلاصا من الأعداء بالحرب والقتال .

* * *

— والنص فى اشعياء يدل على الحرب والقتال • وهو : « صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب ••• » الى أن يقول : « هو ذا السيد الرب بقوة يأتى ، وذراعه تحكم له ••• هو ذا الأمم كنقطة من دلو ، وكغبار الميزان تحسب • هو ذا الجزائر يرفعها كدقة • ولبنان ليس كافيا للايقاد ، وحيوانه ليس كافيا لمحرقة • كل الأمم كلا شيء قدامه • من العدم والباطل ، تحسب عنده • فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟ •• الخ » (اش ٤٠) •

— ويقول حزقيال عن أورشليم حال دخول اتباع النبى الآتى فيها : « ويسقط الجرحى فى وسطها بالسيف » (حز ٢٨ : ٢٣) وقول حزقيال هذا ، يدل على أن الخلاص على يد النبى الآتى من الأعداء ، سيكون بالحرب •

— ويقول النبى داود عليه السلام عن النبى الآتى • الملقب منهم أيضا بلقب المسيح — أو المشيح — : والنص أنقله ههنا من ترجمة دار المشرق سنة ١٩٨٦ بلبنان ، مع تعليقهم عليه :

النص :

« اللهم ، هب للملك حكمك	ولابن الملك عدلك
فيقضى بالبر لشعبك	وبالانصاف لوضعائك
لتحمل الجبال للشعب سلاما	والتلال برا
وضعاء الشعب ينصفهم	وبنو المساكين يخلصهم
والظالمون يسحقهم	من جيل الى جيل •
يبقى[٣١] تحت الشمس والقمر	من جيل الى جيل
ينزل كالمطر على العشب	وكالرذاذ الذى يسقى الأرض

---

(٣١) بحسب النص اليونانى . فى النص العبرى : « يخشونك » .

البر[٣٢] في أيامه يزهر   والسلام يعم الى أن يزول القمر[٣٣]

ويملك من البحر الى البحر   ومن النهر الى أقاصي الأرض[٣٤]

أمامه أهل البادية[٣٥] يركعون   وأعداؤه التراب يلحسون

ملوك ترشيش والجزر الجزية يؤدون

وملوك شبأ وسبأ الهدايا يقدمون .

جميع الملوك له يسجدون   وكل الأمم له يخدمون

لأنه ينقذ المسكين المستغيث   وكل الأمم له يخدمون .

والبائس الذي بلا نصير .   يعطف على الكسير والمسكين

من الظلم والعنف يفتدي نفوسهم   ويخلص نفوس المساكين .

ليحي ويعط[٣٦] ذهب شبأ   ودمهم في عينيه ثمين

في كل حين يدعون له   وطوال النهار يباركونه .

وفرت الحنطة في البلاد   وتموجت على رؤوس الجبال

كلبنان اذ أخرج ثماره وأزهاره   واذ أخرجت الأرض عشبها :

اسمه للأبد يكون   وتحت الشمس يدوم

تتبارك به قبائل الأرض كلها[٣٧]   وتهنئه الأمم جميعها

---

(٣٢) في النص العبري « البار » (راجع ار ٢٣/٥ وزك ٩/٩) . « البر » في الترجمات القديمة .

(٣٣) يدوم عصر المشيح الى انقضاء الدهر .

(٣٤) حدود فلسطين المثالية (راجع قض ٢٠/١ +) .

(٣٥) او « الوحش » . هذه العبارة تدل على الحيوانات او الشياطين التي تسكن البراري (اش ١٣/٢١ و ٣٤/١٤ وار ٥٠/٣٩ وحز ٣٤/٢٨ ؛ وهي تشير الى الدول الوثنية المنهارة (راجع اش ٢٧/١ ودا ٧/٣ ورؤ ١٣/١ الخ) .

(٣٦) في النص العبري « ويعط » ، « ويعط » في الترجمات القديمة .

(٣٧) بحسب النص اليوناني ، وقد اهمل النص العبري : « قبائل الأرض كلها » .

تبارك الرب الاله اله اسرائيل الصانع العجائب وحده
وتبارك للأبد اسمه المجيد ولتمتلىء الأرض كلها من مجده
آمين ثم آمين » ا ه .

* * *

ـ وفي مزامير سليمان عليه السلام : أن النبى الآتى سيكون مخلصا من الأعداء .

فالمزمور السابع : ٣٣ ـ ٣٤ يقول : ان المسيا سوف يأتى ، وتخضع له كل الشعوب ، وسيعطى المجد والملك لاسرائيل .

* * *

ـ وتعبير « وعود آخر الأزمنة » وتعبير « الأيام الأخيرة » وتعبير « يوم الرب » عند أهل الكتاب ، كل تعبير يدل على اليوم الذى يظهر فيه المسيا الرئيس ـ وهو النبى الآتى الى العالم ـ وآخر الأزمنة : هو نهاية بركة اسحق فى الأمم . ويوم الرب : هو اليوم الذى يظهر فيه المسيا ، ويحارب أعداءه ، ويخلص أتباعه من أيديهم . وأنقل ههنا نصا من كتاب « معجم اللاهوت الكتابى » عن « الخلاص » .

النص :

« وعود آخر الأزمنة : انه فى ساعة محن الأمة الشديدة ، كان اسرائيل يتطلع الى الله بثقة تامة فى أنه سوف يتدخل ليخلصه (راجع ميخا ٧:٧) . ويصبح لقب « المخلص » محور الكلام عن نهاية الأزمنة التى تنبأ عنها الأنبياء (صفنيا ١٧:٣ ، اشعيا : ٢٢ ، ٣:٤٣ ، ١٥:٤٥ و٢١ ، ١٦:٦٠ ، باروك ٢٢:٤) .

أما التنبؤات المتعلقة « بالأيام الأخيرة » ، فانها تصف خلاص اسرائيل النهائى بمظاهر مختلفة . قال ارميا ان الرب سوف يخلص شعبه باعادتهم الى أرضهم (أرميا ٧:٣١) ، وبارسال الملك « المسيا » اليهم (ارميا ٦:٢٣) .

وقال حزقيال ان الرب سوف يخلص غنمه بارجاعهم الى مراع حسنة (حزقيال ٢٢:٣٤) • سوف يخلص شعبه من كل نجاساتهم باعطائهم موهبة روحه • (حزقيال ٢٩:٣٦) • ان رسالة العزاء ، والكتب المماثلة، تتحدث دوما عن الاله الذى يأتى ليخلص شعبه (اشعيا ٤:٣٥) ، وكل الأرض علاوة على اسرائيل (اشعيا ٢٢:٤٥) •

الخلاص هو النتيجة الجوهرية لبره الظافر (راجع ١:٦٣) • ولكى يتممه سوف يرسل عبده (اشعيا ٦:٤٩و٨) • ولذا فان هاتين الكلمتين « البر » و « الخلاص » تتجهان الى التعبير تعبيرا فنيا ونوعيا عن عماه فى آخر الأزمنة ، والذى سبق الوعد به من قبل بحماسة (اشعيا ١٣:٤٦، ٧:٥٢ــ١٠ ، ١:٥٦ ، ١٧:٥٩ ، ١٠:٦١ ، ١:٦٢) •

بل انه أكثر مما حدث فى تاريخ اسرائيل ، سيكون اختبار هــذا الخلاص محفوظا لبقية مختارة (عاموس ١٢:٣ ، ١٥:٥ ، ٨:٩ ، اشعيا ١٠ : الى ٢١ ، ٥:٢٨) : وقبل أن يأتى الخلاص يتم هنـا على الأرض قضاء الله •

أما الأوصاف اللاحقة للسبى عن يوم الرب ، فانها ستتغنى بفـرح الخلاص (اشعيا ٢:١٢ ، ٩:٢٥) ، الذى يعطى لكل من يدعون باسـم الرب (يوئيل ٥:٣) وكل المكتوبين فى كتابه (دانيال ١:١٢) •

وأخيرا تصف حكمة الاسكندرية خلاص الأبرار فى اليوم الآخـر (حكمة ٢:٥) • وهكذا نرى فى هذه الآيات الكثيرة أن فكرة الخلاص تزداد ثراء بفضـــل سلسلة التناغمات ولعلاقتها بملكوت اللـه ، تكـون مرادفة للسلام وللسعادة (اشـعيا ٧:٥٢) وللتطهير (حزقيال ٢٩:٣٦) وللتحرير (ارميا ٧:٣١) •

أما الوسيط البشرى فى الخلاص ، وهو ملك آخر الأزمنة ، فانه يستحق أيضا أن يطلق عليه لقب « المخلص » (زكريا ٩:٩ بحسب الترجمة

يوم ظهور المسيا بملكوته .

السجينية) . لأنه سوف يخلص البائسين المساكين (مزمور ٧٢:٤و١٣).
وكل هذه العناصر من التنبؤات تعتبر تمهيدا مباشرا للعهد الجديد .

خلاص الله فى صلوات بنى اسرائيل

واذ لنا مثل هذه الخلفية من الاختبارات والنبؤات التاريخية ، فاننا نجد أن صلاة اسرائيل تخص موضوع الخلاص بمكانة رائعة جدا .

١ — يقينية الخلاص : الخلاص هبة من الله هو اليقين الرئيسى . ولكى ندعمه يمكن أن نذكر اختبارات غزو شعب الله لأرضهم (مزمور ٤٤:٤ و٧—٨) . لا فائدة من الثقة بكبرياء فى القدرة البشرية (مزمور ١٦:٣٣—١٩) . فخلاص الصديقين يأتى من الرب (مزمور ٣٧—٣٩ —٤٠) ، انه هو نفسه الخلاص (مزمور ١:٢٧ ، ٣:٣٥ ، ٦٢: ٧) .

هذه العقيدة تؤيدها اختبارات كثيرة كم من شخص كان فى الأخطار فخلصه الله لما صرخ اليه (مزمور ١٣:١٠٧ و١٩ و٢٨ ، راجع ٦:٢٢) . وهنالك صلوات شكر كثيرة تشهد لتصرفات كهذه (مثلا مزمور ١١٨: ١٤) ، وصلوات أشخاص خلصوا من الخطر (مزمور ٢٠:١٨) ، ومن المحن والشدائد (سيراخ ١١:٥١) ، ومن الموت الذى كان على وشك أن يحدث (مزمور ٦:١١٦) .

ان الأسفار الأخيرة في الكتاب المقدس يطيب لها ان تتحدث مرارا عن أحداث كهذه : خلاص الفتية الثلاثة من النار (دانيال ٢٨:٢—٩٥) ، واخراج دانيال من جب الأسود (دانيال ٦ : ٢٨) . لأن الله يخلص دوما الانسان الذى يرجوه (دانيال ٦:١٣) ، وهو يكفل هذا لكل خدامه (مزمور ٩١: ١٤—١٦) ، كما وعد به شعبه (مزمور ٢٦:٦٩) ومسيحه مزمور ٧:٢٠) .

وقد ذكرت المزامير كل طالبي الله ، الذين اعتاد أن يخلصهم عندما يطلبونه : كالأبرار (مزمور ١٦:٣٤ و١٩) والمساكين (مزمور ٧:٣٤ ، ٣١:١٠٩) ، والمتواضعين (٢٨:١٨ ، ١٠:٧٦ ، ٤:١٤٩) ، والصغار (٦:١١٦) ، والمضطهدين (١٧:٥٥) والمستقيمى القلوب (١١:٧) ، والمنسحقى الأرواح (١٩:٣٤) ، وبصفة عامة كل متقيه (١٩:١٤٥) • هذا ما يبعث فى النفس الثقة ، ويدفعها الى الصلاة •

٢ ـ الالتجاء الى الله المخلص: يتوسل المتضرعون الى الله على أساس أنه هو المخلص (سيراخ ٢:٥١) ، « مخلص من ليس لهم رجاء » (يهوديت ١١:٩) ، ، أو هو « اله خلاص » (مزمور ١٦:٥١ ، ٩:٧٩) ، وتقوم صلاتهم على كلمة واحدة « يا رب خلص » (مزمور ٢٥:١١٨) ، «خلصنى فأخلص » (ارميا ١٤:١٧) •

أما بقية صلوتهم فانها تذكر عادة الظروف الواقعية ، مثل تلك التى يجد فيها كل امرىء نفسه فى بعض الأوقات : فى اختبار وقلق (مزمور ٢:٨٦) ، أو فى اخطار داهمة ومميتة (٢:٦٩و٢٥) ، أو فى اضطهاد من الأعداء (٢٢:٢٢ ، ١٢:٣١ و١٦ ، ١:٤٣ ، ٢:٥٦) ، وفى بعض الأحيان يستجيب الرب نفسه الصلاة بنبوة عن الخلاص (مزمور ٢:١٢و٦) •

وعلاوة على الصلوات الفردية ، فان الروح الاسرائيلية تبتهل فى أمانيها ملتمسة خلاص آخر الأزمنة الذى وعد به الأنبياء (راجع ٧:١٤، ٣:٨٠ـ ٨ و٢٠) : « خلصنا ايها الرب الهنا واجمعنا من الأمم » (مزمور ٤٧:١٠٦) •

وهنا أيضا قد يستجيب الرب لنبيه (مزمور ٥:٨٥و٨و١٠) • وكان لرسالة العزاء تأثير قوى جدا ، حتى ان بعض المزامير ترنمت مقدما عن ظهور الخلاص الذى تنبأت به الرسالة (مزمور ٢:٩٦ ، ١:٩٨ـ٣) • بينما تعبر مزامير أخرى عن رجاء الشعوب بالفرح بهذا الخلاص (مزامور ١٤:٥١) •

وخلال كل هذه الآيات نرى كيف أن روح اسرائيل ، على عتبة العهد الجديد ، كانت تنزع الى الخلاص الذى كان المسيح على وشك المجىء به الى العالم » أ ه .

انتهى كلامهم بنصه عن خلاص بنى اسرائيل والأمم من المستكبرين على يد النبى الآتى وأتباعه . النبى الأمى ، الذى يلقبونه بلقب «المسيح» .

* * *

وأنقل ههنا نصا من « معجم اللاهوت الكتابى » طبعه دار المشرق سنة ١٩٨٦ م بلبنان ، عن « المسيا المنتظر » يظهر منه أن الخلاص على يد المسيا ، سيكون خلاصا من الأعداء بالحرب ، لا خلاصا من خطايا بنى آدم كما يزعم المسيحيون .

النص :

« مسيا »

ان لفظة «مسيا» ، المنقولة عن اللغتين العبرية والآرامية ، ولفظة « خريستس » المأخوذة عن اللغة اليونانية ، تعنيان كلاهما « مسيح » ، أى الذى مسح .

العهد القديم :

فى العهد القديم كانت لفظة المسيح (الذى مسح) تنسب أولا الى الملك ، ثم أطلقت أيضا على شخصيات أخرى ، وخاصة على الكهنة . غير أن الاستعمال الأول هو الذى طبع آثاره أكثر من غيره ، فى مفهوم اليهود الاسكاتولوجى [٣٨] وفى تبلور رجاء اسرائيل .

من الملك الى المسيا الملك

١ ـ مسيح الرب فى التاريخ :

بفضل المسح بالزيت الذى يرمز الى تقليد السلطة من قبل روح الله (١ صموئيل ١٦:٩ ، ١:١٠ ، ١٠: ، ١٣:١٦) ، كان الملك يكرس

---

(٣٨) الخاص بالأزمنة الأخيرة .

نوظيفة تجعل منه نائب الله فى اسرائيل • ويشكل هذا التكريس طقسا هاما من طقوس التنصيب الملكى (راجع قضاة ٨:٩) • ولذا نجد الكتاب المقدس يذكر هذا الطقس فى تتويج شاول (١ صموئيل ٩ ، ١٠) وداود (٢ صموئيل ٤:٢ ، ٣:٥) وسليمان (١ ملوك ٣٩:١) ومن ارتقوا من دريته الى السلطة الملكية فى اطار أزمنة سياسية (٢ ملوك ١١.١٢،٢٣:٣٠)

بهذه المسحة يصبح الملك « مسيح الله » (٢ صموئيل ١٩.٢٢ ، مراثى ٢٠:٤) ، أعنى شخصا مكرسا يجب على كل مؤمن أن يقدم له اكراما دينيا (١ صموئيل ٧:٢٤ و١١ ، ٩:٢٦ و١١ و١٦ و٢٣ ، ٢ صموئيل ١٤:١ و١٦) •

ومنذ أن ركزت نبوة ناثان رجاء اسرائيل فى سلالة داود (٢صموائيل ١٢:٧—١٦) ، يصبح بدوره كل ملك خارج من صلبه « المسيا » لأهل زمانه ، الذى يتخذه الله لتحقيق تدابيره نحو شعبه •

٢ — مسيح الرب فى الصلاة :

تبرز المزامير التى كتبت قبل السبى ، بشكل واضح ، مكانة هذا المسيا الملكى فى حياة اسرائيل الدينية • ان المسحة التى قبلها هى علامة تفضيل الهى (مزمور ٨:٤٥) ، فهى تجعل منه الابن الذى تبناه الله (مزمور ٧:٢ ، راجع صموئيل ١٤:٧) • ولذا فهو على يقين من حماية الله له (مزمور ٥١:١٨ ، ٢:٧ ، ٨:٢٨) • ان التمرد عليه جنون (مزمور ٢:٢) لأن الله لن يتأخر عن التدخل من أجل انقاذه (حبقوق ١٣:٣) و « رفع قرنه » (١ صموئيل ١٠:٢) • غير أن الناس يتضرعون الى الله من أجله (مزمور ١٠:٨٤ ، ١٠:١٣٢) ، وفيما هم يستندون الى الوعود التى بذلها الله لداود ، فانهم يرجون من الله أن يعمل دوما على تخليد سلالته (مزمور ١٧:١٣٢) •

ولذا ، فكم كان اضطراب الأذهان ، عظيما بعد سقوط أورشليم ، عندما أصبح مسيح الرب سجين الوثنيين (مراثى ٤ : ٢٠) • لماذا رذل

الله هكذا مسيحه ، حتى انه تعرض لاهانة الأعداء (مزمور ٨٩ : ٣٩ ، ٥٢) ؟ فجاء اذلال سلالة داود محنة للايمان ، وظلت هذه المحنة قائمة حتى بعد التجديد الذى عقب زمن السبى • ولكن فى الواقع ، سرعان ما خيبت الظروف الرجاء فى اعادة سلالة داود الى الملك ، ذلك الرجاء الذى أثاره حينا زربابل • فلن يتوج زربابل أبدا (بالرغم من تلميحات زكريا ٦ : ٩ ــ ١٤) ، ولن يكون بعد مسيا ملكى على رأس الشعب اليهودى •

٣ ــ مسيح الرب فى مفهوم اليهود الاسكاتولوجى :

كثيرا ما عامل الأنبياء ملوك زمانهم (الملك الممسوح) بشدة بسبب ما كانوا يرونه منهم من عدم أمانة نحو الله • الا أنهم وجهوا رجاء اسرائيل نحو الملك المثالى القادم ، مع أنهم لم يسندوا اليه قط لقب المسيا • ولذا ، فقد أخذ مفهوم المسيانية الملكية فى التوسع بعد السبى • فالمزامير الملكية ، التى كانت تتحدث فى الماضى عن « المسيح » المعاصر لها ، أخذت تتغنى ، فى تطلع جديد يجعلها تتعلق بالمسيح القادم ، أى « المسيا » ، بالمفهوم الصحيح والقوى ، اذ تصف مقدما مجده وكفاحه (راجع مزمور ٢) وانتصاراته ، الخ •

ان الرجاء اليهودى المتأصل فى هذه النصوص المقدسة حى جدا فى زمن العهد الجديد ، خاصة لدى الشيعة الفريسية • فيتمنى صاحب مزامير سليمان (٦٣ قبل المسيح) مجىء المسيا ابن داود (مزامير سليمان ١٧ ، ١٨) • ويتردد نفس الموضوع كثيرا فى الآداب الربانية • ففى جميع هذه النصوص ، يقوم وضع المسيا على نفس مستوى ملوك اسرائيل القدامى • ويحتل ملكه مكانه ضمن اطار المؤسسات ذات الطابع الالهى • الا أن الناس أخذوا يفهمونه بصورة واقعية متطرفة تبرز خاصة الجانب السياسى من دوره •

ثانيا : الحالات الأخرى لاستخدام لفظة « المسيح »

١ ـ « مسحاء الله » بالمعنى الواسع :

كانت المسحة الالهية تكرس الملوك من أجل رسالة مرتبطة بقصد الله نحو شعبه • يتحدث العهد القديم أحيانا عن مسح الهى ، بمعنى واسع جدا ، واستعارى ، حيث تقوم فقط رسالة مطلوب تأديتها ، خصوصا اذا افترضت هذه الرسالة موهبة الروح الالهى • وقد اعتبر كورش مسيح الرب ، عندما أرسله الله ليخلص اسرائيل من قبضة بابل (اشعيا ٤٥ : ١)، كما لو كان تتويجه الملكى قد أعده للرسالة التى رتبتها له العناية الالهية •

ولم يكن الأنبياء عادة مكرسين لوظيفتهم بمسح الزيت ، غير أن الله آمر ايليا بأن « يمسح أليشاع نبيا بدلا منه » (١ ملوك ١٩ : ١٦) • ويمكن أن تشير هذه العبارة الى عمل ايليا الذى سيمنح أليشاع « سهمين من روحه » (٢ ملوك ٢ : ٩) • وفى الواقع ، فان مسح الروح هذا الذى يحصل عليه النبى هو ما يتحدث عنه اشعيا ٦١ : ١ ، عندما كرسه هذا المسح ليعلن البشرى الحسنة للفقراء • وقد أطلق مرة لفظ « مسحاء » على أعضاء شعب الله بصفتهم « أنبياء الرب » (مزمور ١٠٥ : ١٥ ، راجع احتماليا مزمور ٢٨ : ٧ ، حبقوق ٣ : ١٣) ، الا أن هذه اللفظة لا تستعمل فى مثل هذه الحالات الا بطريقة عارضة •

٢ ـ الكهنة المسحاء :

ليس من نص سابق للسبى يتحدث عن مسح بالنسبة الى الكهنة • ولكن بعد السبى ، أخذ نفوذ الكهنوت فى الازدياد ، فى وقت لم يعد هناك ملك ، وأصبح عظيم الأحبار رئيسا للجماعة فدرجت العادة ، منذ ذلك الحين ، فى منحه المسحة • وترجع النصوص الكهنوتية المتأخرة هذا الطقس الى هارون من أجل ابراز أهميته (خروج ٢٩ : ٧ ، ٣٠ : ٢٢ ـ ٣٠ ، راجع مزمور ١٣٣ : ٢) • ويتوسع المسح من جهة أخرى

فيشمل جميع الكهنة (خروج ٢٨ : ٤١ ، ٣٠ : ٣٠ ، ٤٠ : ١٥) . ومنذ ذلك العصر يصبح عظيم الأحبار الممسوح (لاويين ٤ : ٣ و ٥ و ١٦ ، ٢ مكابيين ١ : ١٠)، « المسيا » فى زمانه ، مثلما كان الملك من قبل (راجع دانيال ٩ : ٢٥) .

وفى خط بعض النصوص النبوية التى كانت تجعل اتحادا وثيقا بين الملك والكهنوت فى الأزمنة الأخيرة (ارميا ٣٣ : ١٤ — ١٨ ، حزقيال ٤٥ : ١ — ٨ ، زكريا ٤ : ١ — ١٤ ، ٦ : ١٣) ، أخذت بعض الأوساط تنتظر ، فى آخر الأزمنة ، مجىء مسيحين : مسيح — كاهن تكون له السيادة ، ومسيح — ملك تقتصر مهمته على تدبير الشئون الزمنية (عهود الآباء الاثنى عشر ، نصوص قمران) . ولكن يبدو أن هذه النظرة الخاصة للرجاء المسيانى محصورة فى الأوساط الاسينية التى كان يتغلب عليها النفوذ الكهنوتى .

٣ — الاسكاتولوجيا والمسيانية :

يعطى اذن الفكر اليهودى عن الأزمنة الأخيرة مكانا هاما لانتظار المسيح : مسيح ملك ينتظره الجميع ، ومسيح كاهن فى رأى بعض الأوساط . ولكن مواعيد الكتب المقدسة لا تنحصر فى هذه المسيانية بمعناها الضيق ، التى غالبا ما ترتبط بأحلام نهضة سياسية ، بل انها تعلن أيضا تأسيس ملكوت الله ، وتقدم أيضا صانع الخلاص المنتظر تحت سمات عبد الله وابن الانسان » .

(انتهى نصه من معجم اللاهوت الكتابى) .

* * *

الرابع عشر : ملكوتان ، وانجيلان

يقول القسيس :

(أ) ان « ملكوت السموات » الذى دعا يسوع المسيح الى اقترابه ، يعتقد اليهود بأنه ملك الهى على الأرض ، لـ « المسيح المنتظر » كملك داود — عليه السلام — ويسوع المسيح كان له انجيل ، يدعو به ، الى هذا الملكوت الأرضى .

(ب) ولما قتل يسوع ، على الصليب دل قتله على أن له ملكا روحيا ، سوف يظهر فى قلوب محبيه ، وعارفى فضله : ومن قبل أن يظهر ملكوته الروحى ، سوف يكون انجيل بيد اتباعه ، يدعون به ، الى الملكوت الروحى •

فيسوع — كما يقول — له انجيلان ، ودعا الى ملكوتين • وهو قد أجل الملكوت الأرضى • واعلن الملكوت الروحى فى حياته • ثم انه اذا قربت القيامة العامة ، ينهى هو الملكوت الروحى ، ويبدأ هو الملكوت الأرضى • وبعد ألف سنة ، ينهى هو الملكوت الأرضى ، ويعود الى الروحى •

ويسمى الانجيل الأول بانجيل الملكوت ، أو انجيل الختان ، أو الانجيل لليهود • ويسمى الانجيل الآخر بانجيل الغرلة ، أو الانجيل للأمم ، أو انجيل النعمة •

يقول القسيس : « أما تلك الأمة — اليهودية — فقد تقست ، ورفضت الفرصة المقدمة لها ، فكان لابد من تأجيل اقامة هذا الملكوت ، والكرازة بانجيله : « انجيل الملكوت » الذى دعى بانجيل الختان : اذ كان يخص اليهود أولا • فتوقف امتياز اليهود ، وظهر انجيل الغرلة (الأمم) انجيل النعمة ، الذى به انتهت الفوارق والفواصل ، بل ان فيه استعلن سر الكنيسة[٣٩] « من جميع من آمنوا بالمسيح ، سواء من اليهود أو الأمم » على أساس أنه جاء من السماء ، لخلاص البشر ، وقام من الأموات . بعد أن أكمل عمل الفداء ، وأسس بذلك الملكوت الروحى ، الذى نحن فيه

---

(٣٩) الكنيسة الكاثوليكية تعتقد : أن خلفاء بطرس يرثون رئاسته . ويعتقد التقليد الارثوذكسى بأن جميع الأساقفة المعترفين بالايمان القديم فى أبرشياتهم هم خلفاء بطرس ، وخلفاء سائر الرسل .

أما البروتستانت — مفسرو الاصلاح — فانهم لا ينكرون ما كان لبطرس من مكانة ودور مميز فى شأن الكنيسة ، لكنهم يرون أن يسوع لا يهدف من قوله له : « انت صخر ... الخ » الا تخص بطرس نفسه .

الآن • أما انجيل الملكوت فسيعاد الكرازة به فى وقت النهاية ، قبيل استعلانه بالمجىء الثانى • وحينئذ تجتمع الصورتان الخاصتان بالملكوت • وهما « الملكوت الروحى » و « الملكوت الحرفى »[٤٠] أ • هـ •

والرد عليه :

ان هذا القسيس جاهل بنبوءات كتبه التى يقدسها عن « ملكوات السموات » فان كتبه التى يقدسها لا تتحدث الا عن ملكوت واحد • وتعرفه الكتب : بأنه سيادة شريعة الله على المؤمنين به ، وحكمهم أنفسهم بهذه الشريعة ، تمييزا عن سيادة شرائع البشر ، وممالكهم • وقد نسب الى السموات[٤١] ، جريا على عادة اليهود فى تجنبهم التلفظ باسم الله • ولا تعنى كلمة السموات : أن هذا الملكوت سماوى ، بل ان الرب الذى فى السموات يملك على العالم ، بواسطة اتباعه • وقد ورد فى التوراة : أن الملكوت هو للرب (مزمور ٢٢ : ٢٩ ، ١٠٣ : ١٩ ، ١٤٥ : ١١ — ١٣ الخ • أيضا : اشعياء ٥ : ١٦ حزقيال ٢٠ : ٤١ ، ٢٨ : ٢٢ و ٢٥ ، ٣٦ : ٢٣ ، ٣٨ : ١٦ و ٢٣ ، ٣٩ : ٢٧) •

وقد ورد فى التوراة : أنه فى حال تأسيس الملكوت على الأرض تقوم حروب طاحنة بين اتباع النبى الآتى صاحب الملكوت ، وبين اليهود الذين لا يريدون أن تسودهم شريعته • كما فى (يوئيل ٤ : ١٢ — ١٣ اشعياء ٢٧ : ١٢ — ١٣ رؤية ١٤ : ١٤ — ١٦ متى ١٣ : ٣٠ —) •

ويقول متى : « وكان يسير فى الجليل كله ، يعلم فى مجامعهم ، ويعلن بشارة الملكوت » (متى ٤ : ٢٣) و « بشارة الملكوت » كلمتان • الكلمة الأولى « بشارة » ومعناها : انجيل • والكلمة الثانية « الملكوت »

---

(٤٠) ص ٢٣ لكتاب الثانى والثمانون .

(٤١) ص ٤١ العهد الجديد — دار المشرق .

والكلمتان تدلان على انجيل واحد ، لملكوت واحد • ويقول متى ولوقا : ان يسوع علم الصلاة • وقال فى التلاوة : « أبانا[٤٢] الذى فى السموات • ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ... » ما معنى « ليأت ملكوتك » ؟ معناه: أن الملكوت ليس لعيسى عليه السلام • وقال يسوع المسيح فى وصيته للحواريين « وأعلنوا فى الطريق : أن قد اقترب ملكوت السموات » (متى ١٠ : ٧) وعبر يسوع المسيح عن « بشارة الملكوت » بكلمة « الملكوت » فى مثل الزارع (متى ١٣ : ١٨ —) وقال لبنى اسرائيل : « ان ملكوت الله سينزع منكم ، ويعطى لأمة تثمر ثمره » واستشهد على قوله بالمزمور المائة والثامن عشر • والنصارى طائفة من اليهود • الذين سينزع منهم الملكوت • ومنع موسى النبى عليه السلام قيام النبى الآتى فى بنى اسرائيل • فيكون الآخذ للملكوت بعد نزعه من اليهود أمة غيرهم •

وحدد يسوع المسيح زمن مجىء الملكوت من بعده بقيام حروب بين الأمم ، واضطهادات ومجاعات وزلازل وأوبئة • وقال بعد ذكر العلامات : « الحق أقول لكم : لن يزول هذا الجيل ، حتى تحدث هذه الأمور كلها » (متى ٢٤ : ٣٤) •

* * *

وقول القسيس : ان يسوع المسيح قد أجل قيام الملكوت الأرضى • هو قول ما عليه من دليل • وذلك لأن دانيآل قد حدد زمان تأسيس الملكوت على الأرض بعد المملكة الرابعة • وقد ازالها محمد نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم وهو ليس من اليهود الذين سينزع منهم الملكوت •

والقسيس جاهل بما فى الأناجيل الأربعة عن استشهاد يسوع المسيح

---

(٤٢) قيلت عبارة « ابن الله » فى الملائكة ، والشعب اليهودى ، والمسيح الرئيس (٢صم ١٤:٧ ومز ٧:٢ و٢٧:٨٩) وهى تدل على علاقة خاصة مع الله ، ومبنية على اختياره . واذا اطلق صار علما على النبى الآتى كما فى المزمور الثانى .

نفسه بكلام دانيآل عن تأسيس الملكوت • ففى انجيل متى . « فاذا رأيتم المخرب الشنيع الذى تكلم عليه النبى دانيال قائما فى المكان المقدس ... الخ » (متى ٢٤ : ١٥ —) والمخرب الشنيع أو رجسة الخراب مذكورة فى الاصحاح التاسع من سفر دانيال • والترجمة اللفظية « قباحة الخراب » (دا ٩ : ٢٧ و ١١ : ٣١ و ١٢ : ١١) •

والقسيس بقوله بالملك الألفى يدل على أنه ليس من الأرثوذكس وليس من الكاثوليك ، لأنهما لا يعترفان به ، ولا يقران به •

* * *

آيات الأوقات
او
علامات الأزمنة

وتعبير « آيات الأوقات » خاص بعلامات ظهور النبى الأمى الآتى الى العالم والعلامات معروفة عند اليهود فى كتب « الفن الأدبى الرؤيوى » ومنها رؤيا باروخ ، وسفر أسرار اخنوخ ، وارتفاع موسى ، والسفر الرابع لعزرا • وكلها تتكلم عن « يوم الرب » وهو اليوم الذى يظهر فيه النبى الآتى ، ليؤسس ملكوته •

وعيسى عليه السلام وبخ علماء اليهود — لما أظهر لهم حقيقة ملكوت السموات — على استنكارهم لما أظهره • بقوله : « اذا كان المساء ، قلتم : صحو • لأن السماء محمرة • وفى الصباح اليوم شتاء ، لأن السماء محمرة بعبوسة • يا مراءون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة ، فلا تستطيعون ؟ » (متى ١٦ : ١ — لو ١٢ : ٥٤ — ٥٦ و ١٩ : ٤٤) •

يقول المفسرون : « آيات الأوقات عبارة تدل على العلامات الخاصة بأيام مجىء المشيح » وقد أورد لوقا هذا المعنى فقال : « وقال أيضا

للجموع : اذا رأيتم غمامة ترتفع فى المغرب ، قلتم من وقتكم : سينزل المطر ، فيكون كذلك • واذا هبت الجنوب ، قلتم : سيكون الجو حارا • فيكون ذلك • أيها المراءون • تحسنون تفهم منظر الأرض والسماء ، فكيف لا تحسنون تفهم الوقت الحاضر ؟ » والوقت الحاضر يعرفونه من المملكة الرابعة فى سفر دانيال •

وبين لوقا : أن الوقت قد اقترب لظهور النبى الآتى الذى سيدمر أورشليم وينهى ملك اليهود فيها • فقال عن عيسى عليه السلام : « ولما اقترب ، فرأى المدينة ، بكى عليها • وقال : ليتك عرفت أنت أيضا فى هذا اليوم طريق السلام • ولكنه حجب عن عينيك • فسوف تأتيك ايام يلفك أعداؤك بالمتاريس ، ويحاصرونك ، ويضيقون عليك الخناق من كل جهة • ويدمرونك وأبناءك فيك • ولا يتركون فيك حجرا على حجر ، لأنك لم تعرفى وقت افتقاد الله لك » (لو ١٩ : ٤١ — ٤٤) •

* * *

الخامس عشر : بولس يسب محمدا رسول الله

ويصفه بالجد والكذاب

يقول القسيس : « وقد كشف « بولس » عن الصراع الرهيب ، الذى كان عليه أن يحاربه ، حتى فيما بعد »[٤٣] •

ما معنى قوله : ((حتى فيما بعد)) ؟

البيــــان :

ان بولس نظر فى كل الآراء المـأثورة عن عيسى عليه السلام وعن يوحنا المعمدان فى شأن النبى الأمى الآتى ، وملكوته • ووضع لكل رأى ضدا يناقضه • فقول المعمدان عن النبى الأمى : « يأتى بعدى من هـو أقوى منى » قال بولس : انه يعنى به يسوع المسيح • ومن أوصاف النبى

---

(٤٣) ص ٣٨ الكتاب ٨٢ .

الأمى : أنه يخلص بنى اسرائيل من ذل الأجانب . بالحروب الطاحنة ، والقتال الشديد . فقال بولس : ان الخلاص ليس من استعباد الأمم لبنى اسرائيل ، بل من الخطايا والذنوب ، التى هم مع جميع الشعوب قد ورثوها عن أبيهم آدم وأمهم حواء . ويوم الرب الذى هو مصطلح على ظهور النبى الآتى . هو مصطلح على أنه أيام تحدث فيها حروب بين النبى واتباعه من جهة ، وبين أعداء الله وأعدائه من جهة اخرى . فقال بولس : ان يوم الرب هو اليوم الذى يظهر فيه عيسى ليؤسس ملكوته الروحى ، على قلوب اتباعه . وضيق أعدائه ، المستتر فى أجسامهم هو الحروب المصاحبة ليوم الرب .

ومن كلام التوراة عن يوم الرب : « قريب يوم الرب العظيم . قريب وسريع جدا . صوت يوم الرب . يصرخ حينئذ الجبار مرا . ذلك اليوم يوم سخط ، يوم ضيق وشدة ، يوم خراب ودمار ، يوم ظلام وقتام ، يوم سحاب وضباب ، يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشرف الرفيعة ... الخ » (صفنيا ١ : ١٤ —) .

ومن كلام الانجيل عن يوم الرب : « لأنه يكون فى تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله الى الان . ولن يكون . ولو لم يقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم قصر الأيام ... » (مرقس ١٣ : ١٩ —) .

ومتى يظهر يوم الرب ؟

ان عيسى عليه السلام استشهد بسفر اشعياء وهو : « لأنادى بسنة مقبولة للرب ، وبيوم انتقام لالهنا » (اش ٦١ : ٢ لو ٤ : ١٩) لكن متى تكون السنة التى يكون فيها الانتقام من اليهود ، على يد النبى الآتى ؟ ان عيسى عليه السلام حددها .

(أ) بقوله : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى

اليهودية الى الجبال . والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا . والذى فى الحقل فلا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت . لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ، ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام . حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أو هناك ... الخ » (متى ٢٤ : ١٥ —) .

انه يتكلم عن الحروب المصاحبة لابن الانسان حال دخول اتباعه « أورشليم » لينهوا ملك بنى اسرائيل الى الأبد . ويقول دانيال عن هذه الحروب : « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ، ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين » ... الى أن قال : « وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب » (دانيال ٩ : ٢٤ —) .

(ب) وحددها أيضا بقوله : « توبوا . فقد اقترب ملكوت السموات » وملكوت السموات يظهر بعد مملكة الروم — التى هى المملكة الرابعة فى حلم النبى المعظم دانيال عن ملكوت السموات — والاقتراب معناه : انه لن يطول أمد هذه المملكة .

* * *

وقد بينا من قبل : أن محرفى الأناجيل ، حرفوها من أجل محمد صلى الله عليه وسلم . وذلك بجعل تبشير عيسى بمحمد ، هو تبشير عيسى بعيسى نفسه . فلنفترض : أن محمدا قد جاء . فى زمانه الذى حدده الله على لسان النبى المعظم دانيال . فهل نرى أن الذين خدعوا ، سيظلون مخدوعين ، والحيلة قد بان أمرها ؟ من المؤكد : أن الخداع سينكشف فى حال ظهوره ، ويؤمن به الذين خدعوا . وعندئذ تضيع جهود المحرفين ، وتصبح بلا جدوى .

وقد فكر بولس فى هذا الأمر • ووضح لديه :

١ — ان الله لن يخلف وعده ، بارسال النبى الأمى المماثل لموسى •

٢ — هذا النبى الذى زعمنا أنه يسوع • وليس هو •

٣ — ويسوع لن يأتى •

٤ — ونريد بقاء الناس على الباطل •

٥ — فكيف نفعل ؟

وقد حل بولس هذا الاشكال • بقوله : يجب علينا من الآن أن نعرف الناس بأن نبيا سيظهر ولكنه لن يكون صادقا فى دعوى النبوة • واذا ظهر النبى الأمى المماثل لموسى • نقول : بأنه هو الذى تنبأنا من قبل بأنه سيظهر ، وقلنا انه غير صادق فى دعوى النبوة • وبذلك تنطلى حيلتنا على الأميين ، وتستمر أبد الدهر •

ولكن يسوع المسيح نفسه قال : ان الملكوت قريب على الأبواب ؟

نعم هو قال : انه قريب • ولكننا نقدر أن نقول للناس : ان اليوم عند الله كألف سنة • وليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى حددها الله فى سلطانه •

وقد ذكر لوقا وبولس وبطرس هذا الكلام •

* * *

أما أن الملكوت قريب • فقد جاء : « وكانوا يظنون أن ملكوت الله يوشك أن يظهر فى ذلك الحين » (لو ١٩ : ١١) وأما المغو فى تحديد الزمان • فقد جاء : « كانوا اذن مجتمعين • فسألوه : يارب • أفى هذا الزمن تعيد الملك الى اسرائيل ؟ فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى حددها الآب بذات سلطانه » (أع ١ : ٦ — ٧) •

وقال بطرس : « فاعلموا أول الأمر : أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون كل الاستهزاء ، تقودهم أهواؤهم . فيقولون : أين موعد مجيئه ؟ مات آباؤنا ولا يزال كل شيء منذ بدء الخليقة على حاله ...

وهناك أمر لا يصح لكم أن تجهلوه أيها الأحباء . وهو أن يوما واحدا عند الرب بمقدار ألف سنة . وألف سنة بمقدار يوم واحد . ان الرب لا يبطيء فى انجاز وعده ، كما اتهمه بعض الناس » (بطرس الثانية ٣ : ٣ —) .

وليس من شك فى أن اليوم عند الله بألف سنة مما نعدون . ولكن الله نفسه حدد الزمان بسبعين أسبوعا من أسابيع الدنيا على لسان النبى دانيال . وقد ظهر الملكوت حقا فى نفس الموعد .

* * *

وبقى اشكال فى حيلة بولس . وهو :

ما هو العائق الذى أخر ظهور النبى الكاذب فى نظره ؟ هذا سؤال صعب . لأن بولس يقول : اذا ظهر النبى الكاذب ، يظهر بعده يوم الرب . واذا لم يظهر النبى الكاذب لن يظهر يوم الرب اذن فما هو العائق الذى أخر النبى الكاذب عن الظهور ؟

وهـذا هو نص كلام بولس . ونص تعليق النصارى عليه ، من ترجمة دار المشرق :

« ونسألكم أيها الاخوة ، فى أمر مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا لديه ، ألا تكونوا سريعى التزعزع فى رشدكم وسريعى الفزع من نبوة أو قول أو رسالة يزعم أنها منا[٤٤] تقول ان يوم الرب قد حان . لا يخدعنكم أحد بشكل من الأشكال .

---

(٤٤) « رسالة يزعم انها منا » . ربطنا هذه العبارة الأخيرة بالألفاظ الثلاثة : « نبوة ، قول ، رسالة » . وهناك من يربطها بكلمة « رسالة » فقط فيرى فيها تلميحا ممكنا الى رسالة مزورة . لا شك ان الرسول افسح فى

فلابد قبل ذلك أن يكون ارتداد عن الدين ، وأن يظهر رجل الالحاد ، ابن الهلاك[٤٥] ، الذى يقاوم ويناصب كل ما يحمل اسم الله[٤٦] أو ما كان معبودا ، حتى انه يجلس فى هيكل الله[٤٧] ويعلن نفسه الها •

أما تذكرون أنى لما كنت عندكم قلت لكم ذلك مرارا ؟ وأما الآن[٤٨] فتعرفون ما يعوقه عن الظهور الا فى حينه[٤٩] • فان سر الالحاد قد أخذ فى العمل • ولكن يكفى أن ينحى العائق عن السبيل[٥٠] ، وعندئذ يظهر

المجال لامكانية مجىء قريب للرب ، فى ارشاداته الشفهية وفى رسائله (راجع ١ تس ١٩/٢ و ١٣/٣ و ١٥/٤ — ١٧ و ٤/٥) . ولقد ظن اهل تسالونيقى انهم يعيشون تلك الحقبة المفضلة من تاريخ الخلاص . وكذلك مر ٧/١٣ وما يوازيه يدعو المسيحيين الى عدم الاستسلام الى الفرع . يبدو ان هذه الوصية من مرزات الأدب الرؤيوى .

(٤٥) المقصود هو المسيح الدجال ، لا الشيطان .

(٤٦) راجع دا ٣٦/١١ .

(٤٧) راجع حز ٢/٢٨ . « الارتداد » ، أى تخلى البشر عن الله ، جزء من الظواهر الأخيرية التى ينبىء بها الأدب الرؤيوى اليهودى . هذا وان بولس يستعمل ألفاظ « الارتداد ورجل الالحاد وابن الهلاك ، والملحد » مع ال التعريف ، كأنها تدل على أشخاص أو على حقائق لا تخفى على مراسليه .

(٤٨) أو « وتعرفون ما يعوقه الآن عن الظهور » .

(٤٩) ورد فى بعض الأساطير موضوع الوحش الذى تسيطر عليه الآلهة منذ القدم . لقد تبناه الأدب الرؤيوى اليهودى : فهناك بهيموت أو لاوياثان المغلوب والمقيد منذ اوائل العالم ، والذى سيطلق سراحه فى آخر الأزمنة ويقضى عليه . أما الآن ، فهو مقيد (راجع رؤ ٧/٢٠ — ١٠) .

(٥٠) « ما يعوقه » و « العائق » : يفسر هذا الابطاء فى مجىء الرب بطريقة تبقى غامضة لنا بالرغم من المحاولات الكثيرة للتفسير ، ولكن لا يجوز الاعتقاد بأن المرسل اليهم كانوا يفهمون ما فى ذلك من تلميحات . لابد أن يسبق مجىء الرب مجىء الملحد ، لكن « شيئا ما » و « أحدا » يوخر ظهور ذلك المسيح الدجال . ما هو هذا العائق ؟ رأى فيه المفسرون :

(أ) المملكة الرومانية — ما يعوق — والامبراطور — العائق — ، لأنهما يضمنان النظام والسلام ، فيحولان دون الثورات والحروب ، وهى تعد عادة من علامات النهاية . هذا رأى معظم المفسرين ، ولا سيما الأقدمين .

الملحد ، ذاك الذى سيبيده الرب يسوع بنفس من فمه[٥١] ويسحقه بضياء مجيئه .

ويكون مجىء الملحد بعمل من الشيطان فيجرى مختلف المعجزات والآيات والأعاجيب الكاذبة وبمختلف خدائع الباطل للذين يسلكون سبيل الهلاك ، لأنهم لم يتقبلوا حب الحق فينالوا الخلاص . لذلك يرسل الله اليهم ما يعمل على ضلالهم فيحملهم على تصديق الكذب ، ليدان جميع الذين لم يؤمنوا بالحق ، بل ارتضوا بالباطل » أ . هـ (٢ تسالونيكى ٢ : ١ —) .

التعليق :

فى ترجمة البروتستانت : « ويستعلن انسان الخطية ، ابن الهلاك ، المقاوم ، والمرتفع ، على كل ما يدعى الها ، أو معبودا ، حتى انه يجلس فى

(ب) تبشير الرسل وبولس الرسول نفسه . هذا التفسير يولى انتباها كبيرا لما ورد على لسان يسوع من ان نهاية التاريخ لن تأتى قبل أن تعلن البشارة لجميع الشعوب الوثنية (راجع مر ١٣/١٠ ومتى ١٤/٢٤) . لكن بولس لا يبدو ابدا ، فى مكان آخر من رسائله ، واعيا لقيامه بمثل هذا الدور فى تاريخ الخلاص . لابد من الاعتراف بأننا هنا أمام لغز . وليس اكتشافه ضروريا لادراك فكر بولس فى مجمله ، وهو ان مجىء الرب يجب أن يسبقه الارتداد ومجىء الملحد . والحال أن لا هذا ولا ذاك قد ظهر . لا ترى حتى اليوم تلك العلامات الرؤيوية السابقة لنهاية التاريخ ، ولكن لابد من مواصلة العيش فى انتظار ذلك المجىء ، علما بأننا لا نعرف يومه ولا ساعته (راجع مر ٢٨١٣ — ٣٧ وما يوازيه ، و ١ تس ١/٥ — ١١) .

« سر الالحاد » السر ، فى مؤلفات بولس ، شىء أو شخص أو تعليم خفى ، لا تدركه المعرفة البشرية ، لأنه سر التدبير الالهى او سر عمل الهى عند مجىء المسيح . والالحاد « سر » لأنه يدخل ، على وجه يكاد لا يدرك ، فى تصميم الخلاص الالهى . هذا الالحاد — ألشر فى جميع وجوهه — لم يكشف تماما وليس ملكه تاما حتى الآن . وان يتم هذا الكشف علانية ولن يعم عمله الا عند ظهور الملحد .

(٥١) راجع اش ٤/١١ . الابادة بالنفس هى ايضا من ميراث الادب الرؤيوى اليهودى .

هيكل الله ، كاله ، مظهرا نفسه : أنه اله » فانسان الخطية ، أو رجل الالحاد . لابد أن يكون معروفا للسامعين . فمن هو هذا الرجل المعروف من قبل مجيئه ؟ يقول المفسرون : « هذا . وان بولس يستعمل ألفاظ الارتداد . ورجل الالحاد ، وابن الهلاك ، والملحد ، مع « أل » التعريف ؛ كأنها تدل على أشخاص أو على حقائق ، لا تخفى على مراسليه » ا . هـ .

لا يمكن أن يشتبه الا فى المبشر به ، المنكر منهم من قبل ظهوره ، والمحاولين قتل المبشرين به كما قال المسيح عيسى نفسه : « ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب ، والغاصبون يختطفونه ، لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا » — « الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » (متى ١١ : ٢ —) يعنى بالأصغر : آخر أنبياء الله على الأرض .

وقد اقتبس بولس من حزقيال ففى حزقيال : « وكان الى كلام الرب قائلا : يا ابن آدم قل لرئيس صور : هكذا قال السيد الرب : من أجل أنه قد ارتفع قلبك ، وقلت : أنا اله . فى مجلس الآلهة أجلس . فى قلب البحار . وأنت انسان لا اله . وان جعلت قلبك كقلب الآلهة ... » (حز ٢٨ : ١ —) .

ومعنى قوله : « أنا اله » أى سيد ورئيس عظيم . ففى الزبور ٨٢ : « أنا قلت انكم آلهة » وفى سفر الخروج : « أنا جعلتك الها لفرعون » أى سيدا . ومعنى قوله « فى مجلس الآلهة اجلس » أى فكان السادة أكون سيدا .

وقول بولس انه يجلس فى هيكل الله : معناه : أنه يغير عبادة الله . من عبادة على شريعة الى عبادة على شريعة . وذلك لأن الجلوس فى الهيكل معناه : أنه مهيمن على مكان الشعائر ، وقادر على توجيهها .

وبولس بقوله هذا يلغو ويشوش على النبوءة الواردة فى انجيل يوحنا وبرنابا عن نزع القبلة من هيكل الله فى أورشليم ونابلس ، فان المسيح عيسى عليه السلام قال للمرأة السامرية : « انه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب » — « الله روح . والذين يسجدون له . فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » — « لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » (يو ٤) .

كأن بولس يريد أن يقول : اذا صارت هذه النبوءة محققة فى الواقع ، فها نحن قد قلنا لكم رأينا فيها ، من قبل تحقيقها .

وقد أظهرناها فى كتاب « البشارة » .

* * *

وآخر الردود :

السادس عشر : المسيحيون من مجمع نيقية الى هذا اليوم يعبدون الهين اثنين ، لا ثلاثة آلهة

يقول القسيس صموئيل مشرقى رزق : ان المسيح نفسه هو الذى كشف « سر الثالوث » دون أن ينقض بذلك — هو ورسله — فيما بعد ، حقيقة ذلك التوحيد[1] .

البيان :

الله عز وجل . يطلق عليه المسيحيون لقب « أقنوم الآب » .
اعلم هذا . ثم اعلم : أن النبى المماثل لموسى عليه السلام الآتى ليقيم الدين ، عوضا عنه وهو المكتوب عنه فى القرآن الكريم : « النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » .

١ — اطلق عليه اليهود لقب « ابن الله » فى المزمور الثانى لداود عليه السلام ، على معنى أنه سيكون منتسبا اليه ، لا الى الشيطان الرجيم .

(١) ص ٧ النصرانية المذهب الوسط — صموئيل مشرقى رزق .

٢ ــ وهذا النبى الأمى ، عبر عنه عيسى عليه السلام بتعبير « المعزى • الروح القدس » فلقب « ابن الله » ولقب « الروح القدس » هما لقبان لواحد • هو النبى الأمى المماثل لموسى ، المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، والأصحاح الأول من انجيل يوحنا •

اذا علمت هذا • فاعلم :

١ ــ أن المسيحيين فى مجمع نيقية جعلوا لقب « ابن الله » أقنوما • وأخذوه من على « محمد » صلى الله عليه وسلم ووضعوه على يسوع المسيح • وصرحوا بالاثنينية • وصرحوا بأن « ابن الله » ليس لقبا على المجاز بل هو لقب على الحقيقة •

٢ ــ وأن المسيحيين فى مجمع القسطنطينية جعلوا لقب « الروح القدس » أقنوما • وأخذوه من على محمد صلى الله عليه وسلم ووضعوه على يسوع المسيح • وصرحوا بالتثليث ، وصرحوا بأن « الروح القدس » ليس لقبا على المجاز ، بل هو لقب على الحقيقة لروح الله نفسه •

اذا علمت هذا • فاحسب وعد الأقانيم • تجد انها اثنان لا ثلاثة • لأن « ابن الله » و « روح القدس » هما لقبان لواحد • هو النبى الأمى الآتى الى العالم ــ بحسب لسانهم ــ وحيث أنهما معا واحد ، والآب واحد • فيكون الجميع : اثنان لا ثلاثة •

وقد ذكرنا الأدلة على هذا فى كتابنا « أقانيم النصارى » وهو الكتاب الذى « كشف سر الثالوث » ومن قبل ظهوره ، لم يكن أحد يعرفه من أهل الاسلام •

* * *

ولنسأل القسيس هذا السؤال : من الذى كشف سر الثالوث ؟ هل كشفه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ؟ كيف وهما اثنان لا ثلاثة والمسيح لا يخطىء فى العد ؟ كيف وقد صرح بأنه رسول الله ؟ كيف وأن

الله هو لذى علمه ؟ ذلك قوله : « ان تعليمى ليس لى من عندى ، بل من عند الذى أرسلنى » (يو ٧ : ١٦) .

* * *

وقد بينا فى كتابنا « اللقاء بين الاسلام والنصرانية » وهو فى الرد على الأنبا غريغوريوس أسقف عام البحث العلمى والدراسات العليا : أن المسيح عيسى عليه السلام كان منـذور من البطن لله تعالى والمنـذور لا يقرب النساء طول حياته . والمنذور لله هو غير الله . وأنه كان من اللاويين من نسل هرون ، المخصصين لله من دون الأسباط كلهم . وأن الفرق بين المنذور اللاوى وغيره من الأسباط : هو انهما اذا اجتمعـا ، تكون الامامة فى الدين للاوى . وهما يشتركان فى منطوق النذر . أى بحسب كلام كل منهما فى النذر . يفعلان . فمن نذر سنة . له الوفاء الى تمامها . ومن نذر أن لا يقرب النساء . له الوفاء الى موته . والمنذور من البطن ، هو بحسب كلام أبويه . واذا أراد أحد فك النذر ، فليدفع فداء . وأم مريم نذرتها من البطن ولم تفكها . ولذلك لم تعرف رجلا . ومريم نفسها نذرت ابنها من البطن . ولذلك لم يعرف امرأة . ويظهـر المسيحيون صور المسيح وهو ماد شعر رأسه الى ظهره ، ليبينوا أنه كان منذورا . ووصفته الأناجيل بقدوس الله .

فهل يكون المنذور لله . الها مع الله ؟ وهل يكون المنذور لله هو الله نفسه ؟

* * *

وبعد كلام طويل فى ابطال عقيدة التثليث بالنذر . قلنا ما نصه : « وغرضنا مما قلناه فى النذر : هو هدم عقيدة التثليث بشريعة النذر . وذلك لأن عيسى — عليه السلام — كان منذورا لله . والمنذور لله هو غير الله . وهذا الغير المنذور ، ليس مساويا لله ، بل هو عبد لله . كما قال تعالى : « لن يستنكف المسـيح أن يكون عبدا لله ، ولا الملائكـة المقربون » وكما قال لوقا : « وفيما هو يصلى على انفراد ، كان التلاميذ معه » (لو ٩ : ١٨) « واذ كان يصلى فى موضـع ، لمـا فرغ ، قال

واحد من تلاميذه » (لو ١١ : ١) « وانفصل عنهم نحو رمية حجر . وجثا على ركبتيه ، وصلى » (لو ٢٢ : ٤١)[١] .

* * *

تم الرد على كتاب « النصرانية » للقس صموئيل مشرقي رزق .

وعند هذا الحد . يتم ردنا بايجاز على القسيس .

* * *

(١) ص ١٢٢ اللقاء بين الاسلام والنصرانية ـ بين الدكتور الشيخ احمد حجازى السقا والانبا غريغوريوس ـ مطبعة دار البشير بالقاهرة .

المحكم والمتشابه في الروح القدس

تمهيـــــد :

« الروح القدس » فى انجيل يوحنا ، جاء لقبا • لاسم • وهـذا الاسم هو « أحمد » الذى ينطق فى العبرانية « بيراكليت » بكسر الباء الثقيلة • وفى اليونانية « بيراكليتوس » ولقب « الروح القدس » لقب يطلقه أهل الكتاب على الرجل المنتسب الى الله • وعكسه لقب « الروح النجس » يطلقونه على المنتسب الى الشيطان الرجيم •

وقد نسب عيسى عليه السلام « أحمد » نبى الاسلام الى الله • فقال : « المؤيد • الروح القدس » ــ بتشديد الياء مكسورة ــ وفى ترجمة « المعزى • الروح القدس » ــ بتشديد الزاى مكسورة ــ وهذا هو المكتوب الآن فى الأناجيل • ومن قبل الآن كان مكتوبا « البيراكليت » أو « الفيراقليط » وحرف المسيحيون الكتابة الى « بارقليط » بفتح الباء • ويقول النصارى : ان « بيراقليط » بكسر الباء هى افعل التفضيل من « حمد » أى « أحمد » وأن « باراقليط » بفتح الباء هى صفة الآتى من بعد يسوع ، ليعزى بنى اسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم ، وليؤيد أتباع يسوع ، وليحامى عنهم ضد مضطهديهم •

ثم صار لقب « الروح القدس » بدون الاسم • علما على الآتى من بعد يسوع • وصار يعرف بالروح فقط ، وأحيانا بالروح القدس ، وأحيانا بروح الله ، وأحيانا بروح الحق •

وعيسى عليه السلام بين أن « الروح » اذا أتى من بعده ، فانه

سيعلم أتباعه كل شيء ، فى حال ظهوره . وسيذكرهم بجميع ما قاله لهم :
ذلك قوله : « ولكن المؤيد الروح القدس . الذى يرسله الآب باسمى ،
هو يعلمكم جميع الأشياء ، ويذكركم جميع ما قلته لكم » (يو ١٤: ٢٦).

والروح سيأتى بأمر الله — الذى لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه
— ليقر شريعة من الله عوضا عن شريعة موسى . وذلك لمصلحة المكلفين.
وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « ويسألونك عن
الروح؟ قل الروح من أمر ربى. وما أوتيتم من العلم الا قليلا» أى يسألونك
عن مجىء « أحمد » الملقب بالروح القدس فى انجيل يوحنا . لماذا يأتى
بشريعة وشريعة موسى معنا؟ قل: ان مجيئه من أمر الله القادر على كل شىء.
وقل للنصارى : أنتم ما أوتيتم من العلم من عيسى عليه السلام الا قليلا.
لأنه قال لكم عن الروح : « هو يعلمكم جميع الأشياء ، ويذكركم جميع
ما قلته لكم » .

والترجمة اليونانية فيها حرف السين عقب الاسم . واللغة اليونانية
تضيف حرف السين المهملة فى آخر الاسم ، لتميزه عن الفعل . فيقولون
يوسيفوس — نيطوس — ادريانوس — أوغسطوس — وهكذا .
بيراكليتوس . فاذا قال النصارى : باراكليتوس . فانهم بقولهم هذا
يهدون قواعد اللغة اليونانية ، لأن السين لا تضاف الى صفة .

وفى مجمع القسطنطينية . جعل المسيحيون لقب « الروح القدس »
الها . لأنهم لم يجدوا حيلة فى ابعاده عن « أحمد » صلى الله عليه وسلم
الا بجعله الها ثالثا مع الله عز وجل . كما جعلوا فى مجمع نيقية لقب
« ابن الله » الها ثانيا وهو لقب « أحمد » صلى الله عليه وسلم فى زبور
داود عليه السلام . وقد بينا هذا فى كتابنا « أقانيم النصارى — توضيح
ونقد » نشر دار الأنصار بالقاهرة .

ثم انهم فى سفر أعمال الرسل ضللوا الناس فى « المعزى الروح
القدس » بزعمهم : ان من اختصاصه :

١ — أن ينزل من السماء ليبلبل الألسنة ويغير لغاتها الى لغات العالم .

٢ — وأن ينزل على المرء فيجعله شبه مصروع ملقى على الأرض . ويتكلم وهو فى شبه حالة الصرع بكلام . ويقولون : ان هذا المرء حل عليه الروح ، وألقى عليه هذا الكلام . فتنبأ به .

وتعرف هذا من المواضع الآتية :

١ — « ولما أتى اليوم الخمسون . كانوا مجتمعين كلهم فى مكان واحد ، فانطلق من السماء بغتة دوى كريح عاصفة فملأ جوانب البيت الذى كانوا فيه ، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار ، قد انقسمت ، فوقف على كل منهم لسان ، فامتلأو جميعا من الروح القدس ، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ، على ما وهب لهم الروح القدس أن يتكلموا » (أع ٢:١—٤) .

٢ — « وسمع الرسل فى أورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله ، فأرسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، فنزلا وصليا من أجلهم ، لينالوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد نزل بعد على أحد منهم » (أع ٨:١٤—١٦) .

٣ — « وكان بطرس لا يزال يروى هذه الأمور ، اذ نزل الروح القدس على جميع الذين سمعوا كلمة الله . فدهش المؤمنون المختونون الذين رافقوا بطرس . ذلك بأن موهبة الروح القدس ، قد أفيضت على الوثنيين أيضا . فقد سمعوهم يتكلمون بلغات غير لغاتهم ، ويعظمون الله . فقال بطرس : أيستطيع أحد أن يمنع هؤلاء من ماء المعمودية . وقد نالوا الروح القدس مثلنا ؟ » (أع ١٠:٤٤—٤٧) .

٤ — « فما ان شرعت اتكلم حتى نزل الروح القدس عليهم ، كما نزل علينا فى البدء » (أع ١١:١٥) .

٥ — « وفى تلك الأيام نزل بعض الأنبياء من أورشليم الى انطاكيه، فقام أحدهم واسمه أغابس ، فأخبر بوحى من الروح : أن ستكون مجاعة شديدة فى المعمور كله » (أع ١١:٢٧—٢٨) يعنى : نزل بعض التلاميذ.

* * *

ومما تقدم من الأمثلة يتبين : أن المسيحيين من النصارى . نغوا فى « الروح القدس » الذى هو لقب لأحمد صلى الله عليه وسلم ، بجعله الها ينزل ويصعد ، ويجلس بجوار الله .

* * *

وهـذا هو النص على « أحمـد » صلى الله عليـه وسلم الملقب بـ « الروح القدس » وهو يعرف عندهم بنص الوداع .

النص :

نص الوداع :

يقول عيسى عليه السلام :

الـــــوداع

« يا بنى ، لست باقيا معكم الا وقتا قليلا ، فستطلبونى وما قلته لليهود أقوله الآن لكم أيضا : حيث أنا ذاهب لا تستطيعون أن تأتوا .

اعطيكم وصية جديدة أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أحبوا أنتم أيضا بعضكم بعضا اذا أحب بعضكم بعضا عـــرف الناس جميعا أنكم تلاميذى .

فقال له سمعان بطرس : « يا رب ، الى أين تذهب ؟ » أجاب يسوع: « الى حيث أنا ذاهب لا تستطيع الآن أن تتبعنى ، ولكن ستتبعنى بعـد حين » قال له بطرس « لماذا لا أستطيع أن أتبعك الآن ؟ لأبذلن نفسى فى سـبيلك » .

أجاب يسوع : « أتبذل نفسك فى سبيلى ؟ الحق الحق أقول لك : لا يصيح الديك الا وقد انكرتنى ثلاث مرات .

لا تضطرب قلوبكم تؤمنون بالله فآمنوا بى أيضا • فى بيت أبى منازل كثيرة ولو لم تكن ، اترانى قلت لكم انى ذاهب لأعد لكم مقاما ؟ واذا ذهبت وأعددت لكم مقاما أرجع فآخذكم الى لتكونوا أنتم أيضا حيث أنا أكون انتم تعرفون الطريق الى حيث أنا ذاهب » •

قال له توما : « يا رب ، اننا لا نعرف الى أين تذهب ، فكيف نعرف الطريق ؟ »

قال له يسوع :

« أنا الطريق[1] والحق والحياة . لا يمضى أحد الى الآب ، الا بى • فلو كنتم تعرفونى لعرفتم أبى أيضا • منذ الآن تعرفونه وقد رأيتموه قال له فيلبس : « يا رب ، أرنا الآب وحسبنا » •

قال له يسوع :

« انى معكم منذ وقت طويل ، أفلا تعرفنى ، يا فيلبس ؟ من رآنى رأى الآب • فكيف تقول : أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى فى الاب وأن

---

(١) ان صورة « الطريق » الطويل الشاق الذى يجب على اسرائيل ان يجتازه تلبية لنداء الهه وبالاعتماد عليه بالايمان ، لبلوغ أرض الميعاد . هى مأخوذة من رمزية الخروج (تث ١/٣٠-٣٣ و٢/١-٢ و٢/٨-١٠ ومز ٢٠/٧٧ و١/١٦) . فقد طبقت هذه الصورة على الشريعة التى تكشف عن التوجيهات التى يعرضها الرب على شعبه من أجل المكافآت الأبدية (تث ٤/٣٢ ومز ١٠/٢٥ و١/١٢٨ و١٠/١٤٧-٢٠ ويا ١٣/٣-١٤ و ٣٧ و١/٤) . وفى العهد الجديد ، تبقى هذه الصورة ولكنها تتحول . فان يسوع يفتتح طريقة جديدة للسير كما يريد الله وللاقاة الله (مر ٢٤/٨ ومتى ٢٤/١٦ ولو ٢٣/٩ وعب ٢٠/١٠) ، حتى ان المسيحية الناشئة سميت « الطريقة » (رسل ٢/٩ و٢٥/١٨ و٢٢/٢٤) . لكن هذه العبارة تتخذ عند يوحنا معنى أعمق : فليس يسوع طريقا فقط بقدر ما يقود بتعليمه الى الحياة ، بل هو الطريق المؤدى الى الآب بقدر ما هو نفسه « الحق والحياة » (راجع ٩/١٠) .

الآب فى ؟ ان الكلام الذى أقوله لكم لا أقوله من عندى بل الآب المقيم فى يعمل أعماله صدقونى : انى فى الآب وان الآب فى واذا كنتم لا تصدقونى فصدقوا من أجل تلك الأعمال الحق الحق أقول لكم : من آمن بى يعمل هو أيضا الأعمال التى أعملها أنا بل يعمل أعظم منها لأنى ذاهب الى الآب فكل شىء سألتم باسمى أعمله لكى يمجد الآب فى الابن اذا سألتمونى شيئا باسمى ، فانى أعمله .

* * *

اذا كنتم تحبونى ، حفظتم وصاياى وأنا سأسأل الآب فيهب لكم مؤيدا آخر[٢] يكون معكم للابد روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يتلقاه ، لأنه لا يراه ولا يعرفه . أما أنتم فتعلمون أنه يقيم عندكم ويكون فيكم . لن أدعكم يتامى ، فانى أرجع اليكم . بعد قليل لن يرانى العالم . أما أنتم فسترونني لأنى حى ولانكم أنتم أيضا ستحيون انكم فى ذلك اليوم تعرفون أنى فى أبى وانكم فى وانى فيكم من تلقى وصاياى وحفظها فذاك الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أيضا أحبه فأظهر له نفسى » .

قال له يهوذا غير الاسخريوطى : « يا رب ، ما الأمر حتى انك تظهر نفسك لنا ولا تظهرها للعالم ؟ » أجابه يسوع : « اذا أحبنى أحد حفظ كلامى فأحبه أبى ونأتى اليه فنجعل لنا عنده مقاما ومن لا يحبنى لا يحفظ كلامى . والكلمة التى تسمعونها ليست كلمتى بل كلمة الآب الذى أرسلنى . قلت لكم هذه الأشياء وأنا مقيم عندكم ولكن المؤيد ، الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم جميع الأشياء ويذكركم جميع ما قلته لكم السلام أستودعكم وسلامى أعطيكم . لا أعطى أنا كما

---

(٢) فى الأصل اليونانى : « البارا قليط » ، وهو لفظ مقتبس من لغة القانون ويدل على من يستدعى لدى المتهم للدفاع عنه : فالمعنى الأول هو المحامى والمساعد والمدافع وبناء على هذا المعنى ، ظهرت معان أخرى كالمعزى والشفيع . والعبارة لا ترد فى العهد الجديد الا فى مؤلفات يوحنا وهى تدل تارة على المسيح (١ يو ٢/١) (تعليق دار المشرق) .

يعطى العالم فلا تضطرب قلوبكم ولا تفزع سمعتمونى أقول لكم : أنا ذاهب ثم ارجع اليكم .

لو كنتم تحبونى ، لفرحتم بأنى ذاهب الى الآب لأن الآب أعظم منى . لقد أنبأتكم منذ الآن بالأمر قبل حدوثه حتى اذا حدث تؤمنون ان أطيل الكلام عليكم بعد ذلك لأن سيد هذا العالم آت وليس له يد على وما ذلك الا ليعرف العالم أنى أحب الآب وأنى أعمل كما أوصانى الآب . قوموا نذهب من ههنا .

* * *

« أنا الكرمة الحق وأبى هو الكرام كل غصن فى لا يثمر يفصله . وكل غصن يثمر يقضبه ليكثر ثمره انتم الآن أطهار بفضل الكلام الذى قلته لكم اثبتوا فى وأنا أثبت فيكم .. وكما أن الغصن ، ان لم يثبت فى الكرمة لا يستطيع أن يثمر من نفسه فكذلك لا تستطيعون أنتم أن تثمروا ان لم تثبتوا فى أنا الكرمة وانتم الأغصان فمن ثبت فى ونبت فيه فذاك الذى يثمر ثمرا كثيرا. لأنكم بمعزل عنى لاتستطيعون أن تعملوا شيئا. من لايثبت فى يلق كالغصن الى الخارج، فييبس، فيجمعون الأغصان،ويلقونها فى النار فتشتعل اذا ثبتم فى وثبت كلامى فيكم فاسألوا ما شئتم يكن لكم ألا ان ما يمجد به أبى أن تثمروا ثمرا كثيرا وتكونوا لى تلاميذ كما أحبنى الآب فكذلك أحببتكم انا ايضا اثبتوا فى محبتى اذا حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنى حفظت وصايا أبى واثبت فى محبته قلت لكم هذه الأشياء ليكون بكم فرحى فيكون فرحكم تاما ووصيتى هى : أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم ليس لأحد حب أعظم من ان يبذل نفسه فى سبيل أحبائه فان عملتم بما أوصيكم به كنتم أحبائى لا أدعوكم خدما بعد اليوم لأن الخادم لا يعلم ما يعمل سيده فقد دعوتكم أحبائى لأنى أطلعتكم على كل ما سمعته من أبى لم تختارونى أنتم ، بل أنا أخترتكم وأقمتكم لتذهبوا ، فتثمروا ويبقى ثمركم ، فيعطيكم الآب كل ما تسألونه باسمى. ما أوصيكم به هو : أحبوا بعضكم بعضا .

* * *

اذا أبغضكم العالم فاعلموا أنه أبغضنى قبل أن يبغضكم لو كنتم من العالم لأحب العالم ما كان له ولكن ، لأنكم لستم من العالم • اذ انى اخترتكم من بين العالم• فلذلك يبغضكم العالم• أذكروا الكلام الذى قلته لكم : ما كان الخادم أعظم من سيده• اذا اضطهدونى فسيضطهدونكم أيضا واذا حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم أيضا • لا بل سيفعلون ذلك كله بكم من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى • لو لم آت وأكلمهم لما كانت عليهم خطيئة • ولكن لا عذر لهم الآن من خطيئتهم • من أبغضنى أبغض أبى أيضا • لو لم أعمل بينهم تلك الأعمال التى لم يعملها أحد لما كانت عليهم خطيئة أما الآن فقد رأوا وهم مع ذلك أبغضونى وأبغضوا أبى ايضا • وما كان ذلك الا لتتم الآية المكتوبة فى شريعتهم وهى : أبغضونى بلا سبب . ومتى جاء المؤيد الذى أرسله اليكم من لدن الأب روح الحق المنبثق من الآب فهو يشهد لى وأنتم ايضا تشهدون لأنكم معى منذ البدء • قلت لكم هذه الأشياء لئلا تعثروا سيفصلونكم من المجامع بل تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يؤدى لله عبادة وسيفعلون ذلك

لأنهم لم يعرفوا أبى ، ولا عرفونى • وقد قلت لكم هذه الأشياء لتتذكروا اذا أتت الساعة أنى قلتها لكم •

* * *

ولم أقلها لكم منذ البدء لأنى كنت معكم • أما الآن ، فانى ذاهب انى الذى أرسلنى وما من أحد منكم يسألنى : الى أين تذهب ؟ لا بل ملأ الحزن قلوبكم لأنى قلت لكم هذه الأشياء • غير أنى أقول لكم الحق : انه خير لكم ان اذهب • فان لم اذهب ، لا يأتكم المؤيد • أما اذا ذهبت فأرسله اليكم . وهو ، متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والدينونة : أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على البر فلأنى ذاهب الى الآب فلن ترونى • وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم قد

دين . لا يزال عندى أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها . فمتى جاء هو ، أى روح الحق ، أرشدكم الى الحق كله لأنه لن يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث سيمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم به . جميع ما هو للآب فهو لى ولذلك قلت لكم انه يأخذ مما لى ويخبركم به » (يوحنا ١٣ : ٣٠٣ —) .

* * *

انتهى النص عن أحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بالروح القدس الذى جعله المسيحيون أقنوما ثالثا فى سنة ٣٨١ م فى مجمع القسطنطينية .

والآن الى بيان :

المحكم والمتشابه
فى
الروح القدس

وصفت التوراة الله رب العالمين بأنه « الحى القيوم » (دا ١٢ : ٧ و ٦ : ٢٦) ووصفت الأناجيل الله رب العالمين بأنه « الحى الأزلى » وبانه « لا يدركه الفساد » وذلك فى سفر دانيال وانجيل متى ١٦ : ١٦ و ٢٦ : ٦٣ ويوحنا ٥ : ٢٦ و ١ تيمو ٦ : ١٦ و ١ تيمو ١ : ١٧ ففى سفر دانيال : « لأنه هو الاله الحى القيوم الى الأبد » وفى متى : « الله الحى » (مت ١٦ : ١٦) « الحى القيوم » .

واذا جاء فى التوراة وفى الانجيل : ان الله يخاطب البشر على قدر عقولهم . وذلك بنسبة صفات الانسان الى نفسه ، ليقدر الانسان على تصور ذاته . فعلى هذه المخاطبة يكون « الله روح » معناها : الله لا جسم له ، يراه أحد ، كما أن الروح لا ترى . فى (يو ٤ : ٢٤) ويدل « الحى القيوم » على ان الروح لا ينفصل عن الذات . لأن الذات بلا روح ، تساوى الروح بلا ذات . كلاهما لا يليق بالذات الالهية المقدسة . فالانسان مكون من جسد وروح . واذا خرجت روحه ، فنى جسده . واذا بقيت روحه بقى جسده — وهذا القياس هو لتقريب المعنى ، ويقر به أهل الكتاب ، فى بيان الله وصفاته — .

و « الحى القيوم » نص محكم . يدل على معنى واحد : هو أن الله تعالى لا يدركه الفساد . ومثله فى الاحكام : « ليس مثل الله » (تث ٣٣ : ٢٦) وقد جاء فى الأناجيل : أن عيسى عليه السلام قال للحواريين ومن يستمع لكلامهم : انكم ستقفون امام ملوك ظلمة وولاة ظلمة . فقولوا الحق ، ولا تخافوا « لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (متى ١٠ : ٢٠) .

هذا نص متى . وأما نص انجيل مرقس . فهو « لأنكم لستم أنتم المتكلمين ، بل الروح القدس » (مر ١٣ : ١١) ونص انجيل لوقا : « لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » (لو ١٢:٢) .

فروح الله المترجم بالروح القدس ايضا . معناه : أن الله تعالى يلهمهم ويؤيدهم ويقوى ايمانهم ويشجعهم على الكلام . وليس معناه : أن الروح ينفصل عن الله ، ويترك الذات ، كجسد بلا روح — وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — ثم ينزل الروح بمفرده على كل مضطهد ومظلوم ، فى كل مكان من انحاء العالم . ويكلم كل واحد بما يريد أن يتكلم به . ليس معناه هذا ، لأن الروح اذا انفصل ونزل ، لا تكون الذات حية ، وعليمة بكل شىء ، وقادرة على كل شىء . وهذا لا يقول به عاقل ، وهو ضد الايمان القويم .

وعلى ما قدمنا يكون « الروح القدس » الذى يعلم فى تلك الساعة ، أو « روح الله » نص متشابه يحتمل معنيين اثنيين . الأول : روح الذات والثانى : الكناية عن الالهام والتأييد . فلنرده الى محكمه ، لنعرف مراد الله منه . ومحكمه : هو « الحى القيوم » و « الحى الى الابد » و « لا يدركه الفساد » والمتفق معه : هو المعنى الكنائى ، فيكون هو مراد الله تعالى .

وأهل الكتاب يخاطبون الرجل الصالح بلقب « قدوس الله » ففى انجيل مرقس : « أنا اعرف من أنت . أنت قدوس الله » (مر ١ : ٢٤)

مع أن الله وحده هو القدوس • وقداسته تشمل كل ما هو له ، أو ما كرس له ، فعيسى عليه السلام « قدوس الله » مع أن اليهود لم يستعملوا لقب « قدوس الله » على المسيا ، الذى تفسيره المسيح (يو ٦ : ٦٩ أ ع ٣ : ١٤ و ٤ : ٢٧ و ٣٠) وعكس « روح الله » لقب « روح نجس » لأن تأثيره مناقض لقداسة الله ، وشعبه (مر ١ : ٢٣) •

و « الروح النجس » لقب فى الانجيل للشيطان الرجيم (مر ١:٢٦) « فخبطه الروح النجس » ويطلق على الشياطين « الأرواح النجسة » (مر ٣ : ١١) ويطلق أهل الكتاب على الخارج عن آرائهم « ان فيه روحا نجسا » واليهود قد قالوا : ان عيسى عليه السلام « فيه روحا نجسا » (مر ٣ : ٣٠) وعكسه يقولونه على الموافق لهم يقولون : « ان فيه روحا طاهرا » •

وجاء فى سفر أعمال الرسل : أن « الروح القدس » هو نفسه « الله » وهو نفسه « روح الرب » فبطرس يقول : « يا حننيا • لماذا استحوذ الشيطان على قلبك ، فكذبت على الروح القدس ؟ •• أنت لم تكذب على الناس ، بل على الله » ثم قال : « لماذا اتفقتما على تجربة روح الرب ؟ » (أع ٥ : ١ —) •

وفى الانجيل : أن يوحنا المعمدان « يمتلىء من الروح القدس • وهو فى بطن أمه » (لو ١ : ١٥) ومعنى الامتلاء من الله : هو عكس الامتلاء من الشيطان • ومعنى ذلك : أن الله سبق فاختارهم لرسالتهم » (غلا ١ : ٥) وفى لوقا : ان اليصابات أم يوحنا المعمدان : « امتلأت من الروح القدس » (لو ١ : ٤١) أى ما فى بطنها من الله ، لا من الشيطان • وقال ملاك الله جبرائيل لمريم : « ان الروح القدس سينزل عليك ، وقدرة العلى تظلك ، لذلك يكون المولود قدوسا » (لو ١ : ٣٥) والمعنى : أن التأييد الالهى سيكون معك • وعبارة قدرة الله تظلل تدل فى خر ٤٠ : ٣٥

على حضور الله بقوته فى وسط شعبه • وقد جاءت مرة أخرى فى لوقا بنفس المعنى « كانت سحابة فظللتهم » (لو ٩ : ٣٤) •

وفى زبور داود : « ترسل روحك فتخلق » (مر ١٠٤ : ٣٠ : أى قوتك لأن الروح لا تنفصل عن الذات واطلاق لفظ « قدوس » على انسان ، يدل على انتمائه الى الله • ويقول لوقا : ان زكريا امتلأ من الروح القدس ، فتنبأ (لو ١ : ٦٧) أى فاض عليه الله بكلامه •

وقال لوقا : ان سمعان نزل عليه الروح القدس ، وأوحى اليه (لو ٢ : ٢٥ — ٢٦) وقال لوقا : ان المسيح عيسى عليه السلام رجع من الاردن وهو ممتلىء من الروح القدس أى يسير بدافع من الروح (لو ١٤ : ١) أى يدعو الى الله بحماس شديد •

رواية متى ولوقا
عن « الروح القدس »
بمعنى توفيق الله

روى متى : أن عيسى عليه السلام قال لبنى اسرائيل : « اسألوا ، تعطوا • اقرعوا ، يفتح لكم • لأن كل من يسأل ، يأخذ ، ومن يطلب ، يجد • ومن يقرع ، يفتح له • أم أى انسان منكم اذا سأله ابنه خبزا ، يعطيه حجرا • وان سأله سمكة ، يعطيه حية ؟ فان كنتم وأنتم أشرار ، تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة . فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات ، يهب خيرات للذين يسألونه » (متى ٧ : ٧ — ١١) •

وروى لوقا هذا النص هكذا : « وأنا اقول لكم : اسألوا ، تعطوا ، اطلبوا ، تجدوا ، اقرعوا ، يفتح لكم لأن كل من يسأل ، يأخذ ، ومن يطلب ، يجد ، ومن يقرع ، يفتح له • فمن منكم وهو أب ، يسأله ابنه خبزا • أفيعطيه حجرا ؟ أو سمكة • أفيعطيه حية ، بدل السمكة ؟ أو اذا

سأله بيضة • أفيعطيه عقربا ؟ فان كنتم وأنتم أشرار ، تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى الآب • الذى من السماء • يعطى الروح القدس للذين يسألونه » (لو ١١ : ٩ — ١٣) •

لاحظ : التعارض بين الروايتين :

(أ) فلوقا قال : البيضة والعقرب • ومتى قال : الرغيف والحجر •

(ب) يذكر متى ما هو صالح « يهب خيرات » أما لوقا فانه يذكر « الروح القدس » الذى هو التوفيق لصالح الأعمال •

فالروح القدس جاء فى هذا الموضع • لا للدلالة على روح منفصلة عن ذات ولا للدلالة على شخص ، بشرى ، ولا للدلالة على ملك من الملائكة • وانما جاء بمعنى التوفيق والسداد •

تعارض آخر بين متى ومرقس ولوقا
فى الروح القدس

قال عيسى عليه السلام : « وعندما تساقون الى المجامع والحكام وأصحاب السلطة ، فلا يهمكم كيف تدافعون عن أنفسكم ، أو ماذا تقولون . لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب ان تقولوا » (لو ١٢ : ١١ — ١٢) وقال متى : « فلستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم يتكلم بلسانكم » (متى ١٠ : ٢٠) وقال مرقس : « لأنكم لستم أنتم المتكلمين ، بل الروح القدس » (مر ١٣ : ١١) فعند لوقا : الروح معلم • وعند متى ومرقس : الروح هو الذى يتكلم • وقال بولس : ان المؤمنين بالله اولئك فيهم روح الله « أما انتم فلستم تحيون فى الجسد ، بل فى الروح . لأن روح الله حال فيكم » (رو ٨ : ٩) — « ان الذين ينقادون لروح الله ، يكونون ابناء الله حقا • لم تتلقوا روح عبودية • تعودوا الى الخوف ، بل روح تبن » (رو ٨ : ١٥) •

تعارض كلام لوقا نفسه
عن تعليم الروح القدس

قال لوقا : ان عيسى قال للمضطهدين : « لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة » وفي موضع آخر : « فاجعلوا في قلوبكم : ان ليس عليكم أن تعدوا الدفاع عن أنفسكم . فساوتيكم انا من الكلام والحكمة ، ما يعجز جميع خصومكم عن مقاومته ، أو الرد عليه » (لو ٢١:١٤ — ١٥) قوله ان عيسى سيؤتيهم هو مناقض لقوله : ان الروح القدس هو الذى سيؤتيهم . الا اذا كان هو يتكلم نيابة عن الله الواهب النعم لعباده .

الروح القدس
لقب المنزل الوحى على الأنبياء

وفى سفر الأعمال : « كان لابد ان تتم آية الكتاب التى قالها الروح القدس من قبل بلسان داود » (أع ١ : ١٦) أى أن الروح القدس منزل الوحى من الله . تكلم بلسان داود عليه السلام . أى أعلن للناس مراد الله عن طريق داود .

« أنت قلت على لسان أبينا داود عبدك ، بوحى الروح القدس : « لماذا ضجت الأمم ؟ ... الخ » (أع ٤ : ٢٥) أى ان الروح القدس أوحى الى داود عبد الله وفيه سفر الزبور . فالروح ههنا هو جبريل عليه السلام .

فيض الروح القدس

وفى التوراة « سيكون فى الايام الأخيرة ، يقول الله : انى افيض من روحى على كل بشر » — « أفيض من روحى ، فى تلك الأيام » (يوئيل ٣ : ١ — ٥ أعمال ٢ : ١٧ — ١٨) والفيض من الروح : هو أن الله يهب عبده الصالح من التوفيق هبات كثيرة جداحتى يمتلىء من

فضل الله . وشبه ذلك : شبه اناء معد للماء اذا هيأته لوضع المـاء فيه ، ثم صببت فيه ماء . وزدت في وضع المـاء فيه ، حتى امتلأ . فانه يقال : قد امتلأ الاناء . فاذا أنت بعد امتلائه ، زدت في وضع المـاء ، حتى فاض المـاء من جوانبه . فانه في هذه الحالة يقال : فاض المـاء . والفيض يدل على الامتلاء وزيادة وهذا هو معنى « أني افيض من روحي » **أي أعطي** عبادي الصالحين خيرات وهبات بغير حساب ، وأوفقهم وأصلح أعمالهم . والمبالغة في الفضل يقال للمسارع في الخيرات : انه « الروح القدس » عينه . أي لأنه صار ممتلئا ، صار كأنه هو .

التوبة سبب للامتلاء من الروح القدس

« فقـال لهم بطرس : توبوا . فتنالوا موهبـة الروح القـدس » (أع ٢ : ٣٨) أي توبوا ، وارجعوا عن خطاياكم ، ليصلح لكم أعمالهم ، ويغفر لكم ذنوبكم .

قوة الايمان هى الامتلاء من الروح القدس

« فقال لهم بطرس ، وقد امتلأ من الروح القدس » (أع ٣ : ٨) أي زاد ايمانه ، ولم يخش في الله لومة لائم .

الصلاة سبب للامتلاء من الروح القدس

« وبعد أن صلوا زالزل المكان الذى اجتمعوا فيه ، وامتلأوا جميعا من الروح القدس ، فأخذوا يعلنون كلمة الله بجرأة » (أع ٣١:٤) أي أن الروح القدس حاضر دائما في جماعة المؤمنين . كما أن الروح النجس وهو الشيطان حاضر دائما في جماعة الكافرين .

الروح القـدس يهبه الله لمن يطيعـه

« ونحن شهود على هذه الأمور . وكذلك يشـهد الروح القدس الذى وهبه الله لمن يطيعه » (أع ٣٢:٥) فقـد بين أن الله تعـالى يهب الالهام للذين يطيعونه .

الله يهب الروح القدس لجميع المؤمنين به

يقول بولس : « فان الله لم يدعنا الى النجاسة ، بل الى القداسة . فمن استهان اذن بذلك التعليم لا يستهين بانسان ، بل يستهين بالله ، الذى يهب لكم روحه القدوس » (١ تس ٤:٧ـ٨) .

قراءة مختلفة : « جعل فيكم » ـ « ويجعل فينا » وفى التوراة : « وأجعل روحى فى داخلكم ، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى ، وتحفظون أحكامى ، وتعملون بها » (حزقيال ٣٦:٢٧) « وأجعل روحى فيكم ، فتحيون ، وأجعلكم فى أرضكم » (حز ٣٧:١٤) .

المخلص لمبادىء جماعته يقال عنه انه ممتلىء من الروح القدس

« فابحثوا أيها الأخوة ، عن سبعة رجال منكم لهم سمعة طيبة ، ممتلئين من الروح والحكمة فنقيمهم على هذا العمل ، ونواظب نحن على الصلاة وخدمة كلمة الله . فاستحسنت الجماعة كلها هذا الرأى ، فاختاروا اسطفانوس . وهو رجل ممتلىء من الايمان والروح القدس » (أعمال ٦:٣ـ٥) فالمخلص لمبادىء جماعته : ممتلىء من الروح القدس . واسطفانوس ممتلىء من الروح القدس . فاذا قيل : « استفانوس الروح القدس » فمعناه : أنه ليس هو روح الذات الالهية ، وانما معناه : أنه رجل له صلة بالله أكثر من صلة غيره به . وكذلك يقال فى « المعزى لروح القدس » .

الروح القدس مرادف للنعمة والقوة

« وكان اسطفانوس وقد امتلأ من النعمة والقوة » (أع ٦:٨) فقد وضع الكاتب لفظ النعمة ولفظ القوة ـ أى الحماس الدينى ـ بدل

الروح القدس • ورجع فقال عنه : « افلم يستطيعوا أن يقاوموا ما فى كلامه من الحكمة والروح » (أع ٦:١٠) •

الروح القدس بمعنى التأكد من وجود الله

« فحدق الى السماء • وهو ممتلىء من الروح القدس » (أع ٧:٥٥) أى أنه وهو مقدم على القتل نظر الى السماء • وهو يعلم أن الله موجود •

الدخـــول فى المذهب

معناه : حلول الروح القـــدس

« فوضعا أيديهما عليهم ، فنالوا الروح القدس » (أع ٨:١٧) أى أن الداخل فى المذهب ، لكونه قد دخل فيه عن اقتناع به ، يكون كأنه نال هبة من الله القدوس •

وليس وضع الأيدى هو الذى يعطى الروح • بل الاقتناع بالمذهب والحماس له • هو الذى يعطيه • ولذلك لما رأى سمعان أن الروح القدس يوهب بوضع الأيدى ، عرض مالا لينال الموهبة « فقال له بطرس : نبا لك ولمالك ، لأنك ظننت أنه يمكن الحصول على هبة الله بالمال ، فلاحظ لك فى هذا الأمر ، ولا نصيب ، لأن قلبك غير مستقيم عند الله » (أع ٨:٢٠—) من كان قلبه مستقيما عند الله ، هو الذى ينال الروح القدس •

تاييـد الروح القدس

«وكانت تنشأ وتسير على مخافة الرب ، وتنمو بتأييد الروح القدس» (أع ٩:٣١) فالروح القدس ههنا يؤيد الأتباع ويقويهم ويلهمهم • كما تقول : أيدك الله بروح منه •

وفى القرآن الكريم : « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه » •

المسح بالروح القدس

المسح بالدهن المقدس كان — على الحقيقة — للملوك وللعلماء والأنبياء . ثم صار — مجازا — بمعنى : المصطفى من الله لأداء رسالة سامية ، ولو لم يمسح . والمهتدى الى الله من عباد الأصنام يقال عنه : انه نال موهبة الروح القدس ، ولم ينالها فقط ، بل امتلأ وفاض من الموهبة . وكذلك التائب من أهل الملة . فى حالة توبته النصوح يقال : انه نزل عليه الروح القدس . والذى يكون صاحب مذهب ، ويظهر للناس ، ما يريد منهم أن يظهروه . يقال فى حالة اظهاره : انه نزل عليه الروح القدس . فعيسى عليه السلام لما اعتمد من يوحنا : كان غرضه أن يقتدى به أتباعه فى الاعتماد . ولذلك لما اعتمد ، قيل : انه نزل عليه الروح القدس (لو ٣:٢٢) .

وقيل : « أن الله مسحه بالروح القدس والقدرة » (أع ١٠:٣٨) وفى سفر اشعياء نبوءة عن محمد صلى الله عليه وسلم بلقب « العبد المتألم » فنسبها محرفو الأناجيل الى يسوع . وكتبوا : « روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر الفقراء ... » (اش ٦١:١—٢ لو ٤:١٨) ويروى كاتب سفر الأعمال أن الوثنيين لما قبلوا الايمان ، فاض عليهم الروح القدس « وكان بطرس لا يزال يروى هذه الأمور ، اذ نزل الروح القدس على جميع الذين سمعوا كلمة الله . فدهش المؤمنون المختونون الذين وافقوا بطرس . ذلك أن موهبة الروح القدس قد أفيضت على الوثنيين أيضا » (أع ١٠:٤٤ —) .

برنابا ممتلىء من الروح القدس

« فأوفدوا برنابا الى انطاكية . فلما وصل ورأى نعمة الله ، فرح وحثهم جميعا على التمسك بالرب من صميم القلب ، لأنه كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القدس والايمان » (أع ١١:٢٣—٢٤) .

الرصد من الروح القدس

وفى القرآن الكريم : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » فالله تعالى اذا أراد أن يعلم الناس بأمر غيبى ــ وقد انقطعت النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ــ فانه يصطفى من الناس رسولا . ويلهمه بالأمر الغيبى ، ويقوى عنده الالهام ، حتى يعتقد بأنه سيكون حقا ، ويهيىء له الأسباب لاذاعته . وهذا الالهام يطلق عليه الاخبار بوحى الروح القدس . ففى سفر الأعمال : « فقام أحدهم واسمه أغابس فأخبر بوحى من الروح : أن ستكون مجاعة شديدة فى المعمور كله » (أع ١١:٢٨) .

قول الروح هو الهامه

ويعبر النصارى عن الرأى الصائب الذى ظهر بعد مشاورة أنه من الهام الروح القدس . فاذا تم الفعل . يقولون : ان الروح القدس قد كان قال لنا : اعملوا كذا وكذا . ومثال ذلك : « فبينما هم يقضون فريضة العبادة للرب ويصومون . قال لهم الروح القدس : أفردوا برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » (أع ٣:٢) .

ثم قال الكاتب : « فلما كانا موفدين من الروح القدس » يعنى أنهما موفدين من قبل الجماعة بالهام من الروح القدس . فحذف الجماعة . وأقام مقامها الروح القدس .

الفرح بالروح القدس

والرجل الموفق فى كل عمل ، يكون فرحا مسرورا بالتوفيق . وعن هذه الحالة مكتوب : « وأما التلاميذ فكانوا ممتلئين من الفرح ، ومن الروح القدس » أى من فرح يبعث عليه الروح القدس أى التوفيق الالهى (١ تس ١:٦ وغل ٥:٢٢) .

الأمم الوثنية تساوت مع اليهــود في قبول الروح القدس ، لما آمنوا

« أيها الأخوة تعلمون : أن الله اختار عندكم منذ الأيام الأولى أن يسمع الوثنيون من فمى كلمة البشــارة ويؤمنوا . والله العليم بما في القلوب ، قد شهد لهم ، فوهب لهم الروح القدس ، كما وهبه لنا . فلم يفرق بيننا وبينهم في شيء . وقد طهر قلوبهم بالايمان » (أع ١٥ : ٧ـ) .

الروح القــدس ملهم القــرار

ومن عادة أهل الكتاب : أن ينســبوا كل فعل الى اللــه . ثم الى الفاعل . لئلا يظن أن الفاعل فاعل بقــوة اله آخر . وفي هــذا المعنى : « فقد حسن لدى الروح القدس ولدينا : ألا يلقى عليكم من الأعباء سوى ما لا بد منه ... » (أع ١٥ : ٢٥) .

الروح القــدس يمنع من التبشير

« لأن الروح القــدس منعهما من التبشير بكلمة الله في آســية » (أع ١٦ : ٦) يريد أن يقول : أن الله تعالى الذى بيده كل شيء اطلق على الالهام بالفعل . لقب السوق من الروح القدس ، فاذا منع من فعل شيء ، يطلق عليه : لقب المنع من الروح القدس .

روح يسوع ، يسمى الروح القدس

لو أن تلميذا قال : ان روح شيخى منعتنى من عمل كذا ، أو أمرتنى بعمل كذا . فهو لا يقصد روح شيخه حقيقة . وانما هو لطول ملازمته لشيخه ، عرف أنه يحب كذا ويكره كذا . فاذا فعل فعلا يحبــه ، يقول ـ على سبيل المجاز ـ روح شيخى أمرتنى . أى أن شيخى يحب هــذا الشيء . وكذلك اذا امتنع عن فعل يكرهه يقول : روح شيخى منعتنى .

ولو أن هذا التلميذ تخطى شــيخه وقال : روح الله أمرتنى . أو

معتنى ، لكان مصيبا فى قوله . لأن كل شيء مرده الى الله . وفى هذا المعنى جاء فى الانجيل : « فلم يأذن لهما بذلك روح يسوع » (أع١٦:٧) هذا فى ترجمة دار المشرق . وفى ترجمة البروتستنت : « فلم يدعهم الروح » قراءات مختلفة : « روح الرب » و « الروح » وفى رسالة فيلبى « ويعود الفضل الى دعائكم ، والى معونة روح يسوع المسيح » (فيلبى ١٩:١) وكل هذا على المجاز فان الفضل يعود الى الله ، لا الى الدعاء . ومعونة روح يسوع المسيح معناها : أنه سبب حياة جعلها الله لرحمة المخلصين لدعوته .

الممتلىء من روح الشيطان

وقد صح وثبت من الانجيل : أن الشيطان يلبس أجسادا آدمية حية . ويتكلم نيابة عن صاحب الجسد . فيكون ممتلئا من الروح النجس الذى هو الشيطان . ذلك قوله : « وكنا ذات يوم ذاهبين الى المصلى ، فتلقتنا جارية ، يحضرها روح عراف » والترجمة اللفظية « روح بيثون » والبيثون حية تحرس هيكل دلف . ودل اللفظ بعد ذلك على كل روح عراف . ثم قال : « فالتفت ، وقال للروح : آمرك أن تخرج منها ، فخرج من وقته » (أع ١٦:١٦—١٦) فالروح النجس الذى فى الجارية . يقابله الروح القدس فى غيرها من المؤمنات . سواء أكان الهاما أم وحى ملاك من ملائكة الله . والامتلاء من الشر ، الذى يكون من الشيطان ، يقابله الامتلاء من الخير الذى يكون من الله . ويعبر عن فعل الشيطان بالروح النجس ويقابله عن فعل الله التعبير بالروح القدس .

معمودية الروح القدس

يفرق النصارى بين معمودية يسوع من يوحنا عند نهر الأردن ، وبين معمودية النصارى فى اليوم الخمسين لرفعه الى الله . فيقولون : ان الروح القدس نزل على يسوع حال الاعتماد من يوحنا . والحواريون وكل من آمن به من اليهود والأمم فى حياته ، لم ينزل عليهم الروح

وانما نزل عليهم فى اليوم الخمسين فما هو غرض النصارى من هـــذا الكـلام ؟ .

من المؤكد أنهم يكذبون فى قولهم هــذا للغــو فى المعزى الروح القدس. وذلك لأن المعمدان، وزكريا أبوه، واليصابات أمه، ومريم وابنها: ممتلئون من الروح القدس . فلوقا يقول عن المعمدان : « ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١٥:١) وقال ملاك الله لمريم : « الروح القدس يحل عليك » (لو ٣٥:١) « وامتلأت اليصابات من الروح القدس » (لو ٤١:١) « وامتلأ زكريا أبوه من الروح القـدس » (لو ٦٧:١) « وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان ... والروح القدس كان عليه . وكان قد أوحى اليه بالروح القدس » (لو ٢٥:٢—) ويقول لوقا عن عيسى عليه السلام : « وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة . وكانت نعمة الله عليه » (لو ٤٠:٢) .

فاذا كان هو من صغره ممتلئا من الروح القدس . فما هى الفـائدة من حلول الروح القدس عليه حال الاعتماد من يوحنا فى نهر الأردن ؟

هذا عن يسوع . الممتلىء من قبـل الاعتماد من يوحنا . وأما عن الحواريين . فانه فى الانجيل كانوا ممتلئين من الروح القدس فى حياة يسوع نفســه . ففى الأصــحاح العاشر من متى أنه قال لنحــواريين : « وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ماتتكلمون به . لأن لســتم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكــم » (متى ١٠:١٨—٢٥) وهم قد أنطلقوا ، ورجعوا . فان لوقا يقول : « ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا » (لو ١:٩—) فما هى الفائدة من معموديتهم بالروح فى يوم الخمسين . والروح القدس كان معهم فى حياة يسوع نفسه ؟

انظر . لقد وصف عيسى عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم

بالروح القدس . فى قوله : « وأما المعـزى الروح القدس » دلالة على أنه سيكون صادقا فى دعوى النبوة ، وذلك لأن المتنبىء الكذاب يوصف بالروح النجس ، أى يستمد تعاليمه من الشيطان . وهو يوصف بالروح النجس . مبالغة فى أنه هو هو . كما قال عيسى لبطرس : « اذهب عنى يا شيطان » .

ويوحنا المعمدان قال عن محمد صلى الله عليه وسلم : « أنا أعمدكم بماء . ولكن يأتى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القـدس ونار . الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ، ويجمع القمح الى مخزنه . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (لو ٣ : ١٦ــ١٧) يريد أن يمنع ظن الناس بأنه يبشر عن متنبىء كذاب . فيقول : انه سيعمدكم بقوة الله ، لا بقوة الشيطان . وسيكون محاربا عظيما . وسيميز بين الأخيار والأشرار فيهلك الأشرار ، ويدخل الأخيار فى ملكه . ويريد أيضا : الفصل بين الدين اليهودى القائم على شعائر موسى وعاداته وطقوسه وبين الدين الجديد الآتى . وذلك بقوله : ان الكافر اذا دخل فى الدين اليهودى ، يلزمه الغسل بالماء . وان الكافر اذا دخل فى الدين الجديد ، يكفيه الحماس له ، والاخلاص له والحماس يدل على الامتلاء من روح الله .

والمعمدان لا يقصـد عيسى ــ كما يزعم النصارى ــ وذلك لأنهما دعوا معا الى اقتراب ملكوت السموات . ولما أرادوا أن يلغوا فى هذه النبوءة . ادعـوا أن بولس لقى تلاميذ فقال لهم : « هـل نلتم الروح القدس حين آمنتم ؟ فقالوا له : لا . بل لم نسمع أن هناك روح قدس » قوله لهم : هل نلتم الروح القدس حين آمنتم ؟ فيه مناقضة . لأن المؤمن بدعوة يسوع ــ وهى مخالفة لدعوة اليهود ــ لابد أن يكون متحمسا لها . والمتحمس يكون فيه روح الايمان الذى هو الروح القدس . فما فائدة أن يسألهم عن شىء هو يعلم أنه فيهم ؟ وان كان غرضه هبة الروح فى يوم الخمسين . فهذا باطل . لأن الروح لا يغير لغات بلغات . والا لما احتاج

النصارى الي فتح مدارس لتعليم لغات الأمم . وهم يزعمون أن الروح حال فيهم .

اقرأ هذا النص : « هل نلتم الروح القدس حين آمنتم ؟ فقالوا له : لا . بل لم نسمع أن هناك روح قدس . فقال : فأية معمودية اعتمدتم ؟ قالوا : معمودية يوحنا . فقال بولس : ان يوحنا عمد معمودية توبة ، داعيا الشعب الى الايمان بالآتي بعده أي بيسوع . فلما سمعوا ذلك ، اعتمدوا باسم الرب يسوع . ووضع بولس يديه عليهم فنزل الروح القدس عليهم ، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ، ويتنبأون » (أع ١٩:١—٦) .

انه يريد أن يلغو في نبوءة المعمدان عن محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : انه يعني عيسى بها .

والرد عليه : هو أن عيسى لم يأت بعده ، فانه كان معه . وعيسى ذكر علامات في العالم واذا حدثت يكون الآتي من بعده قد أتى ؛ واستدل برجسة خراب دانيال على قوله — وهي في الأصحاح التاسع — ثم جسم بولس الروح القدس — وهو تأييد وهبة والهام — وجعله ينزل فيغير الألسنة من عبراني الى يوناني الى آرامي ، والغات غير ذلك كثيرا .

الروح القدس المتقد

« وقدم أفسس يهودي اسمه أبلس ، اسكندري الأصل . رجل فصيح اللسان ، متبحر في الكتب . وكان قد لقن طريقة الله وأخذ يتكلم بروح متقد » (أع ١٨:٢٤—٢٥) أو وأخذ يتكلم مضطرما بالروح القدس . وفي ترجمة : « وكان وهو حار بالروح يتكلم » فهذا اليهودي يوصف بحماسه الشديد للدعوة ، ويعبر عن الحماس بالاضطرام بالروح القدس . مع أن القارىء لقصته يعلم أنه لم يكن قد نال الروح .

وحى الروح القدس من احوال الناس

« وجدنا التلاميذ هناك ، فأقمنا سبعة أيام . وكانوا يسألون بولس، بوحى من الروح . ألا يصعد الى أورشليم » (أع ٢١:٤) أى بالهام عرفوه من أحوال الناس .

الروح القــدس ملك من الملائكة

يقول بطرس : « واعلموا قبل كل شيء : أنه ما من نبوءة فى الكتاب، تقبل تفسيرا يأتى به أحد من عنده . اذ لم تأت نبوءة قط بارادة بشر . ولكن الروح القدس ، حمل بعض الناس على أن يتكلموا من قبل الله » (بطرس الثانية ١:٢٠–٢١) قوله : « ولكن الروح القدس ، حمل بعض الناس على أن يتكلموا من قبل الله » وفى ترجمة : « بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » فالروح القدس ههنا هو منزل الوحى من الله على الأنبياء والرسل . ونفس المعنى فى انجيل مرقس وهو : « لأن داود نفسه . قال بالروح القــدس : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » (مر ١٢:٣٦) وفى ترجمة : « وداود نفسه قال بوحى من الروح القدس » أى أن داود تسلم سفر الزبور بوحى من الله عن طريق الروح القدس وفيه فى المزمور المائة والعاشر : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ... الخ ».

وجاء اسم جبريل عليه السلام فى التوراة وفى الأنجيل على أنه مكلم البشر نيابة عن الله . ففى انجيل لوقا : عن زكريا « فأجابه الملاك : أنا جبرائيل القائم لدى الله . أرسلت اليك لأكلمك وأبشرك بهذه الأمور » (لو ١:١٩) « وفى الشهر السادس أرسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة الى عذراء ... الخ » (لو ١:٢٦) وفى سفر طوبيا يظهر « جبرائيل » على أنه أحد الملائكة الذين يستطيعون الدخول الى مجد الرب (طو ١٢:١٥) على مثال الوزراء فى بلاط فارس . وفى سفر دانيال ٨:١٦–١٧ و٩:٢١–٢٧ يظهر « جبرائيل » بمظهر البشر بزمن

الخلاص . وفى القرآن الكريم : « فأرسلنا اليها روحنا . فتمثل لها بشرا سويا » .

اعلانات الروح القدس

يقول بولس « بل كما هو مكتوب : ما لم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه فأعلنه الله لنا نحن، بروحه ... ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذى من الله ، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله ، التى نتكلم بها أيضا ، لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية ، بل بما يعلمه الروح القدس » (١ كور ٢:٩) فى هذا النص يفرق بولس بين حكمة العالم الذى لا يعرف الله ، والحكمة الالهية الظاهرة من شرائع الله ، فيقول : اننا نحن المؤمنين يعرفنا الروح القدس. وهؤلاء الذين لا يعرفون الله ، يعرفهم الروح الخبيث الذى هو الشيطان وقد استدل بقول اشعياء : « ما لم تره عين ، ولا سمعت به أذن ... الخ» (اش ٦٤:٣) .

والفكرة العامة عنده هى :

(أ) تلك الحكمة مصدرها روح الله .

(ب) ولا ينقلها الا من نال هذا الروح .

(ج) ولا ينقلها الا لأناس نالوا هم أيضا هذا الروح ، الذى يمكنهم من تفهم تلك الحكمة . والا كانت حماقة فى نظرهم .

حبل النساء الصالحات
من الروح القدس

يقول متى : « لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا ، وجدت حبلى من الروح القدس » (متى ١ : ١٨) يريد أن يقول : ان الشيطان قد يظهر لامرأة فى صورة رجل ويجامعها . كما يجامع الآدمى الآدمية سواء بسواء. وهذا أمر معروف عند أهل الكتاب وعند المسلمين[1].

---

(١) علم السحر بين المسلمين واهل الكتاب — نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

وتواتر على ألسنة الناس • ولكى يمنع ظن الناس عن تلبس الشيطان بمريم رضى الله عنها ، وعن اتصال فاجر من الانس بها ، قال : ان الحبل من الروح القدس • أى منسوب الى الله وليس منسوبا الى الشيطان •

تعزية الروح القدس

« وأما الكنائس ••• وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » (أع ٩ : ١٣) وفى ترجمة : « وكانت تنشأ وتسير على مخافة الرب ، وتنمو بتأييد الروح القدس » •

تنوع المواهب بالروح القدس

يقول بولس : « ان المواهب على أنواع • وأما الروح فهو هو • وان الخدمات على أنواع • وأما الرب فهو هو • وان الأعمال على أنواع • وأما الله الذى يعمل كل شىء فى جميع الناس فهو هو • كل واحد يتلقى ما يظهر الروح لأجل الخير العام • فأحدهم يتلقى من الروح كلام حكمة ، والآخر يتلقى وفقا للروح نفسه كلام معرفة ، وسواه الايمان فى الروح نفسه • والآخر هبة الشفاء بهذا الروح الواحد ، وسواه القدرة على الاتيان بالمعجزات ، والآخر النبوءة ، وسواه التمييز ما بين الأرواح ••• الخ » (١ كور ١٢ : ٤ —) •

المسيح عيسى بن مريم
يلقب بالروح القدس

قال عيسى عليه السلام عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا اطلب من الآب ، فيعطيكم معزيا آخر ، ليمكث معكم الى الابد » والمعزى : ترجمة « باراكليت » العبرانية ، أو « باركلينوس » اليونانية وكلمة « آخر » تدل على أن عيسى عليه السلام كان معزيا لبنى اسرائيل فى حياته . ويحتج النصارى على أنه هو المعزى الأول بأن رجلا اسمه سمعان « هذا الرجل كان باراتقيا ، ينتظر تعزية اسرائيل » (لوقا ٢:٢٥)

أى ان « سمعان » كان ينتظر ظهور المسيا ، أمل اسرائيل . ويزعم النصارى أنه هو يسوع ، وكان معزيا فى حال حياته . وسوف يكون هو معزيا آخر فى شخص الأقنوم الثالث بعد رفعه الى السموات . هذا هو زعمهم . والحق : أن عيسى عليه السلام لكونه هو الممهد للمسيا الآتى من بعده ، وهو اذا جاء سيعزى بنى اسرائيل فى ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم ، عد معزيا أول . ويعد المسيا[1] هو المعزى الآخر . ويفسر

(١) يقول القس ابراهيم سعيد تحت عنوان « الرجاء فى المسيا » .

كانت للظروف التى أحاطت باليهود فى كل عصورهم أكبر الأثر فى دفعهم للنظر الى المستقبل ، وقد بلغ بهم هذا الأمر مبلغا جعلهم فى بعض الظروف يعيشون فى ذلك المستقبل . وتبلورت انتظاراتهم هذه الى عقائد واسعة طلق عليها اسم « علم الأخريات » . وكانت أهم عقيدة فى هذا العلم هى عقيدتهم فى مجىء المسيا او المسيح ، وهو المخلص الذى بواسطته سيخلصهم الله من هذا العالم الشرير ويرفعهم الى مرتبة المجد . ولم يكن انتظار المسيا أو المسيح شيئا جديدا على عقلية اليهودى فى فترة ما بين العهدين ، بل كانت له جذوره فى العهد القديم نفسه ، ولكم تنبأ الأنبياء عن مجيئه وعن الخلاص الذى يقوم به . ثم اعطوا أوصافا كثيرة عنه ، فهو نبى مقتدر مثل موسى (أعمال ٧ : ٢٢ و ٣٣) . وهو ملك يأتى من نسل داود(*) (لوقا ١ : ٣٢) وهو متواضع (زكريا ٩ : ٩) ومخارجه منذ الأزل ، ومن يقرأ أصحاحى ٦ و ٩ من سفر اشعياء يجد أوصافا كثيرة لهذا المخلص . ولكن الأنبياء مع كل هذا المجد الذى أسبغوه على هذا المسيح لم ينسبوا اليه الدور الأول بل رأوا ان العامل الأول فى هذا الخلاص المنتظر هو الله ، أما المسيح فهو الرجل الذى يقيمه لتنفيذ ذلك الخلاص .

ولكن السبى غير كثيرا من هذه الفكرة ، فقد بدأت الديانة الشخصية تحل محل الطقوس الجماعية ، وأخذوا دور الكتبة يزداد بعد أن خفتت صوت النبوة ، واتسعت فكرة اليهود عن العالم ، فلم يعد الجنس البشرى مقتصرا عليهم وعلى من يحيط بهم من شعوب صغيرة ، ومعاملة الله للناس لم تعد وقفا عليهم هم ، بل رواه فى كل الحركات التى كانت تظهر فى الممالك والامبراطوريات العالمية المتسعة . فكان هذا التغيير الضخم مع روح

(*) من نسل داود عند العبرانيين — والنصارى يصدقونهم — مع ان المسيح عيسى من هرون .

النصارى بتفسيرنا هذا ، لقوله عليه السلام : « لا اتركـكم يتامى . انى آتى اليكم » فيقولون : انى آتى اليكم بالروح القدس الذى سيكون نائبا عنى ، لأن تأثيره فيكم كتأثير حضورى معكم(٢) .

و « الروح القدس » لقب لباراكليت . لا أنه اسم علم . فالاسم العلم هو « بيراكليت » وحرفه النصارى الى « باراكليت » و « بيراكليت » اسم علم على أحمد صلى الله عليه وسلم و «باراكليت» صفة هي: المعزى — المؤيد — الشفيع — المحامى — المدافع — الوكيل ... وهكذا .

وعيسى عليه السلام يتكلم عن غيره ، لا عن نفسه . يتكلم عن النبى الأمى الآتى الى العالم ويسميه « أحمد » ويصفه بالروح القدس . فالروح القدس لأحمد . وليس لعيسى نفسه .

الانتظار الذى تملك عليهم — عقولهم وحياتهم — عاملا على تعميق فكرة المسيا وتفسير المواعيد والنبوات الخاصة به تفسيرا متسعا متباينا . وكان أهم ما ظهر فى عقيدة المسيا هو أنه لقب بلقب « ابن الانسان » (دانيال ٧ : ٤) وأن نسبه ومجيئه من نسل داود قد اختفى وصار شخصا عالميا ، نعم انه يقف مع شعب قديسي العلى الذين هم اليهود المخلصون ولكن ذلك لا يعنى أن يكون له نسب أرضى .

ولكن هذه العقيدة وتمسك الناس بها كانت تتأرجح بين الظهور والاختفاء ، فبينما اشتد ظهورها واشتد انتظار الناس لمجىء المسيا فى عهد أنطيوخوس أبيفانس بدأت تخفف وتخفض فى عهد المكابيين ، لأن اليهود احسوا بأنهم نالوا الاستقلال والسيادة ، ولكن ما ان فقدوا ما ناوه فى عهد هيرودس حتى تفجر انتظار الناس لمجىء المسيا بقوة عارمة ، فانبعث التفسيرات وكثرت ، ووصف عصر المسيا وعمله فى صفحات كثيرة ، وبدأت أفكار العامة تضيف الكثير الى هذه العقيدة . ويشهد العهد الجديد على هذا الرجاء الملتهب . فكان الناس يظنون فى كل يوم ان ملكوت الله سوف يظهر فى الحال (لوقا ١٩ : ١١) . ولهذا السبب التفوا حول يوحنا المعمدان ، ولما رأوا معجزات يسوع وسمعوا تعاليمه ذات السلطان البالغ بدأوا يتبعونه منتظرين ، لعله المسيا ، لكنهم أخيرا رفضوه لأنه لم يحقق لهم حلمهم القديم فيكون المسيا السياسى الذى يوجه الضربة القاضية لأعدائهم » ا.هـ .

(٢) الكنز الجليل — تفسير يوحنا ص ٤٨٣ .

* * *

ولما أراد النصارى تحريف الأناجيل . كتبوا فى رسالة ليوحنا : أن « باراكليت » هو عيسى نفسه ولقبوا عيسى نفسه بلقب « الروح القدس » وذلك منهم لانكار نبوة محمد من قبل أن يأتى . ففى بدء الاصحاح الثانى : « يا اولادى اكتب اليكم هذا ، لكى لا تخطئوا . وان أخطأ أحد . فلنا شفيع عند الآب . يسوع المسيح . البار . وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضا » (١ يو ٢ : ١ — ٢) .

* * *

ان كلمة « شفيع » العربية ، هى فى اليونانية « باراكليتوس » و « باراكليتوس » وردت فى الأناجيل كلها خمس مرات . أربعة فى انجيل يوحنا . وواحدة فى رسالة يوحنا الأولى . والغرض من ذكرها فى رسالة يوحنا : هو بيان أن عيسى لما وعد بمجىء الباراكليت ، كان يعنى نفسه لا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك هو غرضهم .

والرد عليهم

هو أنهم صرحوا بان موت المسيح على الصليب كان من أجل الخطايا . وقد رفعت — على حد زعمهم — وعلى حد زعمهم هذا . فما هى الفائدة من الشفاعة ؟ وما هى الفائدة من المعمودية . وهم يزعمون بأن الذى يؤمن بقتله ، ثم يعتمد ، يخلص من عذاب الله ؟ أليس هذا تناقض فى المعانى ؟ وعندنا فى القرآن الكريم : أنه لا شفاعة لظالم ، لقوله : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » وعندنا فيه : شفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة للذين دخلوها بأعمالهم ، وتفاوتت درجاتهم . كأن يكون الأب فى الدرجة الأولى — مثلا — وابنه فى الدرجة الثانية . ففى هذه الحالة يشفع الشافعون ، ليكون الابن مع أبيه . ذلك هو قوله تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » أى رضى عنهم بسبب أعمالهم الحسنة ، وادخلهم الجنة .

وسوى الله بين عصاة المسلمين وأهل الكتاب فى دخول النار . فقال : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » .

وقد ذكر الله فى القرآن الكريم : أنه أيد عيسى بن مريم عليه السلام بالروح القدس ، الذى بشر هو به ، ثم قال : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » ؟ ليرد على النصارى قولهم فى الشفعاء . واذا شفعوا ، لا يشفعون الا لمن ارتضى فى زيادة الدرجات ، لأنه ليس عند الله محاباة — كما قال بولس — .

ومن المؤكد ان ما كتبوه على لسان يوحنا ، للتضليل فى « الباراكليت » كان فى مجمع نيقية . بدليل أنهم هم أنفسهم بعد ذلك فى مجمع القسطنطينية كتبوا : أن الروح القدس اله ثالث مع الله والابن . أى أنهم لما لم يجدوا ما كتبوه على لسان يوحنا غير كاف فى طمس الحقيقة . اضطروا الى جعله الها ثالثا . وقد بينا هذا بوضوح فى كتابنا « أقانيم النصارى » .

* * *

وهذه نصوص من كتب تفسير الانجيل :

١ — جاء فى كتاب الكنز الجليل :

« معزيا آخر قال « آخر » لانه هو المعزى الأول مدة كونه معهم بالجسد لو ٢ : ٢٥ . والمعزى هنا ترجمة « فارقليط » فى اليونانية وليس فى العربية كلمة بتمام معناها فان معناها معز ومعين وشفيع معا . وجاءت فى الانجيل خمس مرات نسبت فى اربع منها الى الروح القدس ص ١٤ : ١٦ و ٢٦ و ١٥ : ٢٦ و ١٦ : ٧ وفى واحدة للمسيح ابو ١:٢ » .

٢ — **فى تفسير يوحنا للأب متى المسكين :**

« الباراكليت . الروح القدس » :

ويلاحظ هنا : أن الاسم الكامل لشخص الروح ، سبق أن وضعه الانجيل : « انباراكليت » وهو اسم علم مذكر ، بعد أن كان « روح الآب » و « روح الابن » و « الروح القدس » كلها تأتى فى حالة الحياد الجنسى . أى لا مذكر ولا مؤنث . أما الباراكليت فهو ، وان كان

يعبر عن صفة ، الا أنه يجيء كاسم شخص مذكر عاقل ، تماما على مستوى أل آب ، وأل ابن » ا . هـ .

الروح القدس بمعنى اصبع الله
واصبع الله بمعنى قدرته

وفى الأصحاح الثانى عشر من متى : « ولكن ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله » وفى الأصحاح الحادى عشر من لوقا : « وأما اذا كنت باصبع الله اطرد الشياطين ، فقد وافاكم ملكوت الله » .

فروح الله ترجمت باصبع الله . واصبع الله هو كنايه عن قدرته . فانه فى التوراة لما جادل سحرة فرعون أولا فى معجزات موسى ، رأوا فيها عمل اصبع الله . أى قدرته لا سحر موسى نفسه . (خر ٨:١٥) .

* * *

وسبب هذا القول من عيسى عليه السلام : هو أنه رأى رجلا ، فيه شيطان ، أخرسه . فأخرجه من جسد الرجل . فتكلم الرجل ، وزال عنه الخرس . وعندئذ قال علماء اليهود : انه استعان برئيس الشياطين المسمى « بعلزبول » على اخراج الشيطان من جسد الرجل . فرد عليهم بقوله : ان الاستعانة بالشياطين على راحة الناس . معناها : أن عمل الشياطين يبطل . اذ هم يسهرون على تعب الناس ، لا على راحتهم . ولو أن بعضهم أراح ، وبعضهم أتعب . فمعنى ذلك : ظهور الانقسام فى عمل الشياطين ، والانشغال بمحاربة بعضهم بعضا . واذا حصل هذا . فانهم لن يتفرغوا لوظيفتهم وهى اتعاب الناس . وحيث أن ذلك مقرر ببدائه العقول . يكون اخراجى الشيطان بقوة الله وحده . وهو عز وجل قد أعطانى هذه المعجزة ، لتتأكدوا من صحة دعوتى . وهى اقتراب ملكوت الله فى بنى اسماعيل عليه السلام فالغرض من اجراء هذه المعجزة هو الدعوة الى ظهور محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا فى الغرض من

معجزات شفاء الأكمه ، واحياء لعازر فى هذا الكتاب . ونزول المائدة فى كتاب البشارة .

* * *

وهذه المعجزة قد رواها متى ومرقس ولوقا وبرنابا وانفـرد مرقس وبرنابا بما لا يلبس الحق بالباطل .

الغرض من معجزة اخراج الشياطين من اجساد الناس

النص عنـد لوقا :

« وكان يطرد شيطانا أخرس . فلما خرج الشيطان تكلم الأخرس فأعجب الجموع . على أن أناسا منهم قالوا : « انه ببعل زبول سـيد الشياطين يطرد الشياطين » . وطلب منه آخرون آية من السماء ليحرجوه . فعرف قصدهم فقال لهم : « كل مملكة تنقسـم على نفسـها تخرب وتنهار بيوتها بعضها على بعض . واذا انقسم الشيطان أيضا على نفسه فكيف تثبت مملكته ؟ فانكم تقولون انى ببعل زبول أطرد الشياطين . فان كنت أنا ببعل زبول أطرد الشياطين ، فبمن يطردهم أبناؤكم ؟ لذلك هم الذين سيحكمون عليكم . وأما اذا كنت باصبع الله أطرد الشياطين ، فقد وافاكم ملكوت الله . اذا كان القوى المتسلح يحرس داره ، فان أمواله فى أمان . ولكن اذا فاجأه من هو أقوى منه وغلبه ، ينتزع ما كان يعتمد عليه من سلاح ، ويوزع أسلابه .

من لم يكن معى كان على ، ومن لم يجمع معى كان مبددا .

ان الروح النجس ، اذا خرج من الانسان ، هام فى القفار يطلب الراحة فلا يجدها فيقول : ارجع الى بيتى الذى منه خرجت . فيأتى فيجده مكنوسا مزينا فيذهب ويستصحب سـبعة أرواح أخبث منه ، فيدخلون ويقيمون فيه ، فتكون حالة ذلك الانسان الأخيرة أسوأ من حالته الأولى » .

وبينما هو يقول ذلك ، اذا امرأة رفعت صوتها من الجمع فقالت له : « طوبى للبطن الذى حملك ، وللثديين اللذين رضعتهما ! » فقال : « بل طوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها ؟ » ا . هـ .

* * *

النص عنـد متى :

وأتوه برجل ممسوس أعمى أخرس ، فشفاه حتى ان الأخرس تكلم وابصر . فدهش الجموع كلهم وقالوا : « أترى هذا ابن داود ؟ » ... الفريسيون كلامهم فقالوا : « ان هذا لا يطرد الشياطين الا ببعل زبول سيد الشياطين » . فعلم يسوع أفكارهم فقال لهم : « كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب ، وكل مدينة أو بيت ينقسم على نفسه لا يثبت . فان كان الشيطان يطرد الشيطان ، فقد انقسم على نفسه ، فكيف تثبت مملكته ؟ وان كنت أنا ببعل زبول أطرد الشياطين ، فبمن يطردهم أبناؤكم ؟ لذلك هم الذين سيحكمون عليكم . وأما اذا كنت أنا بروح الله أطرد الشياطين فقد وافاكم ملكوت الله .

أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت الرجل القوى وينهب أمتعته ، اذا لم يوثق ذلك الرجل القوى أولا ؟ وعندئذ ينهب بيته .

* * *

من لم يكن معى، كان على ، ومن لم يجمع معى، كان مبددا[١] . لذلك أقول لكم : كل خطيئة وتجديف يغفر للناس ، وأما التجـديف على الروح ، فلن يغفر . ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له، أما من قال على الروح القدس ، فلن يغفر له . لا فى هذه الدنيا ولا فى الآخرة .

---

(١) « جمع » و « بدد » . توحى الكلمتان بتصرف الراعى (راجع ٣١/٢٦ ويو ١٠/١٢ و ١١/٥٢ و ١٦/٣٢) ، وهو رمز لمعاملة الله لشعبه (اش ٤٠/١١ و ٤٩/١٨ وحز ٣٤/١٣ و ١٦) .

اجعلوا الشجرة طيبة ، يأت ثمرها طيبا . واجعلوا الشجرة خبيثة ، يأت ثمرها خبيثا . فمن الثمر تعرف الشجرة . يا أولاد الأفاعي ، كيف لكم أن تقولوا كلاما طيبا وأنتم خبثاء ؟ فمن فيض القلب يتكلم اللسان . الانسان الطيب من كنزه الطيب يخرج الطيب . والانسان الخبيث من كنزه الخبيث يخرج الخبيث .

أقول لكم : ان كل كلمة باطلة يقولها الناس ، يحاسبون عليها يوم الدينونة . لأنك تزكى بكلامك وبكلامك يحكم عليك » .

* * *

وكلمه بعض الكتبة والفريسيين فقالوا : « يا معلم ، نريد أن نرى منك آية »[1] . فأجابهم : « جيل فاسد فاسق يطالب بآية ، ولن يعطى سوى آية النبى يونان . فكما بقى يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، فكذلك يبقى ابن الانسان فى جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . رجال نينوى يقومون يوم الدينونة مع هذا الجيل ويحكمون عليه ، لأنهم تابوا بانذار يونان ، وههنا أعظم من يونان . ملكة التيمن تقوم يوم الدينونة مع هذا الجيل وتحكم عليه ، لأنها جاءت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان[2] وههنا أعظم من سليمان .

---

(١) « آية » يوافق هذا الطلب التقليد اليهودى القائل بأن المسيح سيجرى آيات تؤيده فى نظر شعبه (راجع ١ قور ٢٢/١ ومتى ١/١٦ و ٣/٢٤ و ٣٠) . ولكن طلب الفريسيين كان بسوء نية وبعدم التمييز بين آية وعجيبة .

(٢) راجع ١ مل ١/١٠ — ١٠ .

ان الروح النجس ، اذا خرج من الانسان ، هام[1] فى القفار يطلب الراحة فلا يجدها ، فيقول : « أرجع الى بيتى الذى منه خرجت » • فيأتى فيجده خاليا مكنوسا مزينا • فيذهب ويستصحب سبعة أرواح أخبث منه ، فيدخلون ويقيمون فيه ، فتكون حالة ذلك الانسان الأخيرة أسوأ من حالته الأولى . وهكذا يكون مصير هذا الجيل الفاسد » أ . هـ •

* * *

النص عند مرقس :

« وكان الكتبة الذين نزلوا من أورشليم يقولون : « ان فيه بعل زبول ، وانه بسيد الشياطين يطرد الشياطين » فدعاهم وكلمهم بالأمثال قال : « فاذا أنقسمت مملكة على نفسها فلا تستطيع تلك المملكة أن تثبت واذا انقسم بيت على نفسه ، فلا يستطيع ذلك البيت أن يثبت . واذا ثار الشيطان على نفسه فانقسم فلا يستطيع أن يثبت ، بل ينتهى أمره فما من أحد يستطيع أن يدخل بيت الرجل القوى وينهب أمتعته ، اذا لم يوثق ذلك الرجل القوى أولا ، فعندئذ ينهب بيته •

* * *

والحق أقول لكم ان كل شىء يغفر لبنى البشر من خطيئة وتجديف مهما بلغ تجديفهم • واما من جدف على الروح القدس ، فلا غفران له أبدا ، بل هو مذنب بخطيئة للابد » •

ذلك بانهم قالوا ان فيه روحا نجسا » أ هـ •

* * *

النص عنـد يوحنا :

« ولما أكمل هذا يسوع ، جىء برجل فيه شيطان • وهو لا يتكلم • ولا يبصر • ولا يسمع . فلما رأى يسوع ايمانهم ، رفع عينيه نحو السماء،

---

(١) هام : ذهب لا يدرى الى أين يتوجه .

وقال : أيها الرب الله آبائنا ، أرحم هذا المريض وأعطه صحته ، ليعلم هذا الشعب : أنك أرسلتنى . ولما قال يسوع هذا ، أمر الروح أن ينصرف قائلا : بقوة الله ربنا ، انصرف أيها الشرير عن الرجل . فانصرف الروح وتكلم الأخرس ، وأبصر بعينيه ، فارتاع لذلك الجميع .

ولكن الكتبة ، قالوا : انما هو يخرج الشياطين بقوة بعلزبوب ، رئيس الشياطين .

حينئذ قال يسوع : كل مملكة منقسمة على نفسها تخرج ، ويسقط بيت على بيت . فاذا كان يخرج الشيطان بقوة الشيطان ، فكيف ثبتت مملكته ؟ واذا كان أبناؤكم يخرجون الشيطان بالكتاب الذى أعطاهم اياه سليمان النبى[1] . فهم يشهدون : أنى أخرج الشيطان بقوة الله .

لعمر الله : ان التجديف على الروح القدس : لا مغفرة له . لا فى هذا العالم ، ولا فى العالم الآخر ، لأن الشرير ينبذ نفسه عالما مختارا » (برنابا ٦٩ : ١٣—٢٢) .

* * *

التعليق على معجزة اخراج الشياطين من الممسوسين :

١ — الروح النجس يقابله الروح القدس .

٢ — « وأما اذا كنت باصبع الله أطرد الشياطين ، فقد وافاكم ملكوت الله » .

وفى ترجمة : « ولكن ان كنت باصبع الله أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله » وهذا يدل على أن « ملكوت الله » الذى اقبل ، واقترب ، ووافاهم مجيئه ، ليس هو ملكوت عيسى عليه السلام . وهم يقولون : انه سوف يظهر فى آخر الزمان ليؤسسه بالملك الروحى على قلوب أتباعه . والنصوص تكذبهم . فان دانيال حدد وقت ظهور الملكوت بانتهاء دولة روما من فلسطين . وان موسى قال : لن يظهر مثلى

---

(١) كما يزعمون . فان سليمان عليه السلام لم يعطهم كتبا فى السحر . لانه كان على شريعة التوراة . وهى تحرم السحر .

من بني اسرائيل . وقال : ان النبي الآتي مماثل لي في الحروب ، والمعجزات والانتصار على الأعداء ، والملك على الأمم والشعوب .

التجديف على « الروح القدس »
والتجديف على « ابن الانسان »

٣ — وقد قال عيسى عليه السلام عن محمد صلى الله عليه وسلم « المعزى الروح القدس » .

وقال دانيال عن ملكوت محمد صلى الله عليه وسلم : « ابن انسان ... فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا » فالروح القدس لقب لمحمد . وابن الانسان لقب لمحمد . والتجديف على واحد منهما هو نفسه تجديف على الآخر . فاذا جدف يهودي على الروح القدس ، فانه يجدف على ابن الانسان . واذا جدف على ابن الانسان ، فانه يجدف على الروح القدس. وهذا المعنى موجود في انجيل مرقس وانجيل برنابا . فان مرقس روى : « وأما من جدف على الروح القدس فلا غفران له أبدا ، بل هو مذنب بخطيئة للأبد » ولم يذكر التجديف على ابن الانسان . وروى برنابا : « ان التجديف على الروح القدس : لا مغفرة له . لا في هذا العالم ، ولا في العالم الآخر » .

أما متى ولوقا . فان المحرفين كتبوا فيهما للبس الحق بالباطل : أن من يجدف على الروح القدس لا يغفر له ، ومن يجدف على ابن الانسان يغفر له . كيف وهما لقبان الواحد ؟

٤ — مترجمو دار المشرق حرفوا الترجمة في هذا النص : « فلن يغفر له . لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة » والنص في ترجمة البروتستنت صحيح وهو : « فلن يغفر له . لا في هذا العالم ، ولا في الآتي » (متى ١٢:٣٢) ومثله نص برنابا : « لا مغفرة له . لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر » .

وفي لوقا : « وكل من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر اله » (لو ١٢:١٠) ولم يذكر . في هذا العالم ولا في الآتي • وترجمة البروتستنت صحيحة • لأن عيسى عليه السلام يقارن بين جيلين في قوله : « هكذا يكون أيضا لهذا الجيل الشرير » ولأنه يذكر دهرين وعالمين : دهر وعالم ما قبل الملكوت : ودهر وعالم اما بعد الملكوت •

فالمراد من العالم الآخر : هو ملكوت النبي الأمي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعصر الملكوت الآتي ليس لعيسى عليه السلام لقوله . « ولست أنا بعد في العالم » (يو ١٧:١١) ولقوله : « اني ذاهب الى أبي ولا ترونني أيضا » (يو ١٦:١٠ والقوله : « وأما الآن فأنا ماض الى الذي أرسلني » وقال : انه اذا لم أمض ، فانه لا يأتيكم المعزى الروح القدس . واذا أتى المعزى فانه يحل محله : ولا يأتي يسوع من بعده • ذلك قوله : « انه خير لكم أن أنطلق • لأنه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزى » (يو ١٦:٧)•

شـــهادة الروح القدس

موسى عليه السلام صاحب كتاب سماوي هو التوراة • وقد مات • وبقي كتابه من بعده ، يقرأ فيه بنو اسرائيل ، ويتعبدون به • ويقولون : انه كتاب موسى • فاذا قرأ انسان فيه : « وعلمهم الفرائض والشرائع » (خر ١٨:١٠) فانه يقــدر أن يقــول : قال موسى : « وعلمهم الفرائض والشرائع » ويقدر أن يقول : قالت التوراة ويقدر أن يقول : قال الروح القدس : ويقدر أن يقول : قال الله . ويقدر أن يقول : قالت الشريعة ويقدر أن يقول : قال الكتاب • مع أن موسى الآن انما هو رجل ميت • والكتاب لا روح فيه ولا لسان فيه • وكذلك الشريعة •

ولما كان الكتاب قد نزل أولا عن طريق الروح القدس • فانه من عادة بني اسرائيل حال الاســتدلال بنص ، على شيء أن يقــولوا : « وذلك ما يشهد به لنا الروح القدس أيضا • فبعد أن قال : « هو ذا العهد الذي

أعاهدهم أياه ... الخ » (عب ١٠:١٥—) فقد مثا الروح القدس قائلا، ومتكلما بعد نزول الكتاب امن السماء بسنين طويلة .

الروح القدس ينوب عن ملائكة السماء

« فما شأن الشريعة اذن ؟ انها أضيفت بداعى المعاصى ، الى أن يأتى النسل . الذى جعل له الموعد . أعلنها الملائكة ، عن يد وسيط . ولا وسيط لواحد . والله واحد » (غلا ١٦:٣—٢١) ترجمة أخرى : « فلماذا الناموس ؟ قد زيد بسبب التعديات ، الى أن يأتى النسل الذى قد دعو له ، مرتبا بملائكة فى يد وسيط وأما الوسيط فلا يكون لواحد ، ولكن الله واحد » .

المعنى : يقول بولس — وغرضه من القـول ابطال الشريعة — ان الشريعة تجعل الصالح الخاطىء فى حيرة من أمره . لأنهـا تجلب الهم ، بسبب الظن فى التقصير فى العبادة . ومن شأنها : أن تكشف للانسان أنه مستعبد للشريعة وللفقهاء ، وتنشىء عنده انتظار الشفيع والمخلص من آثار الذنوب .

والملائكة طرف أول . واليهود والدخلاء طرف ثان . وموسى وسيط بين الطرفين . لأنه هو الذى أخذ من الملائكة وأعطى للبشر . ومن المؤكد: أن الوسيط لا يكون الا بين طرفين . لأنه لا وسيط لطرف واحد . فى حين أن الله واحد . وقوله « الله واحد » مقحم فى النص . على هـذا التفسير .

وعلى تفسير آخر لا يكون مقحما . وهـو : أن موسى وسيط بين طرفين هما الملائكة والبشر .

والبشر على نوعين :

١ — يهـود .

٢ — ووثنيون • فكأنه يريد أن يقول : والله واحد للنوعين معا •

والنصارى يقولون : « لهذه الآية تفسيرات كثيرة تتضمن فى أغلب الأحيان مضمرات من الصعب أن نسلم بها » وما ذكرناه لهم لا يجعل النص صعبا •

وفى هذا النص جعل اعلان الملائكة ، مكان اعلان الروح القدس •

وبولس فى هذا النص يريد الغاء العمل بشريعة موسى • لا عن جميع النصارى • بل عن الأمم فقط • فان الداخل فى النصرانية اما يهودى واما وثنى . وهو يبين : أنه يجب على اليهودى اذا دخل فى النصرانية أن يعمل بشريعة موسى • ولا يجب على الأمى اذا دخل فى النصرانية أن يعمل بشريعة موسى . بل يلتزم بعادات قومه، وقوانين بلاده. يقول بولس: « وأشهد مرة أخرى لكل مختتن بأنه ملزم أن يعمل بالشريعة جمعاء » (غلا ٥:٣) يقصد بالمختتن : اليهودى أى يجب على اليهودى أن يعمل بشريعة موسى اذا دخل فى النصرانية . أما الوثنى فانه يقول له : « فلا يحكمن عليكم أحد فى المأكول والمشروب أو فى الأعياد والأهلة والسبوت فما هذه الا ظل الأمور المستقبلة » (كولوسى ٢:١٦—١٧) .

ثم قال بولس للوثنيين : اخضعوا لقوانين البلاد التى أنتم تقيمون فيها • وقال بطرس بقوله • يقول بطرس : « اخضعوا لكل نظام بشرى من أجل الرب . للملك على أنه السلطان الأكبر ، وللحكام على أن لهم التفويض منه أن يعاقبوا فاعل الشر ، ويثنوا على فاعل الخير » (١ بط ٢:١٣—١٤) وقال بولس : « ليخضع كل امرىء للسلطات التى بأيديها الأمر • فلا سلطة الا من عند الله • والسلطات القائمة هو الذى أقامها ، فمن عارض السلطة ، قاوم النظام الذى أراده الله » (رو ١٣:١—٢) وقال بولس : « الدعوة التى دعى فيها كل واحد ، فليلبث فيها » (١ كور ٧:٢٠) .

والرد على بولس وبطرس :

هو : أنهما حذفا شريعة الهية ، وأقــروا بدلها شريعة وضعية . ومن يبدل شريعة بشريعة ، لا يصرح بحرية للناس . اذا هو خلصهم من عبودية شريعة ، ووضعهم تحت عبودية شريعة . فالحرية التى يتشدق بها بولس أنها صارت بالايمان بلا أعمال . هى كلام فى الهواء الطلق . لأنه لا أحد من الناس يعيش بمعزل عن قوانين الجماعة .

وهما بقولهما هذا . قد خالفا عيسى عليه السلام فى قوله : « أتظنون أنى جئت لأبطل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله انى لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها . لأن كل نبى حفظ شريعة الله . وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين . لعمر الله الذى نفف نفسى فى حضرته لا يمكن . أن يكون مرضيا لله من يخالف أقل وصاياه ، ولكنه يكون الأصغر فى ملكوت الله ، بل لا يكون له نصيب هناك . وأقـول لكم أيضا : انه لا يمكن مخالفة حرف واحد من شريعة الله الا باجتراح أكبر الآثام . ولكنى أحب أن تفقهوا : أنه ضرورى أن تحافظوا على هذه الكلمات التى قالها الله على لسان اشعياء النبى : « اغتسلوا وكونوا أنقياء أبعدوا أفكاركم عن عينى » الحق أقول لكم : ان ماء البحر كله لا يغسل من يحب الآثام بقلبه » (برنابا ١:٣٨ــ١٠ متى ١٧:٥ــ١٩ اشعياء ١٦:١).

* * *

اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة :

وقد بينا : أن عيسى عليه السلام كان مثله ــ مع الفارق ــ مثل العالم من علماء المسلمين ، فى اصدار الفتاوى الدينية مستندة على الدليل من القرآن الكريم . فان أى كلام بلا دليل ، يعتبر لغـوا من القـول . وعيسى عليه السلام ما قال قولا بغير دليل من التوراة . وكتاب الأناجيل ذكروا من أقواله أقوالا بأدلتها . ونص الدليل فى التوراة اذا نقل فى الانجيل للاستشهاد به . يسمى بالدليل المقتبس من التوراة ويسمى بالشاهد أيضا

واذا تطابق النصان في اللفظ والمعنى ، فهذا شيء . واذا لم يتطابقا فهذا شيء آخر .

وهذه أحسن طريقة النقد الأناجيل الأربعة . ونص اشعياء هو : « اغتسلوا . تنقوا . اعزلوا شر أفعالكم من امام عيني ، كفوا عن فعل الشر ... » (اش ١٦:١) فاللفظ مختلف . وهذا لا يعيب كثيرا . لأن المعنى واحد . أما اذا كان المعنى مختلفا ، فههنا تكون الطامة الكبرى لأن التحريف ، يظهر ، والحكم بالارتداد ، يعلن .

والأمثلة على ذلك كثيرة . فالأصحاح الأول من الرسالة الى العبرانيين فيه اقتباسات من التوراة ، في غير موضعهم . ويلزم في الحالة هذه أحد أمرين : اما كذب التوراة ، واما كذب الانجيل — وهما أمران أحلاهما مر — والاقتباسات هي : مز ٢ : ٧ ٢صم ٧ : ١٤ تث ٣٢ : ٤٣ مز ٩٧ : ٧ مز ١٠٤ : ٤ مز ٤٥ : ٧ — ٨ مز ١٠٢ : ٢٦ — ٢٨ مز ١٠٠ : ١ .

* * *

ومما تقدم ، يعلم : أن حلول الروح القدس على المؤمنين كان في حياة بني اسرائيل من قبل ولادة عيسى عليه السلام — كما ذكر اشعياء — وكان في حياة النصارى في أيام عيسى نفسه . وأن عيسى عليه السلام وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بالروح القدس على عادة قومه في التعبير عن النبي الصادق . وذكرنا أن « الروح القدس » من المشترك اللفظي . الذي يدل على معان كثيرة . وسياق الكلام هو الذي يحدد المعنى المراد . واكتفينا بما ذكرنا . لأن ما ذكرناه يدل على غرضنا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وقد جاء في القرآن الكريم : « وأيدهم بروح منه » وهذا المعنى مكرر كثيرا في الأناجيل — كما بينا — وجاء : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » وهذا المعنى مكرر كثيرا في الأناجيل وجاء : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وذكر اسم الروح في سورة أخرى فقال :

« قل : من كان عدوا لجبريل ، فانه نزل على قلبك » وقال تعالى عن عيسى عليه السلام : « وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس » والتأييد بروح القدس الذى هو الالهام لا يدل على ميزة له على غيره من المؤمنين ، والذى يدل على ميزة له ، هو أنه أيده بالنبى الذى كان يبشر بمقدمه . النبى الذى لقبه بالمعزى الروح القدس . لأن مجيئه من بعده يدل على أنه كان صادقا فى تبشيره عنه . ومجىء الذى بشر به ، يدل على أن الله أيده بظهوره .



تقاليد الشيوخ

آراء المسيح عيسى بن مريم في السنة النبوية القديمة والجديدة

لاحظ :

هذا الفصل تمهيد ، لما سنذكره ، في القسم الثاني من هذا الكتاب.

واضح من الأناجيل الأربعة : أن عيسى عليه السلام كان يستدل بالتوراة :

(أ) بالشريعة .

(ب) والأنبياء .

وواضح من الأناجيل : أنه عليه السلام لم يستدل بالسنة النبوية ، ولم يوقر آراء العلماء ، المخالفة للحق .

(أ) أما استدلاله بالشريعة — أي توراة موسى عليه السلام — فان فيها هذا النص : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك . ومن كل قوتك » (تثنية ٦: ٤—٥) وفي الأنجيل أن عالما من علماء بني اسرائيل سأله عن الوصية العظمى في التوراة . وأجابه بأنها هي : « الرب الهنا رب واحد » ولما أجابه استدل بهذا النص على اجابته . ففي انجيل متى : « وسأله واحد منهم وهو ناموسي ، ليجربه ، قائلا : يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع : تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى » (متى٢٢: ٣٤—٣٧).

والناموسي : هو عالم من علماء الفريسيين . والفريسي يستدل بالتوراة وبالسنة ، والناموسي لا يستدل بالسنة .

(ب) وأما استدلاله بالأنبياء — أي كتب الأنبياء الذين ظهروا من بعد موسى — فان في زبور داود : « قال الرب لربي ، اجلس عن يميني

حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » (مزمور ١١٠:١) وقد استدل به على أن « المسيا الآتى » لن يكون من ذرية داود عليه السلام .

(ج) وأما أنه لم يوقر آراء العلماء المخالفة للشريعة . فذلك واضح من تبشيره بمحمد صلى الله عليه وسلم فان منهم من كان يزعم بأنه سيظهر من داود . وان منهم من كان يزعم بأنه سيظهر من يوسف .

(د) وأما أنه كان يجادل لمحو الآراء الضالة بالدليل من كتاب موسى نفسه . فانه لما قيل له : أن الذبيح اسحق لا اسماعيل . أجاب بأنه اسماعيل . وطلب منهم التمعن فى قراءة النص . وهو : « خذ ابنك بكرك اسحق » قال عليه السلام : من هو البكر ؟ أجابوا : اسماعيل . قال : اذا كان هو البكر . فان اسم « اسحق » يجب أن يوضع بدله « اسماعيل » .

ففى الفصل الرابع والأربعين من انجيل برنابا : « حينئذ قال التلاميذ يا معلم . هكذا كتب فى كتاب موسى : أن العهد صنع باسحق . أجاب يسوع متأوها : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع بل أحبارنا الذين لا يخافون الله ... الخ »

(هـ) ولما سئل عن اسم النبى الأمى الآتى الى العالم : « أجاب يسوع بابتهاج قلب انه محمد رسول الله ، ومتى جاء الى العالم ، فسيكون ذريعة للاعمال الصالحة بين البشر » (برنابا ١٦٣:٨-٩) .

(ز) وأما أنه أنكر السنة النبوية ، ولم يستدل بها .

فالأمثلة كثيرة جدا فى الأناجيل :

ففى انجيل متى : « ودنا الى يسوع بعض الفريسيين والكتبة من أورشليم . فقالوا له : لم يخالف تلاميذك سنة الشيوخ . فهم لا يغسلون أيديهم عند تناول الطعام ؟ فأجابهم : لم تخالفون أنتم وصية الله من أجل

سنتكم ؟ فقد قال الله : « أكرم أباك وأمك » و « من لعن أبا أو أما ، فليمت موتا » واما انتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه : كل شيء قد ساعدك به ، جعلته قربانا ، فلن يلزمه أن يكرم أباه . لقد نقضتم كلام الله من أجل سنتكم . أيها المراءون . أحسن اشعياء في نبوءته عنكم . اذ قال : « هذا الشعب يكرمني بشفتيه . وأما قلبه فبعيد عني . انهم بالباطل يعبدونني . فليس اما يعلمون من المذاهب سوى أحكام بشرية » (متى ١٥:١—٩) .

ونص اشعياء هو : « لأن هذا الشعب قد اقترب الى بفمه . وأكرمني بشفتيه . واما قلبه فأبعده عني ، وصارت مخافتهم مني ، وصية الله . معلمة » (اش ٢٩:١٣) .

لاحظ . « سنة الشيوخ » — « سنتكم » ولاحظ : قول الله على لسان اشعياء :

« فليس اما يعلمون من المذاهب سوى أحكام بشرية » يقولون : انها « سنة » .

(ر) وفي زمان عيسى عليه السلام كان تقليد الشيوخ كافيا عن النظر في نصوص الأدلة . وكان الاستناد الى قول الشيخ — حيا كان أو ميتا — حرزا من الحساد ، وخصوم المذهب . وقد واجه هذه المشكلة بقوله : انكم اذا فضلتم كلام الشيخ على كلام الله . فمعنى ذلك : أن الشيخ أعلم من الله وأحكم . وهذا هو الضلال المبين . يقول عليه السلام : « لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته : لو لم يفسد كتاب موسى ، مع كتاب أبينا داود ، بالتقاليد البشرية للفريسيين الكذبة والفقهاء ، لما أعطاني الله كلمته . ولكن لماذا اتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود ؟ فقد فسدت كل نبوة ، حتى أنه لا يطلب اليوم شيء ، لأن الله أمر به ، بل ينظر اذا كان الفقهاء يقولون به ، والفريسيون يحفظونه . كأن الله على ضلال ، والبشر لا يضلون » (بر ١٨٩ : ٩ — ١١) .

وقد بين فى هذا النص : أن تقاليد الشيوخ باطلة . لأن وضوح التحريف فى كتب الله ، يدل على وجوده فى كتب الناس .

وقد أكثر عيسى عليه السلام من التنديد بتقاليد الشيوخ . ذلك قول الراوى عنه : « أما الكتبة والكهنة فلما ادركوا أنه ندد بتقاليد الشيوخ ، اضطرموا ببغضاء أشد ، وقسوا قلوبهم نظير فرعون . لذلك طلبوا فرصة ليقتلوه . ولكنهم لم يجدوها » (بر ٣٤ : ٢١ — ٢٣) .

* * *

ومن كلامه عليه السلام فى ذم التقليد : « ١٥ ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون ١٦ ويل لكم أيها الكهنة واللاويون لأنكم أفسدتم ذبيحة الرب ١٧ حتى أن الذين جاؤوا ليقدموا الذبائح يعتقدون أن الله يأكل لحما مطبوخا كالانسان .

١ — لأنكم تقولون لهم : احضروا من غنمكم وثيرانكم وحملانكم الى هيكل الهكم ولا تأكلوا الجميع بل أعطوا نصيبا لالهكم مما أعطاكم .

٢ — ولكنكم لا تخبرونهم عن أصل الذبيحة أنها شهادة الحياة التى أنعم بها على ابن أبينا ابراهيم .

٣ — حتى لا ينسى ايمان ، وطاعة أبينا ابراهيم ، مع المواعيد الموثقة معه من الله ، والبركة الممنوحة له .

٤ — « ولكن يقول الله على لسان حزقيال النبى[١] : « أبعدوا عنى ذبائحكم هذه ان ضحاياكم مكروهة عندى » .

٥ — لأنه يقترب الوقت الذى يتم فيه ما تكلم عنه الهنا على لسان هوشع[٢] النبى قائلا : « انى ادعو الشعب غير المختار مختارا » .

---

(١) اش ١ : ١١ و ار ٦ : ٢٠ .
(٢) هو ٢ : ٢٣ .
(٣) ار ٣١ : ٣١ و ٣٢ .

٦ - وكما يقول فى حزقيال النبى : « سيعمل الله ميثاقا جديدا مع شعبه ليس نطير الميثاق الذى أعطاه لآبائكم فلم يفوا[٣] به . وسيأخذ منهم قلبا من حجر ويعطيهم قلبا جديدا » .

٧ - وسيكون كل هذا لأنكم لا تسيرون الآن بحسب شريعته ، وعندكم المفتاح ولا تفتحون ، بل بالحرى تسدون الطريق على الذين يسيرون[٥] فيها » (برنابا ٦٦ : ١٥ -) .

عبادة الصنم بعل

وقد روى تنديد عيسى عليه السلام بالعلماء المقلدين للشيوخ كتاب الأناجيل وقد ذكرنا رواية متى . التى ذكرها ايضا مرقس فى الاصحاح السابع . ونذكرها ههنا من برنابا ، لمعرفة الشر الذى يصيب الناس بسبب تقاليد الشيوخ :

« ودعا أحد المتضلعين من الشريعة ، يسوع ، للعشاء ليجربه . فجاء يسوع الى هناك مع تلاميذه . وكثيرون من الكتبة انتظروا فى البيت ، ليجربوه . فجلس التلاميذ الى المائدة ، دون أن يغسلوا أيديهم فدعا الكتبة يسوع قائلين : لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا ، بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزا ؟

أجاب يسوع : وأنا أسألكم لأى سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم ؟ تقولون لأولاد الآباء الفقراء : قدموا ، وأنذروا للهيكل ، وهم انما يجعلون نذروا من النزر الذى يجب أن يعولوا به آباءهم ، واذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقودا يصرخ الأبناء : ان هذه النقود نذرا لله . فيصيب الآباء بسبب ذلك ضيق .

---

(٤) حز ٣٦ : ٢٦ .

(٥) لو ١١ : ٥٢ .

ولاحظ : ان الشعب غير المختار هم الاسماعيليون واليهود يدعون انهم هم الأمة المختارة والمفضلة على العالمين الى يوم القيامة .

أيها الكتبة الكذابون المراؤون أيستعمل الله هذه النقود ؟ كلا ثم كلا . لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبى : « هل آكل لحم الثيران واشرب دم الغنم ؟ أعطنى ذبيحة الحمد ، وقدم لى نذورك لأنى ان جعت لا اطلب منك شيئا . لأن كل الأشياء فى يدى . وعندى وفرة الجنة[١] » أيها المراؤون انكم انما تفعلون ذلك ، لتملأوا كيسكم . لذلك تعشرون السذاب والنعنع . ما أشقاكم لأنكم تظهرون للآخرين أشد الطرق وضوحا ، ولا تسيرون فيها .

أيها الكتبة والفقهاء انكم تضعون على عواتق الآخرين أحمالا لا يطاق حملها ، ولكنكم لا تحركونها بإحدى أصابعكم .

الحق أقول لكم : ان كل شر انما دخل العالم بوسيلة الشيوخ . قولوا لى : من أدخل عبادة الأصنام فى العالم الا طريقة الشيوخ ؟ أنه كان ملك أحب أباه كثيرا . وكان اسمه بعلا . فلما مات الأب أمر ابنه بصنع تمثال شبه أبيه ، تعزية لنفسه ، ونصبه فى سوق المدينة ، وأمر أن يكون كل من اقترب من ذلك التمثال الى مسافة خمسة عشر ذراعا فى مأمن ، لا يلحق أحد به أذى ، على الاطلاق . وعليه أخذ الأشرار بسبب الفوائد التى جنوها من التمثال يقدمون له وردا وزهورا . ثم تحولت هذه الهدايا فى زمن قصير الى نقود وطعام ، حتى سموه الها تكريما له . وهذا الشىء تحول من عادة الى شريعة ، حتى ان الصنم بعلا انتشر فى العالم كله .

وقد ندب الله هذا بواسطة اشعياء قائلا : « حقا ان هذا الشعب يعبدنى باطلا ، لأنهم أبطلوا شريعتى التى أعطاهم اياها عبدى موسى ، ويتبعون تقاليد شيوخهم » (برنابا ٣٢ : ١ — ٣٠) .

---

(١) مزمور ١ : ١٣ و ١٤ و ١١ و ١٢ .

الاقتباسات فى النص :

أولا : نص الزبور الذى نقله عيسى عليه السلام فيه تقديم وتأخير . وفيه ذكر للجنـة بصراحة . والنص هو : « اسـمع يا شعبى فاتكلم . يا اسرائيل فاشهد عليك . الله الهك أنا . لا على ذبائحك أوبخك . فان محرقاتك هى دائما قدامى . لا آخذ من بيتك ثورا ، ولا من حظائرك اعتدة . لأن لى حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف . قد علمت كل طيور الجبال ، ووحوش البرية عندى . ان جعت فلا اقول لك . لأن لى المسكونة ، وملأها .

هل آكل لحم الثيران ، أو اشرب دم التيوس ؟ اذبح لله حمـدا ، وأوف العلى نذورك ، وادعنى فى يوم الضيق ، أنقـذك ، فتمجـدنى » (مزمور ٥٠ : ٧ — ١٥) .

* * *

ثانيا : نص اشعياء هو : « فقال السيد : لأن هذا الشعب قد اقترب الى بفمه ، وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه ، فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة » (اش ٢٩ : ١٣) .

وقد نقله متى بالمعنى فى ١٥ : ٨ — ٩ .

ولاحظ :

انهما عليهما السلام فرقا بين : ١ — شريعة موسى . ٢ — وتقاليـد الشيوخ « لأنهم ابطلوا شريعتى التى أعطاهم اياها عبدى موسى ، ويتبعون تقاليد شيوخهم » .

هكذا قال اشعياء على لسان الله تعالى . وأمن على قوله عيسى عليه السلام فالثلاثة هزأوا وسخروا من تقاليد الشيوخ . وكان الصدوقيون يكتفون بالشريعة المكتوبة . بالتوراة خاصة — كمـا يحكى النصـارى

عنهم[١] — وكان السامريون يرفضون تقاليد الشيوخ وأسفار الأنبياء .

* * *

والآن . الى بيان تقاليد الشيوخ . وعن دخولها في المسلمين تحت أسم السنة النبوية ، اترك بيانه لغيرى من أهل الحديث ، وأهل الفضل . يبينونه تحت عنوان « اقتباسات كتاب الأحاديث من كتب أهل الكتاب » .

تقـــاليد الشـــيوخ

انزل الله تعالى التوراة على موسى النبى عليه السلام وبين له فيها أحكام الحلال والحرام . كمـا جاء عنها فى القـرآن الكريم « موعظـة وتفصيلا لكل شيء » وائتمن عليها الربانيين والأحبار ، من سبط لاوى ، وأمرهم بالمحافظة عليها ، وتعلميها للناس كافة ، الى أن يأتى النبى المماثل لموسى ، من بنى اسماعيل عليه السلام .

ومنهم من أدى الأمانة على وجهها ، ومنهم من خان . والذين خانوا ، ابتدعوا « سنة الشيوخ » وأضافوها الى موسى ، كاضافة التوراة اليه . وكان يجب عليهم تفسير التوراة . فيقولون — مثلا — : الآية الفلانيـة تفسيرها كذا . والله أعلم . فيكون التفسير اجتهاد — غير ملزم لأحد — من المفسر ، ولكنهم لمـا ابتدعوا آراء مخالفة للشريعة . ابتدعوا لهـا نصوصا . ولكى تكون النصوص مقدسة ، نسبوها الى موسى ، على أنها سنة منه . واذ هو نبى مطاع فى كل ما ترك . يكون امام الناس نصان الهيان . أحدهما : وحى باللفظ والمعنى . وهو التوراة . والآخر : وحى بالمعنى من الله واللفظ من موسى . وهو الحديث ، المعبر عنه بـ «التقليد» .

ولو أنهم لم يبتدعوا آراء شـاذة ، ما كانوا قد ابتـدعوا سـنة ، يبعدوا عنها صفة الشذوذ . وذلك لأن وجود السنة ، معناه : أنه توجد آراء مخالفة للكتاب . اذ لو كانت الآراء موافقة للكتاب ، لاحتاجت الى تفسير فقط . والتفسير محل اجتهاد بين المجتهدين ، وهو لا يحتاج الى سنة ،

---

(١) ص ٩٨ — العهد الجديد — طبعة دار المشرق بلبنان .

لتحسم النزاع فى الفهم ، وانما يحتاج الى معرفة المحكم والمتشابه من النصوص — كما بينا فى الروح القدس — .

ومثال ذلك : نص التوراة الواضح فى تحريم السحر ، وعمل علماء بنى اسرائيل بالسحر . تجد التضاد بين النص ، وبين العمل . فلكى يمنعوا التضاد . زعموا : أن السحر قد تسلموه من سليمان النبى نفسه . وساقوا روايات معنعنة عن ثقات عن ثقات عن ثقات أنهم تلقوه من الكتاب الذى تركه سليمان بن داود نفسه[1] .

أما تفسير التوراة :

فمنه ما كان سائغا مقبولا ، ومنه ما كان غير سائغ ولا مقبول .

فالتوراة تنص على اقامة الصلاة . بغير اتجاه الى جهه معينة ، وبغير تلاوة لا تصح الصلاة الا بها . وهذا لا يحتاج الى تفسير فى الجهة ، وقد يحتاج الى تفسير فى صيغ الصلاة ، وهيآتها ، وأعداد ركوعها وسجودها .

ووضع العلماء صيغا للصلوات . ولما ظهر عيسى عليه السلام طلب منه الحواريون أن يجعل لهم صيغة معينة يتلونها فى الصلوات . وهذا تفسير حسن . أما تحديد القبلة الى جهة أورشليم ، أو الى جهة نابلس . فهذا ليس بتفسير ، وانما هو ابتداع فى الدين وتشديد .

وقد روى متى ولوقا صيغة الصلاة بألفاظ مختلفة . فعند لوقا خمس طلبات . وعند متى سبع . وعند اليهود ثمانى عشر طلبة . والكل متفق على طلبة « ليأت ملكوتك » ويترجمها اليهود « وليأت مسياه ، ويخلص شعبه » فالملكوت هو ملكوت المسيا وهو النبى الأمى المماثل لموسى .

ونصها عند لوقا : « أيها الآب . ليقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ،

---

(١) انجيل برنابا ٦٩ .

ارزقنا خبزنا كفاف يومنا ، وأعفنا من خطايانا ، فاننا نعفى نحن أيضا كل من لنا عليه . ولا تعرضنا للتجربة » (لو ١١ : ٢ ـ ٤) .

وقد مهد لها لوقا ، بقوله : « وكان يصلى فى بعض الأماكن ، فلما فرغ قال له أحد تلاميذه : يارب علمنا أن نصلى ، كما علم يوحنا تلاميذه ، فقال لهم : اذا صليتم فقولوا : أيها الآب ... الخ » .

وهذا نص صلاة من الليترجية اليهودية :

« أحببتنا حبا وافرا ، ايها الرب الهنا ، ورحمتنا رحمة عظيمة فائضة ، يا أبانا وملكنا . من أجل اسمك العظيم ومن أجل آبائنا الذين جعلوا ثقتهم بك والذين علمتهم وصايا الحياة ، سامحنا نحن أيضا . يا أبانا الرحيم ، ارحمنا وضع فى قلوبنا ان نفهم ونسمع وتتعلم ونعلم ، وان نسهر بمحبة على العمل بكل ما فى توراتك من أقوال تعليم . أنر عيوننا بوصاياك ، ولتلزم توراتك قلوبنا ولتتحد قلوبنا فتتقى اسمك ... اخترتنا من جميع الشعوب وقربتنا امن اسمك العظيم فى الأمانة . تباركت ، يارب ، انت الذى اختار شعبه اسرائيل فى المحبة » .

مـدراش وترجـوم

ومدراش ـ بكسر الميم ـ وترجـوم ـ بفتح المثنـاه الفوقية ـ اصطلاحان معروفان ، لتفسير التوراة . بعد رجوع اليهود من سبى بابل ، سنة ٥٨٦ ق٠م .

وقد جاء فى كتاب « دليل الى قراءة الكتاب المقدس »[1] ما نصه :

تساءل اليهود فى وقت باكر عن امكانية جعل الكتاب المقدس حاليا . فان كلمة الله أعطيت فى اوضاع لم تكن الاوضاع التى يعيشونها . فلابد من تجديد قراءة الكتاب المقدس للبحث كيف يكون له معنى فى الحاضر .

---

(١) ص ٨١ دليل الى قراءة الكتاب المقدس ـ دار المشرق بلبنان .

فكلمة مدراش (من درش = بحث) تطلق على طريقة التفسير وعلى المؤلفات الموضوعة بحسب هذه الطريقة .

هناك نوعان من المدراش :

المدراش « هلكه » (من أصل يعنى « الطريق ») : يبحثون عن قواعد مسلكيــة وقوانين . فى الدين اليهــودى ، « هلكوت » (جمع هلكه) مرادف لـ « قوانين » .

المدراش « هجاده » (من أصل يعنى « روى ») : يبحثون خاصة عن بناء الآخرين .

فالتاريخ الكهنوتى الذى يجدد قراءة التقاليد فى اطار الجلاء ليجد فيها معنى ورجاء ، وعمل كاتب الأخبار الذى يبحث فى التاريخ كيف يعيش ملكوت الله ، هما بداية لمدراش هلكه . أما راعوت ويونان فهما بالأحرى من طراز مدراش هجاده .

والترجوم هو ترجمة شفهية ، باللغة الآرامية ، للكتاب المقدس . بقيت العبرية اللغة المقدسة . ولكن اتى وقت لم يعد الشعب يفهمها . لأنه يتكلم الآرامية . فى الطقوس ، كان الكتاب المقدس يقرأ بالعبرية ، ثم كان أحد الكتبة يترجمه الى الآرامية . ولكنه ، بدلا من ان يترجمه ترجمة حرفية ، كان يتوسع فى معناه كما كانوا يفهمونه فى ذلك الزمان .

وفى أثناء طقوس العبادة التى كان عزرا يترأسها (نح ٨ — ٩) ، كانوا يقرأون الكتاب المقدس ، ثم كان اللاويون يشرحونه . ولعل فى ذلك شهادة من الشهادات الأولى لهذه الممارسة » ا . هـ .

نمـوذج لترجـــوم

عن ذبح ابراهيـم لابنـــه

وفى التوراة : أن الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه البكر الوحيد ، ليرى أهل العالم مقدار محبة ابراهيم له .

وكاتب التوراة كتب أن الابن الذى جاد به ابراهيم هو اسحق . وعيسى عليه السلام ــ طبقا لرواية برنابا ــ قال : ان الابن الذى جاد به ابراهيم هو اسماعيل . لأنه قال له : « خذ ابنك بكرك الذى تحبه » والابن البكر هو اسماعيل . فيكون « اسحق » مقحم من الكاتب نلبس الحق بالباطل .

وتفسير عيسى عليه السلام هذا هو نموذج للتفسير الصحيح للتوراة وانقل ههنا نصا من الكتاب السابق[1] يبين كيفية القراءة والترجوم . وهذا النص يعتبر نموذجا للتفسير الباطل للتوراة .

« ترجـوم لـ تك ٢٢/١٠

فى مطلع عصرنا المسيحى ، كان اليهود فى المجمع يقـرأون الكتب المقدسة فى العبرية وهى اللغة المقدسة ، ولكن الشعب كان يتكلم الآرامية فلم يعد يفهم العبرية . ومن ثم ظهرت الحاجة الى الترجمة ، ولكن ، بدلا من ان يقوموا بترجمة حرفية ، كانوا يترجمون بتصرف ، وهذا ما يسمونه « ترجـــــوم » . فى هـــذه الترجمـــــات الآراميـــة فائـدة كبرى ، لأنها ترينا كيف كانوا يفهمون الكتب المقدسة فى أيام المسيح . فكانوا تارة يجرون فيها بعض التغييرات البسيطة ، وتارة يضيفون اليهـا بعض الشروح . هذا ما جرى لرواية تقريب ابراهيم ابنه ذبيحة . فبعـد الآية ١٠ يضيف الترجوم :

---

(١) ص ٥٢ دليل الى قراءة الكتاب المقدس .

« تكلم اسحق وقال لأبيه ابراهيم : أربطني جيدا ، يا ابت ، لئلا ارفسك فتمسي تقدمتك باطلة ... كانت عينا ابراهيم تحدقان في عيني اسحق وكانت عينا اسحق تتجهان نحو ملائكة العلى . كان اسحق يراهم ، وما ابراهيم فلم يكن يراهم . وفي ذلك الوقت نزل من السموات صوت يقول : « تعالوا فانظروا شخصين فريدين في عالمي . الواحد يذبح والآخر يذبح : الذابح لا يتردد والمذبوح يبسط عنقه » .

فالربط الذي يلتمسه اسحق يعبر عن تقدمته الباطنية : فهو لا يريد ان يقاوم مخافة ان يجرح فلا يعود صالحا ليكون ضحية تقدم .

يطلب اليهود الى الله ، في ساعات الشدة ، ان يذكر هذا « الربط » وان يغفر لهم خطاياهم ، بسبب هذا الربط ، ويخلصهم » أ . هـ .

* * *

التوراة السبعينية :

وفي الكتاب السابق ما نصه :

« الترجمة السبعينية

يطلق اسم « السبعينية » على الترجمة اليونانية الاولى للعهد القديم .

مصدر هذا الاسم أسطورة وردت في « رسالة أرستي » وهو مؤلف يوناني يرقى عهده الى اواخر القرن الثاني ق.م : يقال ان ٧٢ عالما يهوديا عملوا منفردين مدة ٧٢ يوما فوضعوا ترجمة واحدة في جميع تفاصيلها ! المراد من ذلك ان تلك الترجمة كانت عجائبية وتمت بالهام من الله .

أما الواقع فان هذه الترجمة تمت بين السنة ٢٥٠ والسنة ١٥٠ ، عن يد مترجمين مختلفين .

كانت جماعة الاسكندرية تتكلم اليونانية ولم تعد تفهم العبرية . وكما أن النص العبري كان يترجم في فلسطين الى الآرامية

فكذلك ترجم هذا النص فى مصر الى اليونانية . ومن الأرجح ان لهذه الترجمة أصلا طقسيا وكثيرا ما هى تكييف اكثر مما هى ترجمة . انها قراءة جديدة للكتب المقدسة لجعلها حالية . هناك مثل مشهور : أعلن أشعيا : « ان المرأة الفتية تحبل وتلد عمانوئيل » (اش ١٤/٧) ، فترجمت السبعينية : تحبل « العذراء » ، وهذا ما حمل المسيحيين على تطبيق هذا النص على مريم (متى ٢٣/١) .

هذه الترجمة على جانب كبير من الاهمية .

انها أولا ساعدت على أقلمة الايمان اليهودى للفكر اليونانى فكونت لغة للتعبير عنه . ذلك بأنها استخدمت اللغة اليونانية المشتركة ، ولكنها صبغتها بعدد كبير من التراكيب المأخوذة عن العبرية . وقد أكثر العهد الجديد من استعمال هذه اللغة .

أصبحت « كتاب المسيحيين المقدس » ، وكثيرا ما تبنوا طريقة تفسيرها الكتب المقدسة . فكانت حلقة حاسمة مهدت الى التعبير الذى شاع فى المسيحية » أ هـ .

* * *

شك النصارى فى التوراة :

واذ قد بينا عن اليهود : (أ) النص (ب) والتفسير . وبينا : أن النصارى ورثوا التوراة من اليهود ، بنصها وتفسيرها ــ الغير ملزم ــ نبين من كتبهم شكهم فى أسفار التوراة .

فى كتاب دليل الى قراءة الكتاب المقدس ما نصه :

« الأسفار القانونية الثانية والأسفار المنحولة

الفرق ضئيل بين الكتاب المقدس الكاثوليكى والكتاب المقدس البروتستانتى فيما يتعلق بالعهد القديم . ففى الكتاب المقدس الكاثوليكى

٧ أو ٨ أسفار يسميها الكاثوليك قانونية ثانية ، ويسميها البروتستانت منحـــولة .

تعنى كلمة قانون « قاعدة » فالكتاب يكون قانونيا ان اعترف بـه كقاعدة ايمان . وقانون الكتب المقدسة هو مجموعة الكتب المعترف بها كقـاعدة ايمان .

ان المسيحيين قد اتبعوا اليهود فيما يتعلق بالعهد القـديم . ولكن هناك قانونين مختلفين قد وضعـا . ففى حوالى السنة ٩٠ ب.م. ، لم يعترف ربانيو فلسطين الا بالكتب المكتوبة بالعبرية ، فى حين ان يهـود الاسـكندرية كانوا يعترفون بكتب أخـرى وضعت أو كانت معروفـة باليونانيـة .

والمسيحيون الذين كانوا يطالعون الكتاب المقدس باليونانية تبنوا قانون يهود الاسكندرية ، لكن القديس ايرونيمس ، الذى ترجم الكتاب المقدس الى اللاتينية فى اوائل القرن الخامس ، كان يميـل الى القانون العبرى .

وفى أثنـاء الاصـلاح الذى تم فى القـرن السـادس عشر ، كان البروتستانت أشد ميلا الى اتباع القديس ايرونيمس . فكانوا يطبعـون الكتب المتنازع عليها فى ذيل الكتاب المقدس (وقد اختفت منه فى القرن التاسع عشر) ويسمونها « منحولة » .

وفى المجمع التريدنيتى . اعترف الكاثوليك: بأن هذه الكتب منزلة كسائر الكتب ، ولكنهم سموها « قانونية ثانية » (أى أنها ادخلت فى القانون فى مرتبة ثانية) .

هذه الكتب هى أسفار يهوديت وطوبيـا والمكـابيين والحكمـة

وابن سيراخ وباروك ورسالة ارميا والمقاطع اليونانية فى سفر استير وسفر دانيال » أ . هـ .

* * *

رفض النصارى للسنة النبوية
وقبول المسيحيين للسنة النبوية

وقد بين كتاب الأناجيل : أن اليهود الذى آمنوا بعيسى عليه السلام رفضوا السنة النبوية التى زعم علماء بنى اسرائيل انهم تلقوها بالتواتر من موسى عليه السلام ومن ذلك : « فتشاور الكتبة والفريسيون ، مع رئيس الكهنة ، ليقتلوا لعازر ، لأن كثيرين رفضوا تقاليدهم ، وآمنوا بكلمة يسوع » (بر ١٩٤ : ١ — ٢) .

لاحظ : قوله : « رفضوا تقاليدهم » .

* * *

واليهود الذين آمنوا بعيسى عليه السلام على أنه يبشر بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلق عليهم لقب « نصارى » وبعد تحريف دعوة عيسى عليه السلام الى جعله هو النبى الآتى ، لا محمد صلى الله عليه وسلم يطلق على كل المؤمنين به ، على أنه هو النبى الآتى ، لقب « مسيحيين » ولأنهم يريدون أن يظهروا للناس أنهم على حق « قالوا : انا نصارى » كما كان المؤمنون بعيسى فى حياته يقولون : « انا نصارى » .

فعندنا عهدان . العهد الأول : من عيسى الى مجمع نيقية لا يطلق عليهم فيه الا لقب « نصارى » والعهد الثانى : من مجمع نيقية والى أن تقوم القيامة ، يطلق عليهم فيه لقب « نصارى » ولقب « مسيحيين » ولقب « مسيحيين » وضعوه هم على أنفسهم ظلما وزورا . وذلك لأن عيسى عليه السلام ليس هو « المسيح الرئيس » كما قد خدعوا .

وعلى ذلك يقال — على ما هو شائع — : كل مسيحى نصرانى . وليس كل نصرانى مسيحيا .

* * *

والمسيحيون يقبلون السنة النبوية ، التى تسلموها من « بولس »

لقوله : « فاثبتوا اذن • أيها الاخوة ، وتمسكوا بالتعاليم التى تعلمتموها ، سواء كان بالكلام ، أم برسالتنا » (٢ تس ٢ : ١٥) •

* * *

بيـــان ان عيسى عليـــه السـلام موافق الشريعة والأنبيــاء وغير موافق للسنة النبوية

ومن ذلك : « قل لى أيها الأخ : أخطر فى بالك ، لما أتيت لتســألنى فى الهيكل : أن الله قد بعثنى لأبيد الشريعة والأنبياء ؟

من المؤكد : أن الله لا يفعل هذا ، لأنه غير متغير ، فان ما فرضــه الله طريقا لخلاص الانسان هو ما أمــر الأنبياء بالقول به . لعمر الله ـــ الذى تقف نفسى فى حضرته ـــ : لو لم يفســد كتاب موسى[1] مع كتاب أبينا داود ، بالتقاليد البشرية ، للفريســيين الكذبة والفقهاء ، لما اعطــانى الله كلمته » (بر ١٨٩ : ٦ ـــ ٩) .

* * *

عرض السنة النبوية على التوراة

وقد بين عيسى عليه السلام أن التمييز بين الأحاديث النبــوية يكون بعرض معنى الحديث على التوراة . فاذا كان معناه موافقا يكون صحيحا ،

---

(١) يصرح النصارى فى كتبهم بالشك فى الكتاب المقدس . ومن تصريحاتهم : « أسفار الكتاب المقدس هى عمل مؤلفين ومحررين ، عرفوا بأنهم لسان حال الله فى وسط شعبه ، وظل عدد كبير منهم مجهولا ، لكنهم على كل حال لم يكونوا منفردين ، لأن الشعب كان يساندهم . ذلك الشعب الذى كانوا يقاسمونه الحياة والهمــوم والآمال ، حتى فى الأيام التى كانوا يقاومونه فيها ، ومعظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة . وقبل ان تتخذ كتبهم صيغتها النهائية ، انتشرت زمنا طويلا بين الشعب . وهى تحمل آثار ردود فعل القراء ، فى شكل تنقيحات وتعليقات وحتى فى شــكل اعادة صيغة بعض النصوص الى حد هام ، او قليل الأهمية . لا بل أحدث الأسفار ما هى أحيانا الا تفسير ، وتحــديث لكتب قدمة » (مدخل الى الكتــاب المقدس ـــ العهد الجديد ـــ طبعة دار المشرق ص/خ) .

واذا كان معناه مخالفا يكون فاسدا . وهذا يدل على أن قوة الحديث لا تكون من التواتر ، ولا تكون من تعدد طرق ورود الحديث . فان المرء قد يصبح مؤمنا ويمسى كافرا . وقد يختلط عقله ، وقد يخدع من أصحاب الأهواء والحيل .

والتواتر ليس حجة . فان التوراة محرفة . واليهود والنصارى مجمعون على أنها غير محرفة . وهم طوائف متنازعة . وكثرتهم غير منضبطة ، بل هم أكثر من أهل الاسلام . وتعدد الطرق ليس حجة . فان أصحاب الحيل يتواطئون على الكذب من أجل ترويج رأى لهم فيه مصلحة . كاجماع المتصوفة على أن الولى حى فى قبره حياة طيبة ، وينفع المريد ويقضى حوائجه .

وقول المسيح عيسى عليه السلام بعرض الحديث على التوراة ، قول ظاهره يدل على أنه يقبل الأحاديث الموافقة لها . والحق : أنه لا يقبلها . وذلك لأن اتفاق المعنى بين التوراة والحديث ، يلغى الحديث ويمنع من الاستدلال به . ومثال ذلك :

أن الله تعالى فى التوراة أمر بصيام اليوم العاشر[1] . ويسمى

---

(١) « وكلم الرب موسى قائلا : أما العاشر من هذا الشهر السابع ، فهو يوم الكفارة ، محفلا مقدسا يكون لكم ، تذللون نفوسكم ، وتقربون وقودا للرب . عملا ما لا تعملوا فى هذا اليوم عينه ، لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب الهكم . ان كل نفس لا تتذلل فى هذا اليوم عينه ، تقطع من شعبها . وكل نفس تعمل عملا ما ، فى هذا اليوم عينه ، أبيد تلك النفس من شعبها . عملا ما ، لا تعملوا . فريضة دهرية فى اجيالكم ، فى جميع مساكنكم . انه سبت عطلة لكم . فتذللون نفوسكم . فى تاسع الشهر عند المساء ، من المساء الى المساء ، تسبتون سبتكم » (الأحبار ٢٣ : ٢٦ـ٣٢) .
فى هذا النص يثبت صوم العاشر من الشهر السابع ، لخروجهم من ارض مصر . والشهر الأول هو الشهر الذى خرج فيه اليهود من أرض مصر مع موسى عليه السلام ، لقوله : « هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور . هو لكم أول شهور السنة . . » (خر ١٢ : ١ـ٢) وفى هذا الشهر عينه

بيوم عاشوراء عند اليهود . وهو ليس اليوم الذى نجى الله فيه موسى من الغرق . فالسنة العبرية تحسب من الشهر الذى خرج فيه اليهود من أرض مصر . واليوم العاشر المفروض صومه ، هو فى الشهر السابع .

هذا معنى ما فى التوراة عن صيام عاشوراء . فان ظهر حديث فى نفس المعنى ، فان العقلاء سيأخذون بنص التوراة . اذ هو يغنى ويكفى ، واذ هو أيضا موثق من قبل أن يدون الحديث ويشك فيه .

* * *

أهل الحديث يمنعون من عرض الحديث على القرآن :

وهذه القضية ـ قضية عرض الحديث على التوراة ـ قد دخلت فى دين الاسلام عن طريق العلماء الدارسين . وأهل الحديث يمنعون من عرض الحديث على القرآن ، ويزعمون أن أحوال الرواة تكفى فى صحة السنة . وهم يناقضون أنفسهم بزعمهم هذا . وذلك لأنهم صرحوا بأن كل الأحاديث مروية عن طريق الواحد ، والواحد يفيد الظن . والظن لا يغنى من الحق شيئا .

وصرحوا بأن عائشة رضى الله عنها كانت تقول : « حسبكم كتاب الله » .

ومثال ذلك : تحريم القرآن للجمع بين الأختين الحرائر . وحله الجمع بين الأختين الاماء . ذلك لقوله : « وأن تجمعوا بين الأختين . الا ما قد سلف » أى سلف النص عليه فى أول السورة وهو : « فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » فملك اليمين يبيح الجمع بين الأختين . ويبيح نكاح الولد لامرأة أبيه التى هى جارية . لأنه اذا باعها أبوه ، واستغنى عنها . واشتراها الابن من سوق الجوارى ، فانه يحل له شراؤها ووطؤها . ذلك قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد

يكون الاحتفال بالفصح . وهو تذكار لخروج اليهود من مصر . وفى نفس السنة : « اليوم أنتم خارجون فى شهر أبيب » (خر ١٣ : ٤) .

وقد بين النص : ان تارك الصيام ، المعبر عنه بالتذلل ، تقطع من بين جماعة الشعب المختار ، اى يقتل وجوبا . وقد نسخ هذا الحكم فى شريعة القرآن : فان التارك للصيام حسابه عند ربه .

سلف » أي سلف النص عليه في أول السورة وهو : « فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم » .

وعلى ذلك فحديث : « نهى[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تنكح المرأة على عمتها أو على خالتها » يكون ضعيفا . وذلك لأننا لو عرضناه على القرآن ، لشهد القرآن بكذب رواته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن نهى عن الجمع بين الأختين الحرائر ، ولم ينه عن الجمع بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها . ويتضح كذب رواة هذا الحديث : من أنهم قد أزادوا على المحرمات المذكورة في القرآن . والمزيد ليس موافقا للقرآن في المعنى . فعرضه على القرآن ـ كما بينا ـ يصرح بعدم الاحتجاج به . وعدم لاحتجاج به هو الحق الذى لا ريب فيه .

* * *

وأهل الحديث يمنعون من عرض الحديث على القرآن ؛ لئلا تضيع السنة المنشئة أحكاما زائدة على أحكام القرآن .

وهذا موضح في كتاب « الانتصار لأهل الحديث » .

* * *

كيف يعرف الحق ؟

هذا سؤال سأله « أندراوس » للمسيح عيسى عليه السلام .

ففي الانجيل : « فأجاب حينئذ أندراوس : ولكن كيف يعرف الحق ؟

---

(١) الشيعة يكذبون رواة هذا الحديث ولا يحتجون به . وعلماء الأحناف يعتبرونه من السنة المشهورة . والسنة المشهورة عندهم من سنة الآحاد . وهي تفيد الظن . لأن الراوى شاهد . ولا يحكم القاضي بشاهد واحد . فكيف يؤخذ في الدين بشاهد ؛ قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ؟ (راجع أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة) .

أجاب يسوع : كل ما ينطبق على كتاب موسى : فهو حق : فاقبلوه[٢] لأنه لما كان الله واحدا كان الحق واحدا • فينتج من ذلك : أن التعليم واحد ، وأن معنى التعليم واحد . فالايمان اذن واحد ، والحق أقول لكم : انه لو لم يمح الحق من كتاب موسى ، لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثانى • ولو لم يفسد كتاب داود ، لم يعهد الله بانجيله الى ، لأن الرب الهنا غير متغير . ولقد نطق رسالة واحدة لكل البشر . فمتى جاء رسول الله ، يجىء ليطهر كل ما أفسد الفجار من كتابى » (بر ١٨٨:٤ـ١٠).

---

(٢) يقول أصحاب ترجمة دار المشرق : « كانت السلطة فى أمور الدين تتمثل عند مسيحيى الجيل الأول فى مرجعين :

أولهما : العهد القديم . كان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب ، استشهادهم بوحى الله .

وأما المرجع الآخر ـ : فقد أجمعوا على تسميته « الرب » وكان يطلق هذا الاسم على كل من التعليم الذى ألقاه يسوع (١ قور ٩:١٤) .

وكان لهذين المرجعين قيمة القياس فى أمور الدين . ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة . وأما أقوال الرب ، وما كان يبشر به الرسل . فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدة طويلة ، ولم يشعر المسيحيون الأولون الا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين أهم ما علمه الرسل ، وتولى حفظ ما كتبوه .

وما كان بد من أن تثار ذات يوم مسألة المكانة العائدة لهذه المؤلفات الجديدة ، وان حظى فى أول الأمر التقليد الشفهى بمكانة أفضل كثيرا مما كان للوثائق المكتوبة . ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة المائة والخمسين تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر الا قليلا جدا الى الشروع فى انشاء مجموعة من الأسفار المقدسة .. الخ » (ص ٨ مدخل العهد الجديد) وقولهم : تتمثل عند مسيحيى الجيل الأول خطأ . وصحة العبارة : تتمثل عند نصرانى الجيل الأول . وهكذا « الكتبة المسيحيون » صحتها « كتبة النصارى » . ولم يشعر المسيحيون . صحتها : رلم يشعر النصارى . وقولهم ويبدو ان المسيحيين صحته : أن النصارى .

لأن لقب « مسيحى » لم يطلق عليهم الا من القرن الرابع الميلادى وهم كذبوا وقالوا : انه اطلق فى انطاكية فى بدء القرن الثانى .

وصية عيسى عليه السلام بمعرفة جميع الملل والنحل والمذاهب وقراءة الكتب والسماع من جميع العلماء ثم التمييز بين الحق والباطل

وقد أوصى عيسى ـ عليه السلام ـ بالسماع من جميع المتكلمين . ثم أوصى بالتمييز والترجيح ، ثم أوصى بعدم التعصب لأى رأى ليس عليه من دليل قوى .

(أ) يقول عيسى عليه السلام فى الجدوى من كلام الانسان : « الانسان من حيث هو انسان لا يفلح فى تحويل انسان إلى التوبة . أما الانسان من حيث هو وسيلة يستعملها الله ، فهو يجدد الانسان . ولما كان الله يعمل فى الانسان بطريقة خفية لخلاص البشر ، وجب على المرء أن يصغى لكل انسان ، حتى يقبل من بين الجميع ذلك الذى يكلمنا به الله » .

(ب) وقال عن التميز وهو يجيب على سؤال يعقوب : « يا معلم لو فرضنا أن أتى نبى دعى ، ومعلم كذاب ، مدعيا أنه يهذبنا . فماذا يجب أن نفعل ؟ » .

أجاب يسوع بمثل : يذهب رجل ليصطاد بشبكة . فيمسك فيها سمكا كثيرا . والردىء منه يطرحه . ذهب رجل ليزرع ، وانما الحبة التى تقع على أرض صالحة هى التى تحمل بذورا . فهكذا يجب عليكم أن تفعلوا ، مصغين الى الجميع ، وقابلين الحق فقط ، لأن الحق وحده يحمل للحياة الأبدية » .

(ج) وقال لبرنابا : « يجب عليك ملاحظة ثلاثة أمور فى التعليم : المحبة لله ، وعطف المرء على قريبه ، وبغضك لنفسك ، التى أغضبت الله ، وتغضبه كل يوم . فتجنب كل تعليم مضاد لهذه الرءوس الثلاثة ، لأنه شرير جدا » (بر ١٢٣:١٥ــ   ) .

اول خطبة علنية لعيسى عليه السلام صرح فيها بنبذ الاستدلال بسنة الشيوخ

وبين متى وبرنابا : أن أول خطبة علنية لعيسى عليه السلام كانت على جبل الزيتون وذكر فيها اقتراب ملكوت السموات ، وندد فيها بتقاليد الشيوخ وطلب فيها العمل بالشريعة والأنبياء . وجاء فى نهايتها من الرواية : « وحينئذ وبخ يسوع الشعب بأشد عنف ، لأنهم نسوا كلمة الله ، وأسلموا أنفسهم للغرور فقط ، ووبخ الكهنة لاهمالهم خدمة الله ، ولجشعهم . ووبخ الكتبة لأنهم علموا تعاليم فاسدة ، وتركوا شريعة الله ووبخ العلماء لأنهم أبطلوا شريعة الله ، بواسطة تقاليدهم .. ». (بر ١٢:١٨—) .

غضب الله على بنى اسرائيل بسبب تقاليد الشيوخ

وبين مرقس وبرنابا : أن عيسى عليه السلام قال : « الحق أقول لكم : ان الكتبة والعلماء قد ابطلوا شريعة الله بنبواتهم الكاذبة ، المخالفة لنبوات أنبياء الله الصادقين . لذلك غضب الله على بيت اسرائيل ، وعلى هذا الجيل القليل الايمان » (بر ٢٧:١٧—٢٨ مرقس ١٣:٧) .

بيان عيسى عليه السلام فى ان تقاليد الشيوخ هى وصايا الناس

وبين عليه السلام : أن تقاليد الشيوخ هى وصاياهم . وقد نسبوها الى موسى عليه السلام ليضفوا عليها صفة الشرعية . ففى انجيل مرقس :

« واجتمع اليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم . ولما رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون خبزا بأيد دنسة — أى غير مغسولة —

لاموا . لأن الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ . ومن السوق ان لم يغتسلوا لا يأكلون . وأشياء أخرى كثيرة ، تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرة .

ثم سأله الفريسيون والكتبة : لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ ، بل يأكلون خبزا بأيد غير مغسولة ؟ فأجاب وقال لهم : حسنا تنبأ اشعياء عنكم أنتم المرائين ، كما هو مكتوب : « هذا الشعب يكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا . وباطلا يعبدونني . وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس » .

لأنكم تركتم وصية الله ، وتتمسكون بتقليد الناس : غسل الأباريق والكؤوس وأمورا أخر كثيرة مثل هذه تفعلون . ثم قال لهم : حسنا رفضتم وصية الله ، لتحفظوا تقليدكم .. » (مرقس ٧:١ـ).

* * *

السنة النبوية
مقبولة فى نظر ولس

وقد ذكرنا أمثلة على : أن بولس عارض عيسى عليه السلام فى آرائه ومن هذه الأمثلة :

ندد المسيح عيسى عليه السلام بتقاليد الشيوخ . واستدل على كلامه بنص من نصوص التوراة مذكور فى سفر اشعياء ١٣:٢٩ ومن كلامه عليه السلام : « انكم تحسنون نقض وصية الله ، لتقيموا سنتكم » ـ « فتنقضون كلام الله بسنتكم التى تتناقلونها » (مر ٧:٩و١٢) ويقول المفسرون : « كانت سنة الشيوخ تتضمن وصايا وأحكاما ، توضح شريعة موسى »

وبولس عارض هذا بقوله لأهل تسالونيكى : « فاثبتوا اذن . أيها الأخوة . وحافظوا على السنن ، التى أخذتموها عنا . اما مشافهة ، واما

مكاتبة » وفى ترجمة : « فاثبتوا اذا أيها الأخوة . وتمسكوا بالتعاليم التى تعلمتموها . سواء كان بالكلام ، أم برسالتنا » (٢ تس ٢:١٥) .

وعلى ذلك . تكون السنة النبوية قد دخلت فى المسلمين . لا عن عيسى عليه السلام والنبيين ، بل عن بولس وشيعته — التى هى جماعة المسيحيين — وعن اليهود الفريسيين .

السنة النبوية القديمة

وقد بين عيسى عليه السلام أن سنة النبى • هى طريقته . وفى هذا المعنى جاء فى القرآن الكريم : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا » أى طريقة الرسل من قبلك . والسنة عند موسى عليه السلام هى شريعته من قبل أن يحرفها علماء بنى اسرائيل فى « بابل » وهم لما حرفوها ، أضافوا عليها تقاليد الشيوخ . فصار ما قبل بابل سنة قديمة ، وصار مجموع ما بعد بابل : سنة جديدة •

١ — وقد طالب المسيح عيسى عليه السلام بالرجوع الى السنة القديمة . أى الى كتاب موسى وحده •

٢ — وقال : ان كتاب موسى يشتمل على أحكام فقهية كثيرة . منها حكم واحد لا يقدر أحد على العمل به الا فى زمان النبى الآتى — وهو الايمان به — ومثل ذلك مثل بيت عظيم محكم البنيان ، الا موضع لبنة . فى زاوية • فالمعاصرون للنبى الآتى اذا عملوا بهذا الحكم ، يكونون قد عملوا بكل ما جاء به موسى • وأما الذين من قبلهم . فانهم قد ماتوا على غير تمام . ولهم العذر • لأن الله فى سابق علمه ، قد أراد لهم ذلك .

وسنبين هذين الأمرين :

١ — اما مطالبته العلماء بالرجوع الى السنة القديمة :

فقد جاء فى انجيل برنابا : « لما رأى يهوذا الخائن أن يسوع قد هرب ، يئس من أن يصير عظيما فى العالم لأنه كان يحمل كيس يسوع ، حيث كان يحفظ فيه كل ما كان يعطى له ، حبا فى الله فهو قد

رجا أن يصير يسوع ملكا على اسرائيل ، وأنه هو نفسه يصبح رجلا عزيزا فلما فقد هذا الرجاء قال في نفسه : لو كان هذا الرجل نبيا ، لعرف اني اختلس نقوده ، ولكان حنق وطردني من خدمته ، اذ يعلم أني لا أومن به ولو كان حكيما ، لما هرب من المجد الذي يريد الله أن يعطيه اياه فالأجدر بي اذا : أن اتفق مع رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين ، ونرى كيف أسلمه الى أيديهم • فبهذا اتمكن من تحصيل شيء من النفع • فبعد أن عقد النية ، أخبر الكتبة والفريسيين عما حدث في نايين .

فتشاوروا مع رئيس الكهنة قائلين : ماذا نفعل لو صار هذا الرجل ملكا ؟

حقا ان ذلك يكون وبالا علينا . فانه يريد ان يصلح عبادة الله ، على حسب السنة القديمة ، لأنه لا يقدر أن يبطل تقاليدنا .

فكيف يكون مصيرنا تحت سلطان رجل كهذا ؟ حقا أننا نهلك نحن وأولادنا ، لأننا اذا طردنا من وظيفتنا اضطررنا ان نستعطي خبزنا • أما الآن • فالحمد لله . لنا ملك ووال ، أجنبيان عن شريعتنا ، ولا يباليان بشريعتنا كما لا نبالي نحن بشريعتهم . ولذلك نقدر أن نفعل كل ما نريد . فان أخطأنا ، فان الهنا رحيم ، يمكن استرضاؤه بالضحية والصوم •

ولكن اذا صار هذا الرجل ملكا ، فلن يسترضى الا اذا رأى عبادة الله . كما كتب موسى وأنكى من ذلك أنه يقول أن مسيا لا يأتي من نسل داود — كما قال لنا أحد تلاميذه الأخصاء — بل يقول انه يأتي من نسل اسماعيل ، وأن الموعد صنع باسماعيل لا باسحاق •

فماذا يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش ؟ من المؤكد أن الاسماعيليين يصيرون ذوي وجاهة عند الرومانيين ، فيعطونهم بلادنا ملكا وهكذا يصير اسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديما .

فلما سمع رئيس الكهنة هذا الرأى ، أجاب : أنه يجب أن ينفق مع هيرودس والوالى لأن الشعب كثير الميل اليه ، حتى أنه لا يمكننا اجراء شيء بدون الجند . وان شاء الله تتمكن بواسطة الجند من القيام بهذا العمـــــــل — .

فبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، ائتمروا على امساكه ليلا ، متى رضى الوالى وهيرودس بذلك » (بر ١٤٢ : ١ —) .

* * *

٢ — واما ان المعـاصرين للنبى الآتى ، اذا عملوا بالحكم الفقهى ، الذى لم يقدر من قبلهم ، على العمل به . يكونون قد أكملوا الناموس :

فهــذا هو بيانه :

بين موسى فى التوراة أن الله سيرسل لبنى اسرائيل نبيا مثله . وله يسمعون ويطيعون . ذلك قوله : « يقيم لك الرب الهك : نبيـــا . من وسطك من اخوتك . مثلى . له تســـــمعون » (تث ١٨ : ١٥ —) وبين عيسى أوصافه وقال عنه لاتباعه : « وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان ، تؤمنون » (يو ١٤ : ٢٩) .

فقبل مجيء هذا النبى كان كل من يعمـــل بالتوراة ، لا يعمل بكل أحكامها ، اذ حكم الايمان بالنبى الآتى ، والسماع له . لا أحد يعمل به . واذا ظهر هذا النبى ، ولم يسمع له أحد ، فانه يكون كافرا بالحكم ، ورادا له . وهذا هو الارتداد عن الدين .

فلو فرضنا ان داعيا دعا الناس الى قبول هذا النبى اذا جاء ، فاننـــا نفرض أيضا : أنه يدعو الى تكميل الشريعة به . وهذا هو معنى قول عيسى عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لابطل الشريعة أو الأنبيـــاء . ما جئت لأبطل ، بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) .

وتكميل الشريعة به ، يدل على أن الله تعالى نطق برسالة واحـدة لكل البشر ، وذلك لأنه نبه فى الكتاب الأول على مجيء المكمل للشريعة . فاذا جاء يكون الحكم الناقص فيها ، قد تم . ويكون كلام الله واحــدا

غير متغير . لأنه حال نزول الشريعة فى طور سيناء أنزلها وبين فيها : أنها الى حين . ولما جاء الحين ، لم يخلف وعده ، وأتمها بالنبى المماثل لموسى .

وعيسى ـ عليه السلام ـ ما دعا الى ابطال العمل بأحكام التوراة الفقهية ، وانما دعا الى التكميل .

فما هو معنى التكميل ؟

انه قام بتفسير التوراة تفسيرا حسنا ، ووضح حقيقة النبى الآتى ، ليعرف من هو على وجه اليقين . وغرضه من ذلك : اصلاح التوراة ، وما هى الفائدة من الاصلاح ؟ هى أن الذين يكونون معاصرين للنبى الآتى ، على بينة من الأمر . فان آمنوا به . يكونون قد اكملوا العمل بالتوراة . وان لم يؤمنوا به ، فانهم يكونون عاملين ببعض الأحكام ، وكافرين بالبعض . وهذا هو النقصان ، لا التمام .

ولذلك . فان قوله عليه السلام : « بل لأكمل » أو « بل لاتم » هو من معانى الفعل اليونانى (أ) « حقق » أى حقق نبوءة . والنبوءة هى نبوءة النبى الآتى . (ب) أو « ملأ » كأنه لا يريد الاكتفاء بتحقيق النبوءة ، بل يريد أن يبلغ بها الى كمالها . فيعيد الى الشريعة معناها الحقيقى .

انه يقول : « لا تظنوا انى جئت لابطل الشريعة أو الأنبياء . ما جئت لأبطل ، بل لأكمل . الحق اقول لكم : لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة ، حتى يتم كل شيء ، أو تزول السماء والأرض . فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا ، وعلم الناس ان يفعلوا مثله ، عد الصغير فى ملكوت السموات . وأما الذى يعمل بها ، ويعلمها ، فذاك يعد كبيرا ، فى ملكوت السموات . فانى أقول لكم : ان لم يزد بركم على بر الكتبة والفريسيين ، لا تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٧ ـ ٢٠) .

المعنى :

١ ـ انه ما جاء النسخ شريعة موسى ، ولا لابطال كتب الأنبياء من بعده ، كزبور داود وغيره .

٢ — انه ما جاء للنسخ ، بل للاصلاح من أجل بلوغ الشريعة حد الكمال . وعبر بالكمال ، لأنه يتضمن الاصلاح .

٣ — « أن يزول حرف أو نقطة من الشريعة » يقول مفسرو النصارى : « الترجمة اللفظية : « يوطا ، أو خط واحد » في الأبجدية العبرية ، حرف الياء هو أصغر الحروف . وأما « الخط » فقد يدل على خط صغير ، يميز بين حرفين (في العربية كثيرا ما تميز النقطة بين حرفين) وفي كلا الحالين ، فالمعنى واضح . وهو وجوب عدم اهمال أى أمر من أمور الشريعة » أ هـ .

٤ — « حتى يتم كل شيء » يقول مفسرو النصارى : « عبارة يصعب فهمها » يرجح أنه لا يريد أن يقول : « الى أن اكون قد اتممت كل شيء على الصليب » ولا « الى ان يكون تلاميذى قد اتموا جميع وصاياى » بل « الى نهاية العالم » تبقى للشريعة كل سلطتها ، بعد ان يكون يسوع قد جدد قيمتها » أ هـ .

والرد عليهم :

ان العبارة ليس من الصعب فهمها . وذلك لأنه عليه السلام يريد ان يقول : ستظل الشريعة على حالها ، الى ان يأتى النبى المماثل لموسى . وبه يتم كل شيء بشأنها . فانه اذا جاء ونسخها ، أو اذا جاء وأقرها ، فاننا ملزمون بالسماع منه . وفي مجيئه تكون النهاية لعالم بركة اسحق في الأمم ، ولبدء بركة اسماعيل في الأمم . وهو لا يريد — كما رجحوا — أن يتم كل شيء بصلبه ، وذلك لأنه لم يصلب . بل يريد : الى أن يكون تلاميذه قد جابوا مدن اسرائيل للدعوة الى اقتراب ملكوت السموات ، يكون « ابن الانسان » قد أتى ، وأسس « ملكوت السموات » وهذا هو ما نص عليه متى ، في قوله : « لا تكملون مدن اسرائيل ، حتى يأتى ابن الانسان » (متى ١٠ : ٢٣) و « ابن الانسان » هو « النبى الأمى الآتى ، المماثل لموسى » .

٥ — وقوله : ان مخالف كلامى ، يعد صغيرا فى ملكوت السموات معناه : انه اذا ظهر الملكوت ، ولم تدخلوا فيه مع الداخلين ، تكونون محتقرين فى أعين أصحاب الملكوت وهم المسلمون . وهذه النبوءة محققة . فان المسيحى الآن يستحى من المسلم .

٦ — وقوله يعد كبيرا فى ملكوت السموات : معناه : أن العالم بالدين المسيحى اذا دخل فى الاسلام ، يكون له احترام عظيم بين المسلمين ، لأنه فضل الدين على الدنيا . ويكون له فى الآخرة جزاء مضاعف ، لقوله : فى القرآن الكريم : « أولئك يأتون أجرهم مرتين بما صبروا » .

* * *

نماذج من التلمود

النموذج الأول :

نقرأ فى ابهوداه زاراه :

« محرم دائما بيع بخور من كاهن وثنى ، لأنه من الجلى حينما يطلبه ، فهو يحتاجه من أجل غاية أخرى ، فقط ليقدمه قربانا أمام وثنه . بناء عليه فان أى شخص (يهودى) يبيعه بخورا يقترف خطيئة ضد الامر الذى حرم علينا وضع حجر عثرة أمام أعمى . محرم أيضا بيع شموع من غير اليهود من أجل عيد الشموع عندهم ، لكنه يمكن بيعهم شموع فى أيام أخرى . كذلك محرم بيع غير اليهودى كأس قربان اشتراه يهودى بعدما هشمه غوى وطرحه بعيدا . لكنه يمكن فقط بيعه ثانية من غير اليهودى بعد اصلاحه كليا ، لأنه بعد تهشيمه لمرة واحدة يمكن استعماله مع ذلك لحفظ النبيذ الذى يقدم قربانا اجلالا لوثنهم » .

النموذج الثانى :

« اذا ثبت ان شخصا معينا ضلل اسرائيل ثلاث مرات ، أو أعطى مال الاسرائيليين الى الآكوم ، فيجب ايجاد طريقة ، على أساس تفكير حصيف متدبر ، لمحوه عن وجه هذه الأرض » .

النمـــوذج الثـالث :

« المرتدون الذين يعملون حسب رغبات الآكوم ، والذين يلوثونهم بعبادة النجوم والكواكب ، كما هي حال المرتدين ... يجب قتلهم » .

النمـــوذج الرابع :

« اليهود الذين يصبحون ابيقوريين ، وينحرفون الى عبادة النجوم والكواكب ، ويأثمـون بخبث ومكـر ، وكذلك الذين يأكلـون لحـم الحيوانات الجريحة ، أو الذين يرتدون الثيـاب هـزؤا وبغير احترام ، يستحقون اسم ابيقوريين . علاوة على كل اولئك ... الذين ينكرون التوراة وأنبياء اسرائيل — القانون يقول ان الجميع يجب قتلهم ، وعلى الذين بيدهم زمام الحياة والموت .. قتلهم ، واذا لم يكن ذلك بالامكان ، يجب تقديمهم الى الموت بطرق مخادعة » .

* * *

وقد وضع الربي موسى بن ميمون قائمة بمنكري التوراة والتلمود — ويسميهما القـانون — وعـد منهم المسلمون وطالب بقتلهم وهـذا هو نص كلامه : « ثمة ثلاث طبقات من الناس ينكرون قانون التوراة : ١) الذين يقولون ان التوراة لم يمنح من الله ، حتى ولا أية كلمة منه على الاقل ، ويقولون انه بكامله من تآليف موسى ، ٢) الذين يرفضون شرح التوراة ، أي القانون الشفوي للميشناه ، ولا يسلمون بسلطـة علمـاء القانون ، كاتباع تسادوك (الصدوقيون) (١١٥) ، والبايثوس ، (٣) الذين يقولون ان الله غير القانون بقانون آخر جديد ، وان التوراة لم تعد له أية قيمة ، على الرغم من أنهم لا ينكرون بأنه منحـة من الله ، حسب معتقـدات المسـيحيين والاتراك (المسـلمين) ... كل أولئك ينكرون قانون التـــوراة » .

النمـــوذج الخـــامس :

انتقـــــام المســـيا

جاء فى شاباس ١١٨ أ :

« كل من يأكل ثلاث رقعات فى يوم السبت ، سوف ينجى من ثلاث فواجع : من انتقام الميسياه ، من قصاص جهنم ، ومن حرب المـاغوغ ، لانه مكتوب . « لاحظوا ، سوف أبعث اليكم الياس النبى قبـل مجىء يوم الرب » ... الخ » .

النمـــوذج الســادس :

فى التلمـــــود :

(أ) قبل « صلب » المسيح أعلن فى المدينة عن طريق النداء العام ان يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح ، ولكن أحدا لم يتقدم .

(ب) ان المسيح عليه الســلام رمى بالأحجـار ، ثم صلب مســاء عيــد الفصــح .

* * *

عيسى بن مريم ليس هو المسيا :

ويقول موسى بن ميمون فى كتابه هيلكوث ميلاخيم : « لو نجح فى جميع الاعمال التى نفذها ، ولو أعاد بناء حرم المقدس فى موقعه ، ولم شعث جميع قبـائل اسرائيـل المشـتتة ، عندئذ سـيكون هو بالتأكيد الميسياه ... لكنه ان لم يفعل ذلك ، وقتل ، فهو اذ ذاك ليس الميسياه ، الذى انبأنا القانون ان ننتظره .

تغيير المســـيا لكل شىء :

ويقول موسى بن ميمون : « ان العالم كله اليوم متخم بالثناء على المسيح ، وتمجيد القانون واطراء الوصايا العشر . وقد انتشر كل ذلك

الثناء والتمجيد والاطراء حتى أقصى ارجاء الدنيا وملأ اجساد شعوب وثنية وقلوبها . حين يجيء المسيح حقـا وينتصر ، ويرفع الى أعلى ويمجـد ، عندئذ كل شيء سيتغير » .

النمـوذج السـابع :

اصـول الفقـه :

من أصـول الفقه فى التلمود ، القواعد الثلاث عشر . وهى :

(١) « المساواة » وهى : الاستدلال على شيء بشيء ، للتشابه أو المماثلة بينهمـا .

(٢) « الخفيف والثقيل » ، وهو الاستدلال بشيء قليل الأهمية على شيء كبير الأهميـة .

(٣) « ايجاد الأب » وهو :

(أ) الاستدلال بحكم ورد فى القانون (التوراة) على حكم آخر ورد فى بعض المواضع الأخرى من التوراة نفسها ، للتشابه بينهما .

(ب) الاستدلال بحكم خاص ورد فى القانون على حكم عام ورد فيه أيضا ... الخ[1] .

* * *

ويقول العلماء : أن فى المشنة ٦٣ مقالة منها ٣٦ ١/٢ فقط مشروحة . ففى الموسوعة العربية الميسرة طبعة لبنان ١٩٨٧ عن التلمود ما نصه :

تلمـود :

« تلمود : كلمة آرامية عن العبرية = تعلم . وهو مجموعة الشرائع اليهودية التى نقلت شفويا مقرونة بتفاسـير رجال الدين ، ويتميز عن الكتاب المقدس الذى يشتمل على تشريع مكتوب ، ويعتد به جميع اليهود المحافظين ، وينقسم قسمين : « المشنة » ، وهى النص ، « والجمارة » ، وهى التفسير مع تكملة للنص . وفى المشنة ٦٣ مقالة ، منها ٣٦ ١/٢ فقط

---

(١) كتاب التلمود تاريخه وتعاليمه — لظفر الاسـلام خان — نشر دار النفائس ببيروت

مشروحة ، وفي الشرح استطرادات وتفاصيل كثيرة ، وفيه بابان هامان ، أحدهما في التشريع ، والآخر في السياسة . كتب التلمود في فلسطين وبابل في القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، وتلمود بابل هو المعتمد » ا . هـ .

* * *

الكنز الممتلىء بالعتيق والجديد هو خالى من تقاليد الشيوخ

وقد جاء في انجيل متى : أن عيسى عليه السلام ضرب أمثلة لملكوت السموات وقال بعدها للحواريين : « أفهمتهم هذا كله ؟ قالوا له : نعم . فقال لهم : لذلك كل كاتب تتلمذ لملكوت السموات ، يشبه رب بيت يخرج من كنزه ، كل جديد وقديم » (متى ١٣ : ٥١ — ٥٢) .

ومن الأمثلة التي ذكرها ، مثل ورد في القرآن الكريم عن « محمد رسول الله والذين معه » ونصه : « مثل ملكوت السموات ، كمثل حبة خردل ، أخذها رجل فزرعها في حقله ، هي أصغر البذور كلها . فاذا نمت ، كانت أكبر البقول ، بل صارت شجرة ، حتى ان طيور السماء تأتي ، فتعشش في أغصانها » (متى ١٣ : ٣١ — ٣٢) .

والغرض منه : هو بيان أن اتباع صاحب الملكوت ، سيكونون في البدء جماعة صغيرة ، ثم يكثرون رويدا رويدا ، ويكونون أقوياء ، وتهابهم الناس .

والكاتب : هو العالم من علماء بني اسرائيل . وهو اذا دخل في الاسلام وتتلمذ على يد صاحب الملكوت ، فانه سيعرف ما في دينه ، فيكون قد جمع بين علمين اثنين . علم تركه موسى وآل هرون ، وعلم يعلمه صاحب الملكوت لأتباعه . فاذا جلس هذا الكاتب على كرسي التعليم لنعلم الأميين ، فانه سيخرج من علمه ، كل جديد وقديم . ففي القرآن آيات كثيرة يعرف علماء بني اسرائيل معناها . مثل « يا أخت هرون » — « ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت » — « اني نذرت لك ما في بطني محررا » والمسلم الذي لا يدري الحق والباطل في كتب أهل الكتاب ، لا يقدر أن يبين المعنى ، قدرة الذي يدري . وان اذكر مثالا يوضح

المعنى • اذكر انجيل يعقوب • الذى لم يترجم الى زمانى هذا الى اللغة العربية • وفيه قصة « امرأة عمران » المذكورة فى سورة آل عمران •

فهب أنه قد تصدى لتفسير القصة ، مسلما ، وعالما من علماء بنى اسرائيل الذين أسلموا • فمن منهما الذى يقدر على بيان اعجاز القرآن فى القصة ؟ ان المسلم سيضيع الوقت على السامعين فى اعراب الجمل ، وربطها بما قبلها ، وبما بعدها ، ويذكر : أن كل كلمة موضوعة على المعنى بلا زيادة ولا نقصان . وأين هو المعنى ؟ ذلك ما سنوضحه فى الدرس القادم . والله أعلم . هذا ما سيقوله المسلم ، وهو لن يوضح فى الدرس القادم ، لأنه لو كان يعرف ، ما أخر البيان عن وقت الحاجة .

أما العالم الذى أسلم من أهل الكتاب • فانه سيذكر نص القصة فى انجيل يعقوب ، ويبين أوجه الاختلاف والاتفاق بينه وبين القرآن • ثم يتحدث عن شريعة النذر فى التوراة ، ويقارن بينها وبين شريعة النذر فى القرآن ويفرق بين المحرر الى الأبد ، والمحرر الى مدة مؤقتة • ثم يبين اسم امرأة عمران ، واسم زوجها ، والى أى سبط تنتسب ، ثم يذكر أهداف القصة ، والعبر المستفادة منها • ثم يبدى عجبه من النبى الأمى الذى ذكر علما ، لا يقدر على املائه عليه الا الله وحده .

والكنز الممتلىء : هو كناية عن العلم الغزير •

فقول عيسى عليه السلام عن الراسخين فى العلم ، الداخلين فى ملكوت السموات مع الداخلين : انهم سيخرجون جددا وعتقاء • هو منطبق تماما على الذين يدخلون فى الاسلام طوعا من أهل الكتاب • والجدد هو ما تعلمه من الشريعة الجديدة ، والعتقاء: هو ما تعلمه من شريعة موسى • وحيث أنه وصاهم برفض تقاليد الشيوخ • فانهم اذا علموا ، سيتركون تقاليد الشيوخ — التى هى سنة البشر — وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون عنها أى شىء •

وهو عليه السلام يبين لهم بذلك أنه يجب عليهم تقوية ايمان اتباع صاحب الملكوت بزيادة الأدلة التى تدل على نبوته ، وبغرس العقائد

الصحيحة فى نفوسهم ، وقوله لهم : « وأما الذى يعمل بها ، ويعلمها ، فذاك يعد كبيرا فى ملكوت السموات » هو أمر لهم بأنه يجب عليهم أن يعلموا فى الملكوت وجوبا مؤكدا . وحذرهم من التشبه بعلماء اليهود الذين يقولون ولا يفعلون ، واذا فرطوا فى جنب الله ، يظنون أن الله يمكن استرضاؤه بالقرابين والذبائح ، وفوق ذلك كله لا يعلمون تعليما نافعا . ومن كلامه لهم : « ان لم يزد بركم على بر الكتبة والفريسيين ، لا تدخلوا ملكوت السموات » — « لا تكنزوا لأنفسكم كنوزا فى الأرض ، حيث يفسد السوس والعث ، وينقب السارقون فيسرقون ، بل اكنزوا لأنفسكم كنوزا فى السماء ، حيث لا يفسد السوس والعث ، ولا ينقب السارقون فيسرقون ، فحيث يكون كنزك ، يكون قلبك .

سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك سليمة ، كان جسدك كله نيرا ، وان كانت عينك مريضة ، كان جسدك كله مظلما ، فاذا كان النور الذى فيك ظلاما ، فياله من ظلام .

ما من أحد يستطيع أن يعمل لسيدين ، لأنه اما أن يبغض أحدهما ويحب الآخر واما أن يلزم أحدهما ويزدرى الآخر . لا تستطيعون أن تعملوا لله ، وللمال .. الخ » .

* * *

والى هنا يتم كلامنا فى بيان : أن أهل الكتاب مرتدون عن التوراة . وفى بيان : أن المرتد عن التوراة ، يكون مستوجب القتل . وقد ذكرنا أمثلة كثيرة من التوراة والأناجيل تدل على أنهم فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا .

* * *

تم القسم الأول من كتاب « حكم المرتد عند المسلمين وأهل الكتاب » ويليه القسم الثانى . وموضوعه : حكم المرتد عند المسلمين . وبيان حال السنة النبوية .

* * *

« فلله الحمد رب السموات ، ورب الأرض . رب العالمين . وله الكبرياء فى السموات والأرض . وهو العزيز الحكيم » .

الفهـــــرس

الصفحة	الموضـــوع
٣٩	النصارى طائفة من طوائف اليهود
٤٠	بيان ارتداد النصارى عن التوراة فى العقيدة
٤٢	بيان ارتداد النصارى عن التوراة فى الشريعة
٤٣	قصة الغنى و « لعازر »
٤٥	« بونس » الغى التوراة من على النصارى
٤٦	علماء اليهود يقولون ما لا يفعلون
٤٧	معجزة شفاء عيسى عليه السلام لعشرة برص تدل على تبشير عيسى بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥١	التصريح المنسوب الى « بولس » بنسخ شريعة موسى
٥٢	السبب فى عدم قتل اليهود للنصارى
٥٣	كلام النصارى فى انهم ليسوا مرتدين عن دين اليهود
٥٤	ارتداد اليهود عن دين موسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ
٥٤	ستمائة من المسيحيين المذنبين نهبوا أموال المسلمين
٥٤	سرقة النصارى للمسلمين وبيعهم للصليبيين
٥٤	تحريم السحر فى التوراة
٥٧	حكم الساحر فى التوراة
٥٨	السحر عند المسلمين
٥٨	نص سحرى من كتاب الديربى الكبير
٥٩	نص سحرى من كتاب تذكرة داود
٦٠	النبى المنتظر فى التوراة هو محمد صلى الله عليه وسلم ويلقبونه بلقب « المسيح » ـ الذى هو المسيا ـ .
٦٢	ان الله وملائكته يصلون على النبى فى مزامير داود

الصفحة	الموضـــــوع

الصفحة	الموضوع
٩٤	الحطبة المنسوبة الى بطرس التى بين فيها أن النبى المماثل لموسى هو يسوع
٩٧	ميامر النصارى
٩٧	أغانى النصارى
٩٧	مغاطس الأضرحة
١٠٧	موقف بولس من الأحكام التشريعية الفقهية فى التوراة
١٠٩	موقف بولس من مكارم الأخلاق
	بولس وبطرس يبدلان كلام الله . بكلام الناس . ويقولان : « الدعوة التى دعى فيها كل واحد ، فليلبث هو فيها »
١١٠	حجة بولس على الايمان بلا أعمال
١١٠	الرد على بولس
١١١	معنى « تلك أمة قد خلت »
	* * *
١١٢	**مواعيد الله لبنى اسرائيل ولبنى اسماعيل**
١١٢	نصوص وعد الله لابراهيم عليه السلام بأن يملك نسله من اسحق واسماعيل على الأمم والشعوب
١١٥	بيان السبب فى ارث نسل أبراهيم للأرض
١١٦	تقسيم بركة ابراهيم على نسله
١١٧	بدء بركة اسحق ونهايتها
١١٨	ملك ابراهيم فى الأمم
١١٩	وورث اسحق ابراهيم فى الملك والنبوة
١١٩	معنى « ويتم نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب »
١١٩	وورث يعقوب اسحق أبيه ، وكان بيته قبلة
١٢٠	يوسف عليه السلام يدعو الى الله فى أرض مصر

الصفحة	الموضـــــوع

الصفحة	الموضـــوع
١٩٨	(د) تقويم الأخلاق
١٩٨	٥ ـ ملكوت الله فى معناه المطلق
١٩٩	٦ ـ المجىء الثانى للمسيح يسوع
٢٠٠	أدلة من الأناجيل الأربعة تدل على عدم نزول عيسى فى آخر الزمان
٢٠٣	أدلة من القرآن الكريم تدل على عدم نزول عيسى فى آخر الزمان
٢٠٤	٧ ـ الانجيـــــل
٢٠٨	خطأ النصارى فى نبوءة يهوذا الاسخريوطى
٢٠٩	معنى قول الله تعالى : « ولكن شبه لهم »
٢١٢	٨ ـ ظهور الملكوت فى شخص يسوع
٢١٣	٩ ـ الناصريون هم الأمة الوسط بين اليهودية والمسيحية
٢١٧	١٠ ـ فترة الانتقال على مدى اربعين عاما
٢١٧	معنى قول الله تعالى : « لئن رجعنا الى المدينة »
٢١٨	معنى قول الله تعالى : « لولا نزل هذا القرآن »
٢١٩	١١ ـ صراع الناصريين المزدوج مع اليهودية والمسيحية
٢٢٢	نماذج من أحاديث النصارى
٢٢٣	١٢ ـ اعتراف القسيس علنا بأن دين الاسلام دين باطـل ، وأن القرآن من تأليف اليهود والنصارى ، لا المسيحيين
٢٢٧	١٣ ـ « ولمـا ضرب ابن مريم مثلا »
٢٢٧	بيان أن المثل هو الشهادة وليس الفداء
٢٢٨	تصريح اليهود بأن النبى الأمى المكتوب فى التـوراة ، سـيظهر لاسقاط مملكة الروم
٢٢٩	نصوص من الأناجيل الأربعة تدل على أن « مثلا » هى شهادة لا فـــداء

الصفحة	الموضـــــوع

الصفحة	الموضـــوع

الصفحة	الموضـــــوع

الصفحة	الموضــــوع
٣٢٧	أول خطبة علنية لعيسى عليه السلام صرح فيها بنبذ الاستدلال بسنة الشيوخ
٣٢٧	**غضب الله على بنى اسرائيل بسبب تقاليد الشيوخ**
٣٢٧	بيان عيسى عليه السلام فى أن تقاليد الشيوخ هى وصايا الناس
٣٢٨	السنة النبوية مقبولة فى نظر بولس — رغم أنف المسيح —
٣٢٩	السنة النبوية القديمة
٣٣٤	نماذج من التلمود
٣٣٥	اليهودى موسى بن ميمون يصرح بقتل المسلمين
٣٣٦	موسى بن ميمون يصرح بأن المسيا الرئيس ليس هو عيسى بن مريم عليه السلام
٣٣٨	الكنز الممتلىء بالعتيق والجديد : هو خالى من تقاليد الشيوخ

* * *

تم فهرس القسم الأول من كتاب حكم المرتد
عند المسلمين وأهل الكتاب

من كتب المؤلف :

اللقاء بين الاسلام والنصرانية — مناظرة بين الدكتور الشيخ أحمد حجازى السقا ، والأنبا غريغوريوس — نشر دار البشير بالقاهرة

رقم الإيداع ٨٤٦١/٩٤



دار
الاتحاد الأخوى للطباعة
٣٨ شارع البهنساوى ـ قايتباى ـ القاهرة
ت : ٥١٢٠١٣٦


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

* فى هذا الكتاب *

من يُجدّف على اسم الرب ؛ فإنه يقتل قتلا ــ الممتنع عن الصوم المفرو
التوراة، فإنه يُقتل قتلا ــ تَميُّز المسيح عيسى بن مريم عن علماء بنى إسرائيل ـ
المسيحيين مرتدون عن دين اليهود فى العقيدة والشريعة ـ بيان أن اليهود مرتدون ع
موسى ومحمد عليهما السلام ـ إن الله وملائكته يصلون على النبى محمد ، فى زبو
عليه السلام ـ اليهود الماران ـ فريضة الصوم عند أهل الكتاب ــ نص كلام ابن المحر
خلوّ التوراة من ذكر الصوم ، والرد عليه ــ نص سِفر أعمال الرسل المختلف فى تفـ
فريضه الصوم ـ ميامر النصارى ـ أغابى النصارى ــ مواعيد الله لبنى إسرائيل
إسماعيل ـ الغرض من معجزات عيسى عليه السلام هو التبشير بمحمد صلى الله عليه و

رد على كتاب مسيحى يطعن فى القرآن الكريم ــ القساوسة يقولون : إن ابن
قد ضرب مثلا فى الفداء ، لا فى الشهادة ــ نظرية الخلاص عند أهل الكتاب ــ
سليمان تبين أن الخلاص سيكون من ذل الأجانب بالحرب، على يد النبى المنتظر وأ
تفنيد دعاوى النصارى بأن الخلاص هو خلاص من آثار الخطايا ــ بُولُس يسبُّ محمدا
ظهوره ــ المسيحيون يعبدون إلهين اثنين لا ثلاثة ــ المحكم والمتشابه فى الروح القدس
أوتيتم من العلم" من عيسى عليه السلام "إلا قليلا" ــ الرجاء فى المَسِيًّا ـ آراء المـ
مريم عليه السلام فى السنة النبوية ويسميها بتقاليد الشيوخ ـ إِشَعياء يندد بالسنة ا
اليهود يقولون فى صلواتهم لله : "وليأت مَسِيّاه ، ويخلّص شعبه" ــ النصارى يقو
صلواتهم لله : "ليأت ملكوتك" ــ عرض السنة النبوية على التوراة ــ نصوص التو
صوم يوم عاشوراء ــ اليهود يصرحون فى كتبهم بقتل المسلمين ــ اليهود يصر
كتبهم بأن عيسى ليس هو النبى الأمى المماثل لموسى ، الملقب بالمسيا، أو بالمسيح ـ
الممتلىء بالعتيق والجديد ، هو خالى من تقاليد الشيوخ .

الثمن

خمسة جنيهات

النـــاشر

الحاج حسين محمد إمبابى وولده عبد الله

مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة

